

# رَسَائِلُ عَقِيدَتِهِ وَرَعْوِيَّةِ

إعداد

د. عبد الرحمن بن صالح المحمود

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقاً

دار القضيّة  
المدنية

دار الهدى النبوي  
مصر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

توزيع

دار الهدى النبوي للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - المنصورة

تلفون: ٢٣٢٣١٧٥ / ٠٥٠ - جوال: ٧١٤٥٦٨١ / ٠١٢

الناشر

دار الفضيلة للنشر والتوزيع

الرياض ١١٥٤٣ - ص. ب. ٥١١٤٢

تليفاكس ٤٤٥٤٨١٥

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا مجموع حوى جملة من الرسائل والموضوعات العقديّة،  
والدعوية، سبق أن طُبعت في أزمان متفاوتة بعضها منذ سنين طويلة فأحببت أن  
أجمعها، حفاظاً لما قد يندثر منها وينسى، وأملاً في أن تقربها وجمعها قد يفيد  
القارئ.

وقد اشتمل هذا المجموع على موضوعات هي:

- ١- منهج السلف في العقيدة.
  - ٢- مصدر تلقي العقيدة عند السلف الصالح.
  - ٣- عبادة القلب.
  - ٤- معنى اسمه تعالى (السميع).
  - ٥- تعظيم حرّامات الله.
  - ٦- منزلة النبي ﷺ عند رب العالمين.
  - ٧- أخطاء عقديّة.
  - ٨- ظاهرة الهجوم على منهج السلف.
  - ٩- إضافة لى عبر ودروس من زيارة بلاد الروس.
- وأسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبدالرحمن الصالح المحمود

الرياض ١٤٣٤/٨/٣ هـ



الرسالة الأولى  
منهج السلف في العقيدة



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فالسلف - رحمهم الله - كان لهم منهج واضح في جوانب العقيدة، وفي  
مناهج الاستدلال، ومنهجهم هذا مدون معروف في كتب مستقلة، وضمن  
موسوعات الأئمة التي نقلوا فيها أقوال أئمة السنة، ومواقفهم وردودهم  
ومناقشاتهم. وفي الآونة الأخيرة كثرت البحوث والرسائل العلمية في بيان  
مناهجهم تفصيلاً وفي ردودهم على مخالفيهم.

ومن نعم الله على العباد انتشار هذا المنهج، وقبوله لدى كثير من الخاصة  
والعامة؛ وذلك لأسباب منها:

١ - وضوح المنهج في مصادر التلقي: من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ  
والإجماع والآثار، وهذه هي أسس الإسلام ومصدره التي لا يعرف  
المسلمون غيرها.

٢ - سهولة هذه العقيدة ويُسرُّها - حفظاً ودراسة وتعلُّماً وتعليماً، بخلاف  
تعقيدات الفلاسفة والمتكلمين والمذاهب الفاسدة.

٣ - صفاؤها ووضوحها في باب التوحيد والعبودية لله تعالى؛ فهي تصفي القلب  
عن التعلق بغير الله - تعالى - وتخلصه للعبودية لله الواحد القهار؛ بخلاف  
غيرها من المناهج التي لا تسلّم من جانب أو جوانب من الشرك والتعلق  
والطاعة للمخلوقين.

٤ - أن ما يخالف مذهب السلف من الطوائف والمذاهب لا تخلو من شروخ  
وخلل - كبير أو صغير - يصادم صحيح المنقول وصريح المعقول، وفي  
بعضها من الخرافات ما لا تقبله العقول السليمة.

وفي الآونة الأخيرة كثّر الهجوم على منهاج السلف من فئات وطوائف كثيرة، لكل منها أسبابه ودوافعه<sup>(١)</sup>، ومن ثمّ جاءت هذه الرسالة المختصرة مبيّنة أموراً كثيرة منها:

- ١ - التعريف بمصطلحات: السلف، أهل السنة، الجماعة، أهل الحديث.
- ٢ - المقصود بالسلف، ونشأة التسمية بأهل السنة والجماعة.
- ٣ - منهج السلف في العقيدة تفصيلاً.
- ٤ - ما تميز به السلف عن غيرهم.

وينبغي أن نعلم - ونحن في خضم هذه الأحداث والفتن - أن الحق إنما يعلو وينتشر ويتصوّر لأمر ليس منها الدعاوى الفارغة، أو السباب والشتيم، أو نصب رجال يدور معهم الحق حيث داروا، فلا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ، والرجال يُعرفون بالحق. وعلو الحق وثباته إنما يكون بأمور، على رأسها:

- ١ - قوة الدليل، فما كان دليله الكتاب والسنة الصحيحة، فقوته من قوتها.
- ٢ - سلامة منهج الاستدلال وصحته.
- ٣ - الإخلاص لله تعالى والمتابعة لرسول الله ﷺ.

وهذا ما كان عليه سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، ومن ثمّ بقي منهجهم: ثابتاً، قوياً، منتشرأً، مقبولأً، منصورأً.

أما ما خالفهم فقد تكون له في بعض الأحوال صولات وجولات، ولكن سرعان ما يستبين الأمر، ويتخلى عنه من خُدع به. فينزوي في دائرة النسيان أو في بعض بطون الكتب، فإن بقي له دعاة يدافعون عنه، فالأمة لا تقبلهم ولا تريد إلا دينها وعقيدتها وشرعيتها وكتاب ربها وسنة نبيها محمد ﷺ وسلفها

(١) انظر في ذلك رسالة مختصرة جداً بعنوان: ظاهرة الهجوم على منهج السلف، من إصدارات البيان.

الصالح، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١).

وأخيراً فإن هذه الرسالة كانت مقدمة لكتابي: موقف ابن تيمية من الأشاعرة. وأسأل الله - تعالى - أن ينفع بها الجميع وأن يرزقنا الإخلاص والسداد والثبات على الحق. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبدالرحمن الصالح المحمود  
الرياض ١٤٢٢/٤/٢٥ هـ



## تمهيد

إن مسألة الالتزام بمذهب السلف ليست مسألة اختيارية؛ من شاء سلكها، ومن شاء سلك غيرها، بل هي مسألة تتعلق بالإيمان بالله وبما جاء به كتابه وسنة رسوله ﷺ واتباعهما قولاً وعملاً، وهذا مما لا يختلف فيه أحد ممن ينتسب على الإسلام؛ ولذا تجد الفرق المنحرفة - على اختلاف فيما بينها - كل واحدة تزعم أنها تسير على ما سار عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وتحتج على أقوالها بالنصوص، وحينما تُعَدّد رجالاتها السابقين تذكر في الطبقة الأولى منهم الرسول وأصحابه، وهي مع ذلك منحرفة انحرافاً بيّناً؛ فهي تصادم النصوص، وأحياناً ترفض الاحتجاج ببعضها، وغالباً ترفض فهم الصحابة للنصوص وتفسيرهم لها.

ولذا فإنه لا بد للباحث المسلم أن ينطلق في بحثه من منطلقين:

أحدهما: الثقة المطلقة بمذهب السلف: (أهل السنة والجماعة) وأن يكون عنده يقين في ذلك لا يتزعزع أبداً.

والآخر: تحديد المقصود بالسلف: من هم؟ وما منهجهم؟ حتى يسلك طريقتهم على بصيرة ولا يتخبط في سيره بين المناهج الأخرى.

ولمّا كان المنطلق الأول مما لا يختلف حوله أحد - ولو بشكل مجمل - فإننا في هذا التمهيد نعرض للمنطلق الثاني من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بالسلف، وأهل السنة والجماعة، وأهل الحديث.  
المبحث الثاني: من هم المقصودون بالسلف؟ ونشأة التسمية بأهل السنة والجماعة.

المبحث الثالث: منهج السلف: (أهل السنة والجماعة) في العقيدة.



## المبحث الأول

## التعريف بالسلف وأهل السنة والجماعة وأهل الحديث

أولاً: السلف:

قال ابن فارس: (سلف): السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق، من ذلك: السلف الذين مضوا، والقوم السلاف: المتقدمون<sup>(١)</sup>.

هذا هو أصل هذه الكلمة لغوياً؛ ولذا قال في العباب الزاخر: (وسلف يسلف سلفاً: بالتحريك مثال: طلب يطلب طلباً؛ أي: مضى. قال الله تعالى: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾<sup>(٢)</sup> والقوم السلاف: المتقدمون، وسَلَفُ الرجل: آباؤه المتقدمون، والجمع أسلاف وسُلاف<sup>(٣)</sup>، ثم نقل عن أبي عبيد الهروي معاني السلف، ومنها: القرض، والسَّلْم، ثم قال: (وللسلف معنيان آخران: أحدهما كل عمل صالح قدّمه العبد أو قرّط فرط له، والسلف من تقدّمك من آبائك وذوي قرابتك)<sup>(٤)</sup>. وهذان المعنيان ذكرهما أهل غريب الحديث؛ ففي مشارق الأنوار: (والسلف: كل عمل صالح تقدم للعبد، ومنه قوله في الدعاء للطفل: «اجعله لنا فرطاً وسلفاً»<sup>(٥)</sup>؛ أي خيراً متقدماً نجده في الآخرة.

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: سلف: (٣/٩٥).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

(٣) العباب الزاخر: للحسن بن محمد الصفاني. حرف الفاء، مادة: (سلف).

(٤) المصدر السابق.

(٥) هذا الأثر مروى عن الحسن، وقد علقه البخاري في صحيحه: كتاب الجنائز، باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنائز: (فتح الباري: ٣/٢٠٣)، وذكره البخاري قبل حديث رقم: (١٣٢٥). وقد وصله ابن حجر كما في تغليق التعليق: (٢/٤٨٣، ٤٨٤)، وقد روى مسلم لفظة: (فرطاً وسلفاً) من حديث آخر مرفوع ونصه: «إن الله - تعالى - إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطاً وسلفاً بين يديها...» (مسلم، كتاب الفضائل، باب إذا أراد الله رحمة أمة قبض نبيها قبلها، ورقمه: ٢٢٨٨).

والسلف أيضاً: مَنْ تقدّمك من آبائك وقرابتك<sup>(١)</sup>، ومثله في النهاية ومجمع بحار الأنوار<sup>(٢)</sup>، ويشهد للمعنى الأخير: (من تقدمك من آبائك وقرابتك) حديث فاطمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال لها: «ولا أراني إلا قد حضر أجلي وأنت أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك»<sup>(٣)</sup>؛ أي المتقدم. وكذا لما ماتت ابنته قال: «الحقّي بسلفنا الصالح الخير، عثمان بن مظعون»<sup>(٤)</sup>. ومنه الدعاء لأهل القبور: «أنتم سلفنا ونحن بالأثر»<sup>(٥)</sup>؛ أي: المتقدمون.

ونستخلص من هذا أن من معاني السلف: التقدم والسبق؛ سواء كان بالعمل الصالح، أو مَنْ تقدم من الآباء وذوي القرابة وغيرهم، ومن هذا المعنى سمي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح<sup>(٦)</sup>. ولما حدث الافتراق ونشأت البدع بدأ يتحدد مصطلح السلف في عُرف المتأخرين بأنهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان. وسيأتي مزيد إيضاح ومناقشة لهذا بعد التعريف بالمصطلحات المرادفة لمصطلح (السلف)، مثل: أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث والأثر؛ لأن هذه المصطلحات اشتهرت وكثر استعمالها وخاصة في مجال أصول العقائد.

(١) مشارق الأنوار: (٢/٢١٩).

(٢) انظر النهاية لابن الأثير، مادة (سلف)، (٢/٣٩٠)، وانظر أيضاً: مجمع بحار الأنوار: محمد طاهر الصديقي، مادة: (سلف)، (٣/١٠٠)، وانظر: لسان العرب مادة: (سلف).

(٣) رواه مسلم، ورقمه: (٢٤٥٠) مكرراً، ورواه أحمد: (٦/٢٨٢).

(٤) رواه أحمد: (١/٢٣٧)، ورقمه عند أحمد شاکر: (٢٧ ١ ٢) وفيه: أنها زينب، ورواه أحمد أيضاً: (١/٣٣٥) ورقمه عند أحمد شاکر: (٣١٠٣) وفيه: أنها رقية.

(٥) رواه الترمذي ورقمه: (١٠٥٣) تحقيق: فؤاد عبدالباقي.

(٦) النهاية مادة: (سلف)، (٢/٣٩٠)، وتاج العروس مادة: (سلف).

ثانياً: أهل السنة:

السُّنَّة لغةً: السيرة والطريقة. قال ابن فارس: (سن: السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطرادُه في سهولة، والأصل قولهم: سنتت الماء على وجهي أسنه سنّاً، إذا أرسلتُ إرسالاً... ومما اشتق منه السُّنَّة، وهي السيرة، وسنة رسول الله - عليه السلام - سيرته<sup>(١)</sup>).

فالسنة هي الطريقة، محمودة كانت أو مذمومة وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق<sup>(٢)</sup>، ومنه الحديث: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن الأثير: (وقد تكرر في الحديث ذكر (السُّنَّة) وما تصرّف منها، والأصل فيها الطريقة والسيرة)<sup>(٤)</sup>، وفي الحديث: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»<sup>(٥)</sup>؛ أي طريقهم، وقولهم: (هي السنة)<sup>(٦)</sup> أي الطريقة التي سنّها النبي ﷺ وأمر بها<sup>(٧)</sup>؛ ولذلك صار لفظ السُّنَّة يطلق على ما كان محموداً، فيقال: فلان من أهل السُّنَّة. معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة<sup>(٨)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: (سنن) (٣/٦٠، ٦١)، وانظر: مجمل اللغة له: (٣/٥٤ - ٥٥)، ط. معهد المخطوطات - الكويت.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة (سنن).

(٣) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، ورقمه: (١٠١٧).

(٤) النهاية، مادة (سنن) (٢/٢٢٣).

(٥) رواه البخاري ورقمه: (٣٤٥٦)، وفتح الباري: (٦/٤٩٥)، ورواه مسلم ورقمه: (٢٦٦٩).

(٦) ترد كثيراً على لسان الصحابة والتابعين، انظر: صحيح مسلم حديث رقم: (٥٣٦).

(٧) مشارق الأنوار: (٢/٢٢٣).

(٨) انظر: لسان العرب، مادة (سنن).

أما السنة في الاصطلاح فلها عدة إطلاقات :

- ١ - ففي اصطلاح المحدثين: عرّفها ابنُ حجر بأنها: (ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما همّ بفعله)<sup>(١)</sup> وعرّفها بعضهم بأنها: (كل ما أثير عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة؛ سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها)<sup>(٢)</sup> فهي بهذا مرادفة للحديث.
- ٢ - وفي اصطلاح علماء أصول الفقه يطلق لفظ السنة على ما جاء منقولاً عن النبي ﷺ على الخصوص، مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز؛ بل إن ما نص عليه من جهته ﷺ كان بياناً لما في الكتاب أولاً<sup>(٣)</sup>، فهي مختصة بما صدر عن النبي ﷺ من غير القرآن مما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً<sup>(٤)</sup>.
- ٣ - وفي اصطلاح الفقهاء، هي: ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب<sup>(٥)</sup>، فهي مرادفة للمندوب.
- ٤ - وقد تُطلق السنة على كل ما دلّ عليه دليل شرعي؛ سواء كان ذلك في الكتاب العزيز، أو مأثوراً عن النبي ﷺ، أو اجتهد فيه الصحابة: كجمع المصحف، وتدوين الدواوين<sup>(٦)</sup>. ودخول ما اجتهد فيه الصحابة يدل عليه حديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»<sup>(٧)</sup>، وقول عليّ في

(١) فتح الباري: (٢٤٥/١٣)، المطبعة السلفية، وانظر: توجيه النظر: (ص ٣).

(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للسابعي: (ص ٤٧)، وانظر السنة قبل التدوين: (ص

١٦)، دراسات في الحديث النبوي للأعظمي: (١/١).

(٣) الموافقات للشاطبي: (٣/٤)، وانظر: النهاية لابن الأثير: (٤٠٩/٢).

(٤) انظر: السنة قبل التدوين: (ص ١٦).

(٥) انظر: إرشاد الفحول: (ص ٣١).

(٦) السنة للسابعي: (ص ٤٨)، وانظر: الموافقات: (٤/٤ - ٦).

(٧) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ورقمه: (٢٦٧٦)،

تحقيق عطوة، ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم لزوم السنة، ورقمه: (٤٦٠٧).

الخمر: (جَلَدَ النبي ﷺ أربعين، وجَلَدَ أبو بكر أربعين، وجَلَدَ عمر ثمانين، وكلُّ سنة<sup>(١)</sup>).

٥ - كما تطلق السنة مقابل البدعة، (فيقال: فلان على سنة، إذا عمل على وفق ما عمل عليه السلام؛ كان ذلك مما نص عليه الكتاب أو لا)<sup>(٢)</sup>.

هذه أهم إطلاقات السنة عند العلماء<sup>(٣)</sup>، والذي يهمنا هنا هو اصطلاح: (السنة) حينما يقال: (أهل السنة) في مجال العقائد؛ خاصة لما حدث الافتراق في الأمة الإسلامية. يقول ابن رجب: (وعن سفيان الثوري قال: «استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء»<sup>(٤)</sup>).

ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات؛ ولهذا كان الفضيل بن عياض يقول: «أهل السنة من عرف ما يدخل في بطنه من حلال»<sup>(٥)</sup>؛ وذلك لأن أكل الحلال من أعظم خصال السنة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - ثم صار في عُرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم: السنة عبارة عما سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل

(١) رواه مسلم ورقمه: (١٧٠٧)، وأحمد: (٨٢/١)، ورقمه عند أحمد شاكراً: (٦٢١).

(٢) الموافقات: (٤/٤).

(٣) يطلق لفظ: (أهل السنة) في مقابل الرافضة، كما أن الرافضة يعنون به من عداهم. يقول ابن تيمية في منهاج السنة: (١٦٣/٢)، (فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة؛ فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى... وهذا الرافضي: (يعني المصنف) جعل أهل السنة بالاصطلاح الأول وهو اصطلاح العامة: كل من ليس برافضي قالوا: هو من أهل السنة).

(٤) رواه اللالكائي في شرح السنة، رقم: (٤٩).

(٥) رواه بلفظ مقارب اللالكائي في شرح السنة، رقم: (٥١)، وأبو نعيم في الحلية: (١٠٤/٨).

الصحابة، وصنفوا في هذا العلم تصانيف وسموها كتب السنة، وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة؛ لأن خطره عظيم، والمخالف فيه على شفا هلكة، وأما السنة الكاملة فهي الطريقة السالمة من الشبهات والشهوات<sup>(١)</sup>.

وهذا الذي ذكره ابن رجب - رحمه الله - استقر عليه مصطلح أهل السنة؛ ولذلك لما وصل السمعاني في الأنساب إلى ذكر من نسب إلى السنة فقيّل: (السُّني) قال: (السني: بضم السين المهملة، وتشديد النون المكسورة، هذه النسبة إلى السُّنة التي هي ضد البدعة، ولما كثر أهل البدع خصوا بها جماعة بهذا الانتساب)<sup>(٢)</sup>، ولما سأل عمر بن عبدالعزيز رجل عن القدر أجابه بجواب طويل أوّله: (أما بعد، أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره<sup>(٣)</sup>، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته، وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السُّنة؛ فإنها لك - بإذن الله - عصمة)<sup>(٤)</sup> فأمره - وهو يجيبه عن موضوع القدر وما أحدث فيه أهل البدع - بلزوم السُّنة وأن فيها وحدها العصمة من الانحراف.

### ثالثاً: الجماعة:

يقال: (أهل السُّنة والجماعة)، وقد ورد الأمر بلزوم الجماعة في عدة أحاديث، منها ما رواه ابن عمر - رضي الله عنه - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خطب بالجابية<sup>(٥)</sup>، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال: «استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب؛ حتى إن الرجل ليبتدي بالشهادة قبل أن يُسألها؛ فمن أراد منكم

(١) كشف الكربة: (ص ١٩ - ٢٠).

(٢) الأنساب: (١٧٥/٧)، ط لبنان.

(٣) أي التوسط بين الإفراط والتفريط. حاشية سنن أبي داود: (١٩/٥)، ط الدعاس.

(٤) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ورقمه: (٤٦١٢)، ط الدعاس.

(٥) الجابية: قرية بدمشق. تحفة الأحوذى: (٢٠٧/٣) هندية.

بجبة<sup>(١)</sup> الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.». <sup>(٢)</sup>، وفي بعض روايات حديث الافتراق أن الفرقة الناجية: الجماعة<sup>(٣)</sup>، وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة التي بعدها كفارة لما بينها. قال: والجمعة إلى الجمعة والشهر إلى الشهر: (يعني رمضان إلى رمضان كفارة لما بينهما). قال: ثم قال بعد ذلك: إلا من ثلاث. قال: فعرفت أن ذلك الأمر حدث: إلا من الإشراف بالله، ونكث الصفقة، وترك السنة. قال: أما نكث الصفقة أن تبايع رجلا ثم تخالف إليه تقائله بسيفك، وأما ترك السنة فالخروج

(١) في بعض الألفاظ منها لفظ الترمذي: «بجوبة الجنة»؛ والمعنى: وسطها وخيارها. تحفة الأحوذى: (٢٠٧/٣) هندية.

(٢) رواه أحمد: (١٨/١، ٢٦)، وهو في المسند تحقيق شاكر برقم: (١١٤ - ١٧٧). ورواه الترمذي في الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ورقمه: (٢١٦٥) تحقيق إبراهيم عطوة، وقال في الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح غريب)، ورواه الحاكم في المستدرک: (١١٤ - ١١٥)، من طرق وصححه ووافقه الذهبي. ورواه ابن أبي عاصم في السنة: (٤٢/١) من عدة طرق وصححه الألباني.

(٣) منها: رواية معاوية - رضي الله عنه - رواه الإمام أحمد: (١٠٢/٣)، وأبو داود، كتاب السنة، رقم: (٤٥٩٧)، ط الدعاس، والحاكم في المستدرک: (١٢٨/١)، والدارمي: (١٥٨/٢) برقم: (٢٥١٢)، ط اليماني، والآجري في الشريعة: (ص ١٨)، وابن أبي عاصم: (٣٤/١) - (٣٥)، واللالكاني في شرح السنة: (١٠١/١ - ١٠٢)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر أحاديث الكشاف: (ص ٦٣)، (ملحق في آخر الكشاف للزمخشري). وجوّد إسناده العراقي، إحياء علوم الدين: (٣/٢٥٥)، وقال عنه ابن تيمية: (هذا حديث محفوظ)، اقتضاء الصراط المستقيم: (١١٨/١) النخسة المحققة. وصححه الألباني: السلسلة الصحيحة، رقم: (٢٠٤). ومنها: رواية عوف بن مالك - رضي الله عنه - رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، رقم: (٣٩٩٢) وابن أبي عاصم: (٣٢/١)، واللالكاني: (١٠١/١)، وإسناده حسن، وذكره الألباني في الصحيحة رقم: (١٤٩٢). ومنها: رواية أنس بن مالك - رضي الله عنه - رواها الإمام أحمد: (٣/١٢٠ - ١٤٥)، وابن ماجه في الفتن، ورقمه: (٣٩٩٣)، واللالكاني: (١٠٠/١)، والآجري في الشريعة: (ص ١٦ - ١٧)، والطبراني في الصغير: (٢٥٦/١)، والعقبلي في الضعفاء الكبير: (٢/٢٦٢)، ويصح بمجموع طرقه.

من الجماعة»<sup>(١)</sup>، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلامات ميتة جاهلية»<sup>(٢)</sup>، وغيرها من الأحاديث التي وردت بالأمر بلزوم الجماعة، والنهي عن الخروج عليها.

وقد اختلف العلماء في المقصود بالجماعة على أقوال أهمها:

١ - أن الجماعة هم الصحابة دون من بعدهم، (فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أبداً)<sup>(٣)</sup>، وهذا القول مروى عن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - ومما روي عنه أنه قال: (سن رسول الله ﷺ وولاية الأمر من بعده سنناً، الأخذ بها تصديق بكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتدي، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وصلاه جهنم وساءت مصيراً)<sup>(٤)</sup>. قال مالك: (فأعجبني عزم عمر على ذلك)<sup>(٥)</sup>.

فعلى هذا القول فلفظ الجماعة مطابق للرواية الأخرى لحديث الافتراق؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه

(١) رواه أحمد: (٢٢٩/٢)، وهو في مسند شاكر برقم: (٧١٢٩) وصححه، ورواه الحاكم:

(١١٩/١ - ١٢٠) وقال: (صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة، وواقفه الذهبي).

(٢) رواه البخاري في الفتن، ورقمه: (٧٠٥٤)، وفي الأحكام ورقمه: (٧١٤٣)، ورواه مسلم في الإمارة، ورقمه: (١٨٤٩).

(٣) الاعتصام: (٢٦٢/٢)، وانظر: فتح الباري: (٣٧/١٣).

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم: (٢٢٨/٢) بسنده إلى مالك عن عمر بن عبدالعزيز، وأيضاً

رواه أبو نعيم في الحلية: (٣٦٤/٦)، والآجري في الشريعة في عدة مواضع، (ص: ٤٨، ٦٥،

٣٠٧)، واللالكائي في شرح السنة رقم: (١٣٤). ولكن هذا الكلام مروى عن مالك، رواه

الخطيب في شرف أصحاب الحديث: (ص ٧)، والذهبي في سير أعلام النبلاء: (٨٨/٨).

(٥) الاعتصام: (٢٦٣/٢).

وأصحابي<sup>(١)</sup>، والصحابة لهم خصوصيات كثيرة؛ فهم الذين شاهدوا التنزيل، وسمعوا من الرسول، فلهم من العلم والفضل، والاقتداء ما ليس لغيرهم ممن جاء بعدهم.

٢ - وقيل: إن الجماعة هم أهل الحديث، أو أهل العلم<sup>(٢)</sup> المجتهدون؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين<sup>(٣)</sup>، وهذا رأي الإمام البخاري قال: (باب: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٤)</sup>، وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم<sup>(٥)</sup>، وهو رأي الإمام أحمد - رحمه الله - فإنه قال عن الجماعة: (إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟)<sup>(٦)</sup>، وهو رأي الترمذي الذي قال: (وتفسر الجماعة عند أهل العلم: هم أهل الفقه والعلم والحديث)<sup>(٧)</sup>، وهو رأي ابن المبارك، وعلي بن المدني،

(١) رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، كتاب الإيمان، ورقمه: (٢٦٤١)، ورواه الحاكم: (١٢٨/١ - ١٢٩)، والآجري في الشريعة من طريقين، (ص: ١٥ - ١٦)، واللالكائي في شرح السنة، رقم (١٤٥ - ١٤٧)، والعقيلي في الضعفاء الكبير: (٢/٢٦٢)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها: (ص ٨٥). وقال فيه الترمذي: (هذا حديث حسن، غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه). قال في تحفة الأحوزي: (في سننه عبدالرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب. قول الترمذي: (مفسر) اسم مفعول من التفسير، أي: مبين، بين فيه ما لم يبين في حديث أبي هريرة المتقدم)، تحفة الأحوزي: (٣/٣٦٨)، هندية، وذكره ابن تيمية محتجاً به؛ حيث نقل تحسين الترمذي له. اقتضاء الصراط المستقيم: (١/١١٦) المحققة.

(٢) يلاحظ أن بعض العلماء عبّر عن الحديث بالعلم، فالخطيب البغدادي سمى كتابه: تقييد العلم، وابن عبدالبر سمى كتابه: جامع بيان العلم وفضله، وقصدهم الحديث.

(٣) فتح الباري: (٣٧/١٣).

(٤) سورة البقرة: ١٤٣.

(٥) صحيح البخاري: فتح الباري: (٣١٦/١٣).

(٦) شرف أصحاب الحديث: (ص ٢٥).

(٧) سنن الترمذي: (٤/٤٦٥).

وأحمد بن سنان الذي قال: (هم أهل العلم وأصحاب الآثار)<sup>(١)</sup>.  
 فعلى هذا القول فالجماعة هم أهل السنة العالمون المجتهدون، فيخرج منهم  
 المبتدعة، كما يخرج العامة المقلدة؛ لأن الغالب فيهم أنهم تبع للعلماء.  
 ٣ - وقيل: إن الجماعة هم السواد الأعظم، وعليه رواية الافتراق التي أخبر  
 النبي ﷺ فيها أن الفرقة الناجية هم السواد الأعظم<sup>(٢)</sup>. قال في النهاية: (عليكم  
 بالسواد الأعظم<sup>(٣)</sup>)؛ أي جملة الناس ومعظمهم، الذين يجتمعون على طاعة  
 السلطان وسلوك النهج القويم<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن مسعود - رضي الله عنه - في إحدى خطبه: (يا أيها الناس عليكم  
 بالطاعة والجماعة، فإنهما السبيل في الأصل إلى حبل الله الذي أمر به، وإن ما  
 تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة)<sup>(٥)</sup>.

ويقول أبو غالب - رحمه الله -: (إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق،  
 فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية؛ سواء  
 خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم فهو مخالف للحق)<sup>(٦)</sup>.

ويقول أبو مسعود الأنصاري - رضي الله عنه - حين خرج ونزل في طريق

(١) شرف أصحاب الحديث: (ص ٢٦ - ٢٧).

(٢) رواه الطبراني في الكبير من طرق: (٨/ ٣٢١ - ٣٢٨)، واللالكائي في شرح السنة من طريقين،  
 رقمها: (١٥١ - ١٥٢)، وابن أبي زئيم في أصول السنة: (ص ٣٦) من المخطوطة، والحارث  
 ابن أبي أسامة كما في المطالب العالية: (٣/ ٨٦)، كما رواه مختصراً بدون ذكر الافتراق: أحمد  
 والترمذي وابن ماجه في قصة الخوارج. قال في مجمع الزوائد: (٦/ ٢٣٤)، (ورواه الطبراني  
 ورجاله ثقات).

(٣) رواه ابن ماجه مرفوعاً في الفتن، رقمه: (٣٩٥٠)، وإسناده ضعيف، وروي موقوفاً عن أبي  
 أمامة. مسند أحمد: (٤/ ٢٧٨)، وعن عبدالله بن أبي أوفى، المسند أيضاً: (٤/ ٣٨٣).

(٤) النهاية: (٦/ ٤١٩).

(٥) رواه اللالكائي، رقم: (١٥٨ - ١٥٩)، والأجري في الشريعة: (ص ١٣).

(٦) الاعتصام: (٢/ ٢٦٠).

القادسية وقال له أصحابه: اعهد إلينا، فإن الناس قد وقعوا في الفتنة فلا ندري أنلقاك بعد اليوم أم لا. فقال: (اتقوا الله واصبروا حتى يستريح بار أو يُستراح من فاجر، وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمته على الضلالة)<sup>(١)</sup>.

يقول الشاطبي معقّباً: (فعلى هذا القول يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة وعلمائوها، وأهل الشريعة العاملون بها، ومن سواهم داخلون في حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم؛ فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبه الشيطان، ويدخل في هؤلاء جميع أهل البدع؛ لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة، لم يدخلوا في سوادهم بحال)<sup>(٢)</sup>. ويقول الآجري: (فمن أراد الله - تعالى - به خيراً فتح له باب الدعاء، والتجأ إلى مولاه الكريم وخاف على دينه، وحفظ لسانه، وعرف زمانه، ولزم الحجة الواضحة السواد الأعظم)<sup>(٣)</sup>.

٤ - وقيل: إن الجماعة هم جماعة أهل الإسلام أجمعوا على أمر من أمور الشرع؛ سواء في أمور الأحكام أو المعتقدات. يقول الكرمانى: (يلزم على المكلف متابعة حكم الجماعة والاعتصام به؛ وهو اتفاق المجتهدين من الأمة في عصر على أمر ديني)<sup>(٤)</sup> فهذا القول يفسر الجماعة بأهل الإجماع؛ ولذا فهو قريب من القول الثاني.

٥ - أن الجماعة: هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير، وهذا رأي الطبري الذي ذكر الأقوال السابقة، ثم قال: (والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة)<sup>(٥)</sup>؛ ولذا أمر النبي بلزومه، ونهى عن الخروج عليه، وفراق الأمة

(١) رواه اللالكاني، ورقمه: (١٦٢ - ١٦٣).

(٢) الاعتصام: (٢/٢٦١).

(٣) الشريعة: (ص ٤٤).

(٤) شرح الكرمانى على البخاري: (٧٥/٢٥).

(٥) فتح الباري: (٣٧/١٣).

فيما أجمعوا عليه من تأميره وتقديمه عليهم<sup>(١)</sup>.

هذه أهم الأقوال في الجماعة وحاصلها أن الجماعة ترجع إلى أمرين: أحدهما: أن الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها.

الثاني: أن الجماعة ما عليه أهل السنة من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الاجماع، أو السواد الأعظم؛ فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فيجب الاتباع حينئذ؛ ولو كان المتمسك بهذا قليلاً، ولهذا قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : (إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك)<sup>(٢)</sup>، وروي عنه أنه قال: (إنما الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك)<sup>(٣)</sup>.

يقول أبو شامة: (حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وأتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلاً والمخالف كثيراً؛ لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من النبي ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - ولا تنظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم)<sup>(٤)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً، واتباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات

(١) انظر الاعتصام: (٢/٢٦٤ - ٢٦٥).

(٢) رواه اللالكاني في شرح السنة، ورقمه: (١٦٠).

(٣) الحوادث والبدع لأبي شامة: (ص ٢٢).

(٤) المصدر السابق: (ص ٢٢).

الأمر، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup>، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً للقوم المجتمعين أنفسهم، و(الإجماع) هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين، وهم يَزِنُون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين<sup>(٢)</sup>.

ولهذا نجد أحياناً بعض العلماء يفسرون الجماعة بأشخاص تمثل فيهم المنهج الحق والاتباع؛ فعبد الله بن المبارك لما سئل عن الجماعة قال: (أبو بكر وعمر، فقيل له قدمات أبو بكر وعمر. قال: ففلان وفلان، قيل له: قدمات فلان وفلان. قال ابن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة)<sup>(٣)</sup>. فأراد ابن المبارك أن يفسر الجماعة بمن اجتمعت فيه صفات الاتباع الكامل للكتاب والسنة.

رابعاً: أهل الحديث:

تقدم في القول الثاني من الأقوال في المقصود بالجماعة: أنهم أهل الحديث، وأن هذا قال به جماعة من أهل العلم كالبخاري والإمام أحمد، والترمذي، وابن المبارك، وابن المديني، وأحمد بن سنان، وغيرهم. ولذلك صار عند كثير من العلماء أن الفرقة الناجية التي يجب السير على منهاجها هم أهل الحديث. ولذلك فإننا سنعرّف بهم هنا:

(١) سبق تخريجه عند الكلام عن معنى (أهل السنة).

(٢) مجموع الفتاوى، ط الرياض: (١٥٧/٢).

(٣) سنن الترمذي: (٤٦٧/٤) بعد حديث رقم: (٢١٦٧)، تحقيق: عطوة، وشرح السنة للبغوي:

(٢٠٥/١) ت: السيد صقر.

الحديث في اللغة ضد القديم<sup>(١)</sup>، وفي الاصطلاح: عرفه بعضهم بأنه: (ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصفٍ خلقي أو خلقي)<sup>(٢)</sup>، وعلى هذا فلا يشمل الموقوف والمقطوع<sup>(٣)</sup>، ولكن جمهور العلماء ذهبوا إلى أنهما من الحديث<sup>(٤)</sup>.

علم الحديث: قسمان:

أولاً: علم الحديث رواية: وهو: (علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقاريره وصفاته، وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها)<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: علم الحديث دراية: وهو: (علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن)<sup>(٦)</sup>، وهو ما يعرف بمصطلح الحديث.

وإذا قيل: (أهل الحديث)، فالمقصود بهم الذين يُعَنَوْنَ بحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية، ولكن لا بد لهؤلاء - حتى يكونوا من أهل الحديث حقاً - أن يكونوا عالمين وعاملين، وأن يكونوا مطبقين لما يتعلمونه، متبعين للسنة مجانبين للبدعة، وبهذه الأمور يتمييزون عن أهل الأهواء، أما إذا كانوا لا يعملون بعلمهم - كما يحدث من بعض من ينتسب إلى الحديث - فقد اشدت نكير العلماء على مثل هؤلاء<sup>(٧)</sup>.

(١) الصحاح للجوهري، مادة: حدث.

(٢) منهج النقد في علوم الحديث: (ص ٢٦).

(٣) الموقوف: ما أضيف إلى الصحابي، والمقطوع: ما أضيف إلى التابعي.

(٤) منهج النقد: (ص ٢٧)، وانظر: نزهة النظر: (ص ١٨).

(٥) تدريب الراوي: (١/ ٤٠).

(٦) المصدر السابق: (١/ ٤١).

(٧) انظر - مثلاً -: جامع بيان العلم وفضله: (ص ٢٢٩٤١) وما بعدها، وشرف أصحاب الحديث:

(ص ١٢٠) وما بعدها.

وقد روي عن هارون الرشيد أنه قال: (طلبت أربعة فوجدتها في أربعة: طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبتُ الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته في الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث)<sup>(١)</sup>، ويروي الخطيب عن أحمد بن سنان قال: (كان الوليد الكرابيسي خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: فتتهموني؟ قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم)<sup>(٢)</sup>.

فأهل الحديث مرادف لأهل السنة. يقول اللالكائي: (فلم نجد في كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته إلا الحث على الاتباع، وذم التكلف والاختراع؛ فمن اقتصر على هذه الآثار كان من المتبعين، وكان أولاهم بهذا الاسم، وأحقهم بهذا الوسم، وأخلصهم بهذا الرسم (أصحاب الحديث) لاختصاصهم برسول الله ﷺ واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه)<sup>(٣)</sup>، ثم يعلل وجه تسميتهم بأهل الحديث بأن اسمهم مأخوذ من الكتاب والسنة لاتباعهم ما فيهما؛ فهم حملة القرآن وأهله وقراؤه وحفظته، وهم نقلة حديث رسول الله وحملته<sup>(٤)</sup>.

هذه تعريفات للمصطلحات التي تطلق على السلف، أصحاب المذهب الحق، والمنهج الحق، وهي كلها تدل على معنى واحد، ولذلك يمكن أن يفسر بعضها بما تدل عليه معاني بعضها الآخر، فهم الجماعة، وهم أهل السنة، وهم أيضاً أهل الحديث، وهم الطائفة المنصورة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «لاتزال طائفة

(١) شرف أصحاب الحديث: (ص ٥٥).

(٢) المصدر السابق: (٥٦).

(٣) شرح السنة للالكائي: (٢٢/١).

(٤) انظر: المصدر السابق: (٢٤/١).

من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»<sup>(١)</sup>، وفي لفظ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، ورقمه بعد حديث رقم: (١٩٢٣).

(٢) رواه مسلم، ورقمه: (١٩٢٠)، عن ثوبان، ورواه البخاري عن المغيرة بن شعبة، ورقمه: (٢٦٤٠)، وهذا الحديث مروى في جميع كتب السنة - تقريباً - عن عدد كبير من الصحابة، فهو

## المبحث الثاني

### من المقصود بالسلف ونشأة التسمية بأهل السنة والجماعة

أولاً: من المقصود بالسلف؟

لقد تنوعت الآراء والمذاهب حول المقصود بمذهب السلف، وعلى من ينطبق وصف (السلف) الذين يجب اتباع مذهبهم والسير على منهاجهم؟ والسبب أن كل فئة تنطلق من وضعها الخاص بها وتدعي أن ما معها هو المذهب الحق؛ لذلك نجد هذه الفئة تحدد المقصود بالسلف بما يتم مع ما عندها من أصول عقائدية، أو منهج ارتضته للوصول إلى ما يجب اعتقاده.

١ - فأحياناً يتجه بعض<sup>(١)</sup> المحدثين إلى حصر مذهب السلف بفترة معينة لا يتعداها، ثم يزعم أن الفكر الإسلامي قد تطور بعد ذلك على يد رجاله وهذا التطور لا ينحصر عنده في نطاق فئة معينة، وإنما كل ما ظهر من الآراء والفرق منتسباً بعمومه إلى الإسلام فهو جزء منه، ولو خالف ما كان عليه السلف في المنهج والفهم والاعتقاد؛ وعلى هذا فالمعتزلة والرافضة، بل الجهمية والباطنية هم نتاج مذهب السلف بعد تطويره وبعثه، وتجريده من ثوبه التقليدي البسيط إلى لباس العقل الفلسفي والتأويل الكلامي والباطني.

ولذلك فكثيراً ما يزعم بعض هؤلاء أن عقيدتهم هي التعبير الصحيح عن مذهب السلف وأن مذهب السلف - بشكله المعروف - إنما ناسب الزمن الذي نشأ فيه، وأن رجاله الأوائل لو عاشوا إلى الزمن الذي بعدهم لطوروه إلى المستوى الذي وُجِدَ عليه فيما بعد.

٢ - وبعضهم يفهم أن السلف نصيُّون، يعتمدون على النصوص فقط، أما العقل فلا يعتمدون عليه في شيء أبداً، فهم يسلمون فقط لظاهر النصوص دون

(١) أمثال مصطفى غالب، وعارف تامر وغيرهم ممن يُعتَوَن ويميلون إلى الأفكار الباطنية والفلسفية.

فهم لها ، ويكلون علمها (معانيها وكيفيتها) إلى الله تعالى ؛ ولذلك فقد شغلوا أنفسهم بما يرون أنه أنفع من العبادة والجهاد في سبيل الله ، وإقراء القرآن ، ونقل الحديث وروايته .

والعجيب أن مفهوم هؤلاء عن السلف ومنهجهم منتشر بين جمهرة كبيرة من العلماء الذين نحوا منحىً كلامياً في عقائدهم أو في كتبهم حول العقيدة ، وأيضاً من الذين كتبوا حول الفلسفة وعلم الكلام ، أو أية قضية من قضاياها ، ولذلك انتشرت بين هؤلاء جميعاً عبارة : مذهب السلف هو التفويض ، أو عبارة بعض السلف (أمرؤها كما جاءت) ، أو أن مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم<sup>(١)</sup> .

أما العقل عند السلف - على رأي هؤلاء - فلا يُعتمد عليه مطلقاً ، ولا أدري ما يصنع هؤلاء بالدلائل العقلية التي جاء بها القرآن والسنة ، وهي التي استخدمها في العصر الأول ؟

ويعلل هؤلاء نشوء ما يسمى بمذهب (الخلف) أو (علم الكلام) بأنه لما كثرت الشبهات التي تثار ضد العقيدة الإسلامية ، رأى علماء الإسلام أنه لا يكفي للرد عليها وإبطالها وحماية الناس - وخاصة العامة منهم - من شرورها وآثارها لا يكفي في ذلك الاعتماد على مذهب السلف النصي ، فنشأ علم الكلام بمباحثه العقلية والكلامية ليرد الشبهات ويثبت العقيدة ويظهر الحجج لها في أجواء سادت فيها مذاهب الفلاسفة والجهمية والمعتزلة والقرامطة .

فهل فهم هؤلاء لمذهب السلف كان صحيحاً حين قصره على الإيمان بالنصوص والتسليم دون فهم أو اقتناع ؟

٣ - وتأتي فئة أخرى تزعم أن ما نشأ من الدراسات العقلية في علم الكلام لم ينشأ من المؤثرات الخارجية والشبهات التي ثارها أعداء العقيدة - وإن كان

(١) كما هو منتشر في كتب كثير من الأشعرية وغيرهم .

قد تطور بسببها - وإنما نشأ من مذهب السلف نفسه، وأن بواكير الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام إنما جاءت من القرآن الكريم؛ ففيه المجادلة للمخالفين من أهل الديانات الأخرى وغيرهم، وفيه ذكر الحكمة التي كانت معروفة عند العرب وكان يُفْتَحَرُ بأصحابها، وأن ما نشأ من البحث حول الاجتهاد في الأحكام الشرعية - وهو يسمى بأصول الفقه - إنما هو بداية ظهور الاتجاه العقلي عند المسلمين<sup>(١)</sup>.

فالذي يُفَهَم من هذا أن السلف - رحمهم الله تعالى - كانوا يحترمون النصوص، ولكن من خلال منظار عقلي استخدموه ونشأ على أثره علم الكلام؛ فكيف يصح هذا على إطلاقه مع ما هو متواتر عن السلف من الإيمان والتسليم والثقة المطلقة بما جاءت به النصوص، وأن هذه الثقة توجد على أتمها حين تَرِد على النفس أو يورد بعض الناس شبهات أو وساوس حولها؟

٤ - وإذا كانت الآراء السابقة تنحو منحاً خاصاً في فهم المقصود بمذهب السلف، فإن هناك اتجاهاً آخر يزعم أصحابه أن مذهب السلف يشتمل على عدة اتجاهات وتيارات، وأن هذه التيارات إن تباينت في المنهج إلا أنها تلتقي في أنها قامت ونشأت على يد علماء الإسلام ممن هم من أهل الدين والفضل والعلم بالأحكام. يقول ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: (اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصلة لذلك، وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف:

الأولى: أهل الحديث، ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية: الكتاب والسنة والإجماع.

(١) انظر: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبدالرزاق، (ص ١١٥ - ١٢٣)، وانظر: المدرسة السلفية، حسين نصار، (ص ٦٢٤ - ٦٢٥).

الثانية: أهل النظر العقلي، وهم الأشعرية والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية: أو منصور الماتريدي، وهم متفقون في المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط، والعقلية والسمعية في غيرها، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسائل.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم الصوفية، ومبادئهم مبادئ أهل النظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النهاية<sup>(١)</sup>. وهكذا يخلط بين اتجاه أهل الحديث، والاتجاه التأويلي للأشعرية والماتريدية، واتجاه الكشف عند المتصوفة ليصبح كل اتجاه منها هو مذهب أهل السنة والجماعة.

وهذه الاتجاهات والآراء حول تحديد المقصود بالسلف نشأ الخطأ في كل واحد منها من جهة أنه لم ينطلق أصحابها من منطلق شرعي واضح، مبني على الكتاب والسنة اللذين أمرا بالاتباع ونهيا عن الابتداع، وحددا معالم المنهج والطريق الذي يجب السير فيه، ومن ثمّ يجب اتباع من سار على هذا الطريق المستقيم.

ومما ينبغي ملاحظته أننا إذا أردنا أن نبيّن القول الصحيح في تحديد من هم الذين يَصُدَّق عليهم اسم السلف، تبرز بعض الملاحظات والاعتراضات:

١- فمثلاً: حين نقول: إن السلف هم الصحابة والتابعون والتابعون لهم للحديث الوارد: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم...»<sup>(٢)</sup>. ويرد الاعتراض بأن التفرق والاختلاف نشأ في عهد هؤلاء؛ فالخوارج والشيعة والقدرية وُجدوا في عهد الصحابة، وكذا بقية الفرق بعد هؤلاء بقليل؛ فهل وجود هؤلاء في هذه الفترة الزمنية التي هي خير القرون يعطيهم صفة السلفية المفضلة؟ وإذا كان

(١) إشارات المرام للبياضي (الحاشية): (ص ٢٩٨).

(٢) رواه البخاري، في الشهادات، ورقمه: (٢٦٥١)، وانظر أطرافه بعد ذكر الحديث. ورواه مسلم في فضائل الصحابة، وأرقامه: (٢٥٣٣ - ٢٥٣٦).

الجواب - قطعاً - بالنفي فلا بد من التقييد لمثل هذا الاطلاق في تحديد من هم السلف؛ بحيث لا يقتصر على التحديد الزمني فقط.

٢- كذلك حينما يقال: إن السلف هم الذين يعتمدون في أقوالهم على الكتاب والسنة، وهنا يبرز اعتراض خلاصته: من الذي يُعتمد عليه في فهم الكتاب والسنة، وخاصة أن الفرق كلها تدعي الاعتماد على القرآن والسنة؟ فالإطلاق هكذا يحتاج إلى بيان وإيضاح.

٣- وكذلك حين يحصر بعض الناس مذهب السلف بالأئمة الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد؛ فمن كان قبل هؤلاء من الصحابة والتابعين أليسوا أوفى بوصف السلف؟

لذلك لا بد من التحديد الدقيق للتعريف بالسلف؛ بحيث يشمل:

أولاً: التحديد الزمني: ليشمل الصحابة والتابعين والتابعين لهم بإحسان، وهذا لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف، وفائدة هذا التحديد الرجوع إلى أقوال رجال هذا الزمن وإلى فهمهم عند الاختلاف الذي قد ينشأ فيمن بعدهم. وهذه مسألة مهمة جداً؛ إذ الخلاف الحاصل بعد القرون المفضلة بين من يتمسك بمذهب السلف ومن عاداهم من أهل الأهواء والبدع لا يمكن حسمه إلا بالاتفاق على مثل هذا التحديد التاريخي ليُحتَكَمَ إلى إجماعهم - إذا أجمعوا - أو أقوالهم، أو فهمهم للنصوص. ولا يعني هذا حصر مذهب السلف في هؤلاء؛ لأن كل من قال بقولهم فهو على منهجهم وإن تأخر.

ثانياً: ثم يأتي بعد ذلك بيان أن الفهم والمنطلق يجب أن يكون بما يوافق الكتاب والسنة؛ فمن ابتدع في أمر من الأمور واتخذ لبدعته منهجاً خاصاً، لا يكون قوله قولاً للسلف، ولو كان هذا في القرون الأولى؛ لأن وجوده في هذا الزمن لا يكفي للحكم عليه بأنه سائر على مذهب السلف.

ثالثاً: بعد ظهور الافتراق يصبح مدلول (السلف) منطبقاً على من حافظ (على العقيدة والمنهج الإسلامي، طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقّوه جيلاً بعد جيل)<sup>(١)</sup>. فمن سار على طريقة الصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين اتبعوا ولم يتدعوا فهو سائر على مذهب السلف، وهو أيضاً بالنسبة لمن بعده من السلف.

والخلاصة: أن مصطلح السلف صار له مدلولان:

- \* مدلول خاص: وهذا ينطبق على مذهب الصحابة والتابعين، والتابعين لهم بإحسان، ممن لم يتدعوا، وهذا فيه حصر تاريخي.
- \* ومدلول أعم: يشمل ما بعد هذه القرون المفضلة، وهذا شامل لكل من سار على طريقة ومنهج خير القرون، والتزم النصوص والفهم الذي فهموه<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة:

إذا كان مذهب أهل السنة والجماعة هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإطلاق القول بنشأة أهل السنة كأن يقال: نشأة المعتزلة، أو الجهمية، أو نشأة الرافضة لا معنى له؛ لأنه واضح تمام الوضوح، ولذلك آثرنا أن يكون العنوان: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة كمصطلح عليهم. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم، معروف، قبل أن يخلق الله أباحنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقّوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة؛ فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم)<sup>(٣)</sup>.

(١) قواعد المنهج السلفي، مصطفى حلمي: (ص ٢٣)، ط ثانية.

(٢) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) منهاج السنة: (٢/٤٨٢) تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى.

والمتتبع لنشأة التسمية بأهل السنة يلاحظ أنها ارتبطت بالإمام أحمد، رحمه الله؛ وليس ذلك لأن الإمام أحمد هو الذي أنشأه؛ وإنما لأنه هو الإمام الذي امتحن فيه فصبر فصار إماماً من أئمة أهل السنة. يقول شيخ الإسلام بعد الكلام السابق:

(وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله عَلِمَهَا ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة، فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المئة الثالثة في عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس إلى التجهم وإبطال صفات الله تعالى؛ وهو المذهب الذي ذهب إليه متأخرو الرافضة، وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوه من ولاية الأمور، فلم يوافقهم أهل السنة حتى هددوا بعضهم بالقتل، وقيدوا بعضهم، وعاقبوهم، وأخذوهم بالرغبة والرغبة، وثبت الإمام أحمد على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة، ثم طلبوا أصحابهم لمناظرته فانقطعوا معه في المناظرة يوماً بعد يوم...).

وذكر المحنة ثم قال: (ثم صارت هذه الأمور سبباً في البحث عن مسائل الصفات وما فيها من النصوص والأدلة والشبهات من جانبي المثبتة والنفاة، وصنف الناس في ذلك مصنفات، وأحمد وغيره من علماء السنة والحديث مازالوا يعرفون فساد مذهب الروافض والخوارج والقدرية والجهمية والمرجئة، ولكن بسبب المحنة كثر الكلام، ورفع الله قدر هذا الإمام، فصار إماماً من أئمة السنة، وعَلِمَ من أعلامها، لقيامه بإعلامها وإظهارها، وإطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأياً، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد، يعني أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد، وهو كما قال<sup>(١)</sup>).

(١) منهاج السنة: (٢/٤٨٢ - ٤٨٦) تحقيق: محمد رشاد سالم.

فمن هذا النص يتبين أن مذهب أهل السنة والجماعة امتداد لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فإذا ما قام إمام من الأئمة في زمن البدع بالدعوة إلى العقيدة السليمة وإلى منهج أهل السنة، ومحاربة ما يخالفها فهذا الإمام لم يأت بجديد، وإنما جدد ما اندرس من مذهب أهل السنة وأحيا ما مات منه، وإلا فالعقيدة لم تتغير، فإذا ما نسب - في بعض الأزمان أو الأمكنة - مذهب أهل السنة إلى عالم من العلماء، أو مجدد من المجددين فلأنه دعا إليه لا لأنه ابتدعه أو اخترعه.

ومما سبق يتبين أن طرح النشأة لمذهب أهل السنة ينبغي أن ينصبّ على التسمية، أما النشأة ذاتها فواضحة؛ لأنها كانت مع مجيء الإسلام الذي وضح وكُمّل أتم كمال وأبينه في عهد الرسول ﷺ فمن جاء بعده إذا قيل عنه: إمام أهل السنة - في زمنه أو بعد زمنه - فلأنه دعا إلى الأصول الأولى لمذهب أهل السنة وجدد ما اندرس منها.

وبدء التسمية مرتبط بنشأة الفرق؛ لأن من الطبيعي أن يتميز أهل السنة عن بقية أهل الأهواء من أهل الفرق الذين انحرفوا عن المنهج السوي والذين ابتدعوا أقوالاً وآراءً مخالفة لما كان عليه أهل الصدر الأول.

والكلام حول بدء الفتنة ونشوء الفرق يطول، ولكن نشير إلى لمحات في هذا الأمر لنصل إلى حقيقة تميز أهل السنة عن غيرهم:

١ - من المعلوم أن الفتنة وقعت في آخر عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكان من آثارها استشهاده، ثم نشأت على إثر ذلك الفرق، وكانت أول بدعة نشأت بدعة الخوارج والروافض، فالخوارج كفّروا علياً - رضي الله عنه - وخرجوا عليه، والروافض ادّعوا إمامته وعصمته، أو نبوته أو إلهيته.

ثم بعد ذلك أخذت البدع تتوالى في الظهور ف (لما كان عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية، ثم لما كان في أول

عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية والمشبهة والممثلة، ولم يكن على عهد الصحابة شيء من ذلك<sup>(١)</sup>.

٢- كانت بدعتا الروافض والخوارج من أول البدع ظهوراً كما سبق البيان، وكانتا من المعالم الرئيسة في تمييز أهل السنة والجماعة أو أهل الحديث:

(أ) ففي أجواء هذه الفتنة بدأ المسلمون يُعَنون بالبحث عن الإسناد، والكلام في الرجال؛ وذلك لأن السلف خافوا من الكذب على رسول الله ﷺ، وخاصة أن دواعي ذلك موجودة في مثل هذه الظروف؛ فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين أنه قال: (لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سئوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)<sup>(٢)</sup>، وابن سيرين كان يقول: (إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)<sup>(٣)</sup>.

وهنا بدأ التمييز لأهل السنة والجماعة، وذلك بتمييز مَنْ تُقبَل روايته ممن لا تُقبَل؛ فمن كان من أهل السنة والاتباع ولم يقل بقول طائفة من الطوائف المنحرفة بل ثبت على الهدى الصحيح، هدى الصحابة والتابعين، فهذا له تمييز عند علماء الحديث، وروايته مقبولة - مع الاعتراف بتفاوت الرجال الذين لهم هذه الصفة من ناحية الحفظ والضبط - وأما من كان من أهل البدعة فروايته مردودة إلا بشروط دقيقة<sup>(٤)</sup>.

ومما يلاحظ أن الكذب قد اشتهر عند الرافضة، ولذلك قال عنهم الإمام الشافعي - رحمه الله -: (لم أرَ في أهل الأهواء أشهدَ بالزور من

(١) المتقى: (ص ٣٨٧).

(٢) صحيح مسلم، المقدمة: (ص ١٥)، وانظر: الكفاية: (ص ١٦٢ - ١٦٣) هندية، وشرح علل الترمذي: (٥١/١).

(٣) الكفاية: (ص ١٦٢).

(٤) حكم الرواية عن أهل البدع تكلم عنها العلماء: انظر: الكفاية: (ص ١٥٩) وما بعدها، وشرح علل الترمذي: (٥٣/١) وما بعدها، وتدريب الراوي: (٣٢٤/١) وما بعدها.

الرافضة<sup>(١)</sup>، ولما وقعت فتنة المختار ذي الميول الشيعية<sup>(٢)</sup> اشتهر في زمنه الكذب ووضع الحديث على رسول الله ﷺ؛ ولهذا روى الإمام أحمد عن جابر بن نوح عن الأعمش عن إبراهيم [النخعي] قال: (إنما سئل عن الإسناد أيام المختار)<sup>(٣)</sup>، والمختار نفسه كان يأمر بأن توضع له الأحاديث المكذوبة، فقد أمر رجلاً - من أصحاب الحديث - قائلاً: (ضع لي حديثاً عن النبي أني كائن بعده خليفة)، فرفض الرجل<sup>(٤)</sup>، بل أمر محمد بن عمار بن ياسر أن يحدث عن أبيه بحديث كذب فأبى فقلته<sup>(٥)</sup>؛ ولذلك فشا الكذب في عهده.

كما روى شريك عن أبي إسحاق: سمعت خزيمة بن نصر العبسي أيام المختار وهم يقولون ما يقولون من الكذب - وكان من أصحاب علي - قال: (ما لهم قاتلهم الله، أي عصابة شانوا وأي حديث أفسدوا)<sup>(٦)</sup>. وإذا كان الرافضة أهل كذب فقد ضموا إليه الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ ورميهم بالكفر والردة إلا أعداداً قليلة.

وليس الغرض استقصاء هذه الأمور، فالموضوع فيها طويل، ولكن نشير هنا إلى أن تميز أهل السنة واكب ظهور الرافضة من جهتين:

(١) الكفاية: (ص ١٦٧)، وقال يزيد بن هارون [توفي سنة: ٢٦هـ] سير أعلام النبلاء: ٣٥٨/٩: (يكتب عن كل مبتدع - إذا لم يكن داعية - إلا الرافضة فإنهم يكذبون): (المنتقى ص ٢٢).  
 (٢) من العجيب أن هذا الكذاب كان أول أمره ناصبياً، فأبغضته الشيعة، ثم تشيع. انظر ترجمته في البداية والنهاية: (٨/٢٨٩ - ٢٩٢)، وانظر سير أعلام النبلاء: (٣/٥٣٨)، وميزان الاعتدال: (٤/٨٠)، وكان المختار يزعم أنه يوحى إليه. انظر: المسند للإمام أحمد: (٥/٢٢٣ - ٢٢٤) قتل المختار سنة: ٦٧هـ.

(٣) شرح علل الترمذي: (١/٥٢)، ورواه الخطيب في الجامع عن خيشمة بن عبدالرحمن. (الجامع: ١/١٣٠) تحقيق: الطحان.

(٤) التاريخ الكبير للبخاري: (٨/٤٣٤ - ٤٣٥)، والصغير: (١/٤٧١)، الموضوعات لابن الجوزي: (١/٣٩).

(٥) الجامع للخطيب: (١/١٣١)، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (٨/٤٣).

(٦) رواه البيهقي في المدخل، رقم: (٨٣)، وانظر علل الترمذي: (١/٥٢).

الأولى: انتشار الكذب عندهم<sup>(١)</sup>، مما أثار علماء السنة للبحث عن الرجال والأسانيد، فبدأ بتمييز أهل الحديث عن غيرهم، وسبق أن ذكرنا أقوال العلماء بأن الفرقة الناجية هم أهل الحديث.

الثانية: طعنهم في الصحابة، ونشوء البدع وكثرتها لديهم، حتى أصبح شعار (أهل السنة) كثيراً ما يستعمل في مقابل الرافضة، وسفيان الثوري - رحمه الله - فسّر موافقة السنة بـ (تقدمة الشيخين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما)<sup>(٢)</sup>.

ب) وفي مقابل فتنة الروافض جاءت فتنة الخوارج. والملاحظ أن الخوارج اشتُهر عنهم الصدق، ولعل مرّة ذلك إلى اعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر، والكذب كبيرة من الكبائر، ولهذا روي عن أبي داود سليمان بن الأشعث أنه قال: (ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج)<sup>(٣)</sup>؛ ولذلك روى البخاري وغيره عن دعواتهم، ولكن صدقهم وحماستهم لم يكن حائلاً دون أن تكون فتنتهم وضلالهم شديدة الوطأة على المسلمين؛ لأنهم كفّروا من عاداهم،

(١) بل الكذب أحد أصولهم؛ وذلك فيما يسمى (التقية) عندهم.

(٢) شرح السنة للالكائي: (١/١٥٢)، ومما يلاحظ أن سفيان الثوري في اعتقاده هذا الذي سأله عنه

شعيب بن حرب لما ذكر بعض أمور الاعتقاد التي تميز أهل السنة ذكر مسألة المسح على الخفين وعدم الجهر بالبسملة؛ مع أن مسألة الجهر بالبسملة من المسائل الفرعية التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة. وقد علل ذلك ابن تيمية في منهاج السنة: (٢/١٨٤)، ط مكتبة الرياض الحديثة، بقوله: (حتى إن سفيان الثوري وغيره من الأئمة يذكرون في عقائدهم ترك الجهر بالبسملة؛ لأنه كان عندهم من شعار الرافضة. ويذكرون المسح على الخفين؛ لأن تركه عندهم من شعار الرافضة).

(٣) الكفاية: (ص ١٧٢، ١٧٣) هندية - ولكن وردت روايات في أن الخوارج ربما يضعون الأحاديث؛

فقد روي عن أحد شيوخهم أنه قال: (إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإننا كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً) (رواه الرامهزمزي في المحدث الفاصل ص ٤١٥ - ٤١٦)، والخطيب في الكفاية: (ص ١٦٣) هندية، وابن الجوزي في الموضوعات: (١/٣٨ - ٣٩)، وانظر مناقشة الموضوع بشكل موسع في كتاب: (الوضع في الحديث: (١/٢٢٩ - ٢٣٨)؛ حيث رجّح الدكتور عمر فلاته في رسالته هذه أن الخوارج ليس لهم دور في الوضع في الحديث.

ولم يكتفوا بذلك، بل ميزوا صفوفهم عن صفوف غيرهم من المسلمين، وحاربوا وقاتلوا، فصارت بدعهم وانحرافاتهم أشد من غيرها، ولذلك قاتلهم علي - رضي الله عنه - وأجمع الصحابة على قتالهم.

فالخوارج خرجوا على الجماعة الذين لهم إمام شرعي، ومع ظهور فتنة هؤلاء برز أهل السنة بحرصهم على الجماعة وعدم الخروج على الإمام الشرعي (ولو كان جائراً) وصاروا يذكرون هذا الاعتقاد ويدعون إليه ويحذرون من مخالفته، وحرص المسلمون على الجماعة ونبذ الفرقة، ولما اجتمعوا على معاوية - رضي الله عنه - سنة إحدى وأربعين بعد تنازل الحسن - رضي الله عنه - سَمُوا هذا العام عام الجماعة.

فظهر بدعة الخوارج ميزت أهل السنة من جانبين:

الأول: خروج الخوارج عن المذهب الحق بالتكفير لمن عاداهم من المسلمين، ولا شك أن هذه بدعة شنيعة، وقد حرص المسلمون على الرد على أصحابها، وتحذير الناس أشد التحذير منهم. وصار من معالم مذهب أهل السنة عدم التكفير لمرتكب الكبيرة.

الثاني: خروجهم على الجماعة وعلى الإمام الشرعي وقاتلهم للمسلمين بناء على أصل مذهبهم التكفير، وقد قابل أهل السنة هذا بمقاتلتهم حتى يقضى عليهم أو يكفوا شرهم، وبالتحذير منهم وإعلان وجوب اتباع النصوص التي حذرت من الخروج على أئمة المسلمين وإن جاروا وظلموا؛ ولذا كان أحد المعاني المهمة للجماعة أنها الجماعة الذين اجتمعوا على أمير.

٣- بعد ظهور فتنة الروافض والخوارج أخذت بقية البدع تظهر بين المسلمين كبدعة القدر، والإرجاء، والتجهم، فقاومها أهل السنة وحذروا منها ومن أصحابها، حتى صار أهل البدع نشازاً في المجتمع الإسلامي يأوي إليهم ويسمع أقوالهم، إما أهل الزندقة والنفاق ممن يكيدون لهذا الدين في الخفاء،

وإما أصحاب الإيمان الضعيف الذين تؤثر فيهم وتستهويهم البدع وما فيها من آراء وأفكار جديدة على المسلمين. أما السواد الأعظم من المسلمين فإنهم يتبعون علماء الآفاق من أهل السنة في كل مكان.

وحذر علماء أهل السنة من أصحاب الأهواء، حتى كان الحسن يقول: (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم)<sup>(١)</sup>، ولما جاءه رجل فقال: (يا أبا سعيد إنني أريد أن أخاصمك) فقال الحسن: (إليك عني فإني قد عرفت ديني وإنما يخاصمك الشاك في دينه)<sup>(٢)</sup>.

واستمر تحذير العلماء من أهل الكلام والبدع وصار مذهب أهل السنة متميزاً بالاتباع والسير على منهاج الصحابة - رضي الله عنهم - مع البعد عن أهل البدع والإنكار عليهم فصار لقب أهل السنة مقابل: أهل البدع والأهواء والكلام.

ولما وقعت محنة القول بخلق القرآن وصار للمعتزلة دولة وصولاً امتحن أهل السنة، وثبت الله الإمام أحمد - رحمه الله - فصار وقوفه وثباته مثلاً شامخاً للثبات على مذهب أهل السنة في مقابل أهل البدعة، فصار أحمد إمام أهل السنة لذلك.

هذه خطوط عريضة لعلها تكون قد أوضحت كيف نشأت التسمية بأهل السنة والجماعة، أو أهل الحديث، وإن كان ذلك مع ظهور البدع ونشوء الفرق، وما صاحب ذلك من الاستهانة بحديث رسول الله ﷺ وبنقلته من الصحابة، فبدأ أهل السنة يعلنون تميزهم من خلال:

١ - العناية بالحديث رواية ودراية، والكلام في الرجال، والسبب في ذلك نشوء الكذب مع كثرة أهل الأهواء.

(١) شرح السنة للالكائي، رقم: (٢٤٠)، ورواه الدارمي في السنن، رقم: (٤٠٧)، ط اليماني، عن الحسن وابن سيرين.

(٢) شرح السنة، رقم: (٢١٥)، والأجري في الشريعة: (ص ٥٧) بلفظ مقارب.

٢ - المحافظة على السُّنة وعلى ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، من غير ابتداع في الدين أو اتباع لأهل الأهواء والكلام المذموم على اختلاف مذاهبهم وأقوالهم.

٣ - المحافظة على الجماعة التي تعني الاتباع والسير على المنهج الحق، وتعني أيضاً المحافظة على وحدة الأمة وعدم الخروج على الجماعة التي لها إمام شرعي.

أما التحديد الدقيق لنشأة التسمية بأهل السُّنة والجماعة، وربط ذلك بزمن محدد أو بعلم من أعلام أهل السنة، أو نشوء فرقة من الفرق، فلا أظن أن ذلك ممكن إلا من خلال خطوط عريضة كما أسلفنا، والله أعلم.

## المبحث الثالث

### منهج السلف في العقيدة

سنعرض في هذا المبحث بشكل مختصر لمنهج السلف في العقيدة، وتميُّزهم بهذا عن غيرهم من أهل البدع والأهواء، وهذا الموضوع قد كُتِبَ حوله الكثير، ولكن أغلب ما كتب جاء مقدمة لبعض النصوص المحققة في عقيدة أهل السنة، أو لبعض البحوث المتعلقة بجانب من جوانبها، وكان من الواجب أن يفرد برسالة جامعة تستقصي ما يتعلق بهذا الموضوع، وتبين الشبهات المثارة حول مذهب السلف، وترد عليها، كما ترد على دعاوى المنتسبين إليها ممن ليس من أهلها أو ممن انحرف عنها. وعلى حد علمي لم يكتب في ذلك رسالة<sup>(١)</sup>.

والكتابة حول هذا الموضوع من خلال التمهيد لهذا البحث المتعلق بموقف ابن تيمية من الأشاعرة لا يمكن التوسع فيها إلا من خلال ما يتعلق بالموضوع، وقد ناقش ابن تيمية - رحمه الله - كثيراً من الأشاعرة في هذه المسألة، وبين غلطهم في بعض القضايا المتعلقة بحقيقة مذهب السلف أو بحقيقة منهجهم - رحمهم الله - وسنشير إلى ذلك في موضعه من هذه الرسالة، إن شاء الله.

أما هنا فسنذكر لمحات في هذا الموضوع تكملة للمبشرين السابقين، والشيء الواضح في هذا أن السلف تميزوا عن أصحاب الأهواء والفرق بميزة الرجوع إلى الكتاب والسنة والاعتصام بهما، وبذلك سلموا من الانحراف، أما من عاداهم فلا بد أن تجد في انحرافاتهم أو بدعهم ما كان سببه وقوعهم في مخالفة أمر الله وأمر رسوله ﷺ، أو ارتكاب ما نهى عنه الله ورسوله ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

\* نهى الله - تعالى - ورسوله ﷺ عن اتباع المتشابه، فجاءت فرق عديدة

(١) في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة سُجِّلَت رسالة بعنوان: العقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية وقدرتها على مواجهة التحديات. للباحث محمد المغراوي.

- تتبع ما تشابه من القرآن، وتضرب كتاب الله بعضه ببعض.
- \* نهى الرسول ﷺ عن سب الصحابة وبين فضلهم، فجاءت فرق الرافضة وغيرهم لتسب الصحابة - رضي الله عنهم - وتتقص من شأنهم.
- \* أمر الرسول ﷺ بطاعة الأمير (وإن جار أو ظلم) فجاءت الخوارج ليخرجوا على أئمة المسلمين ويثيروا الفتنة بين المسلمين.
- \* نهى الرسول ﷺ عن الخوض في القدر، فجاءت القدرية وغيرهم ليخوضوا فيه بالباطل.
- \* أمر الرسول ﷺ باتباع سنته، وأخبر أنه سيأتي أناس من أمته لا يحتجّون بسنته، ونشأ بعد ذلك من لا يحتج بخبر الأحاد في العقيدة.
- \* وأمر الرسول ﷺ باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فجاء أقوام يضربون بأقوالهم عرض الحائط ويقولون: نحن رجال وهم رجال.
- \* وأخبر النبي ﷺ - وهو الصادق المصدوق - أن هذه الأمة ستفترق إلى فرق عديدة، وذكر أن هناك فرقة هي الفرقة الناجية، وهي الطائفة المنصورة، ثم وُجد بعد ذلك من يتزعم الفرق الضالة، أو يتبعها ويترك الاعتصام بالسنة وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.
- والسلف الذين لم يخوضوا في شيء مما خاض فيه أهل الأهواء، استقام أمرهم لموافقتهم الكتاب والسنة، ولوعيتهم - خاصة أثناء وقوع الفتن وانتشار البدع - وتذكرهم لمثل هذه النصوص التي حذر فيها المصطفى ﷺ أمته من الوقوع فيما نهى عنه.

وسنعرض لمنهج السلف من خلال ما يلي:

أولاً: منهج السلف في العقيدة.

ثانياً: المميزات التي تميزوا بها عن غيرهم.

أولاً: منهج السلف في العقيدة:

أولاً: أول قاعدة في منهج السلف، وهي اقتصارهم في مصدر التلقي على الوحي: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة، وقد تمثلت هذه القاعدة في عدة ركائز:

١ - الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقق رضى الله - تبارك وتعالى - والفوز بجنته والنجاة من عذابه إلا بالإيمان بهما والعمل بما جاء به، وما يترتب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها اعتقاداً وعملاً وسلوكاً، مستمسكاً ومعتصماً بهما، لا يزيغ عنهما ولا يتعدى حدودهما. ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف. قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وقال - تعالى - : ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ولقد تربي الصحابة على ذلك فعاشوا لا يلتفتون إلى غير الكتاب والسنة، وكان رسول الله يحذرهم كل التحذير من الالتفات إلى كتب السابقين التي نزلت على الأنبياء ثم دخلها التحريف، فضلاً عن غيرها من كتب الفلاسفة والملاحدة؛ فقد روى عبدالله بن ثابت قال: «جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك. قال: فتغير وجه رسول الله ﷺ. قال عبدالله: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ. فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً. قال: فسري عن النبي ﷺ، ثم قال: «والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا

(١) سورة النساء: ٩٥.

(٢) سورة النساء: ٦٥.

حظكم من النبيين»<sup>(١)</sup>، وفي رواية جابر أنه قال لما غضب على عمر: «أمتهوكون»<sup>(٢)</sup> فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»<sup>(٣)</sup>، وقد طبق هذا عمر - رضي الله عنه - عملياً، فقد ضرب رجلاً من عبد القيس لأنه انتسخ أحد الكتب السابقة وأمره بمحوه<sup>(٤)</sup>.

والاستغناء بالكتاب والسنة والاعتماد عليهما نابغ من اليقين القاطع بأن ما جاء به فهو حق وصدق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما خبر الله ورسوله فهو صدق، موافق لما الأمر عليه في نفسه، لا يجوز أن يكون شيء من أخباره باطلاً ولا مخالفاً لما عليه في نفسه، ويعلم من حيث الجملة أن كل ما عارض شيئاً من أخباره وناقضه فإنه باطل من جنس حجج السوفسطائية<sup>(٥)</sup>،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: (٣/٤٧٠ - ٤٧١)، وعبدالرزاق في المصنف: (٦/١١٣) ورقمه: (١٠١٤٦).

(٢) أي: أمتحرون، هكذا فسره الحسن وأبو قلابة في شعب الإيمان لليهقي: (١/٤٨١) والمراسيل: (ص ٢٢٤).

(٣) رواه الإمام أحمد: (٣/٣٨٧)، والدارمي في سننه، (١/٩٥) ورقمه: (٤٤١)، والبيهقي في شعب الإيمان: (١/٤٧٩)، ط الدار السلفية في الهند. وهذا الحديث رواه أبو داود في المراسيل عن أبي قلابة في كتاب العلم: (ص ٢٢٣) ت السيروان كما رواه ابن أبي حاتم مختصراً كما في تفسير ابن كثير: (سورة يوسف: ٣). وانظر التعليق القادم.

(٤) ثم ذكر عمر قصته مع النبي ﷺ. رواه أبو يعلى الموصلي، وأبو بكر الإسماعيلي، كما نقله عنهما ابن كثير في تفسيره: (سورة يوسف: ٣). والحديث حسنه الألباني كما في تخريج المشكاة رقم: (١٧٧، ١٩٤).

(٥) السوفسطائية: السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليب الخصم وإسكاته، والسوفسطائيون: جماعة من فلاسفة اليونان، وزعيمهم بروتاغوراس الذي ولد سنة: (٤٨٠ ق.م). ونظريتهم تقوم على أنه ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا، فما يظهر للشخص أنه الحقيقة يكون هو الحقيقة له، فإذا رأى السراب ماءً فهو عنده حقيقة ماء. انظر: التعريفات: (ص ٦٣)، وكشاف اصطلاح الفنون: (١٧٣١٣)، وقصة الفلسفة اليونانية: =

وإن كان العالم بذلك لا يعلم وجه بطلان تلك الحجج المعارضة لأخباره، وهذه حال المؤمنين للرسول الذين علموا أن رسول الله الصادق فيما يخبر به، ويعلمون من حيث الجملة أن ما ناقض خبره فهو باطل، وأنه لا يجوز أن يعارض خبره دليل صحيح لا عقلي ولا سمعي<sup>(١)</sup>.

ويقول: (ما أحد شدُّ بقول فاسد عن الجمهور إلا وفي الكتاب والسنة ما يبين فساد قوله، وإن كان القائل كثيراً... وأما القول الذي يدل عليه الكتاب والسنة فلا يكون شاذاً وإن [كان]<sup>(٢)</sup> القائل به أقل من القائل بذلك القول، فلا عبرة بكثرة القائل باتفاق الناس)<sup>(٣)</sup>.

٢ - أن هذا الدين كامل: فالله - تبارك وتعالى - يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٤)</sup> ويقول أيضاً: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال كذلك: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾<sup>(٦)</sup>.

يقول ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآيات وغيرها: (ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبين الله فيه أن كتابه مبين للدين كله، موضح لسبيل الهدى، كافٍ لمن

= (ص ٦٢ - ٧٢)، وريبع الفكر اليوناني: (ص ٦٥)، والمعجم الفلسفي: (١/٦٥٨).

(١) دره تعارض العقل والنقل: (٥/٢٥٥).

(٢) في طبعة النبوات لدار الكتب العلمية: (ص ٢٠٤)، ودار الفكر: (ص ١٣٨) بدون (كان)، والسياق يقتضيها.

(٣) النبوات: (ص ٢٠٤)، ط دار الكتب العلمية.

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) سورة النحل: ٨٩.

(٦) سورة المائدة: ١٥ - ١٦.

اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل<sup>(١)</sup>.  
ومسألة كمال الدين من المسائل المهمة في بيان منهج السلف - رحمهم الله تعالى - فقد انطلقوا بقوة من هذا المنطلق، وهذا لا يعني أنه لم يكن في عهد الصحابة ومن بعدهم ديانات ومذاهب، بل كانت موجودة، لكن من الذي يلتفت إليها وهو مقتنع تمام الاقتناع بكمال ما لديه من كتاب وسنة وأن فيهما ما يعني ويكفي، وأن ما فيهما حق وصدق لا يأتيه الباطل أبداً؛ ف(متى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث وبين معناها بياناً شافياً فإنها تنظم<sup>(٢)</sup> جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في الكلام من الباطل كما قال - تعالى - ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وقال - تعالى - ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال - تعالى - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَتْهُمُ آيَاتُهُمْ فَمِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال - تعالى - ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾<sup>(٦)</sup>، وفيه من دلائل الربوبية والنبوة والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العباد، ففيه أصول الدين المفيدة لليقين، وهو أصول دين الله لا أصول دين محدث ورأي مبتدع<sup>(٧)</sup>.

٣ - وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهم التعارض: وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح، ولقد كان تقديم ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما في غيره من معقول أو غيره

(١) درء تعارض العقل والنقل: (١٠/٣٠٤).

(٢) في الأصل: (فإنها لا تنظم)، ط دار الكتب العمية، وكذا في مصورة دار الفكر، (ص ٢٢١)، ولعل الصواب حذف (لا).

(٣) سورة الحجر: ٩.

(٤) سورة فصلت: ٤٢.

(٥) سورة هود: ١.

(٦) سورة لقمان: ٢.

(٧) النبوات: (ص ٣٣٤)، ط دار الكتب العلمية.

يعارضها من مسلمات منهج السلف، رحمهم الله تعالى. وليس هذا موضع تفصيل الأدلة لذلك، ولكن نشير إلى أن الأنبياء أعلم بالله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر من غيرهم فيجب رد الأمر إليهم، كما أن العامة يردون ما يختلفون فيه مما يتعلق بالطب وغيره من أمور الدنيا إلى من هو أعلم به منهم، (وإذا كان الأمر كذلك فإذا علم الإنسان بالعقل أن هذا رسول الله، وعلم أنه أخبر بشيء، ووجد في عقله ما ينازعه في خبره، كان عقله يوجب عليه أن يُسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، وأن لا يقدم رأيه على قوله، ويعلم أن عقله قاصر بالنسبة إليه، وأنه أعلم بالله وأسمائه وصفاته واليوم الآخر منه، وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذلك أعظم من التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب)<sup>(١)</sup>.

٤ - الأدب مع نصوص الكتاب والسنة، بأن تُراعى ألفاظهما عند بيان العقيدة، وأن لا تُستخدَم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية، ف(أهل السنة والحديث فيهم رعاية النصوص لألفاظ النصوص وألفاظ السلف)<sup>(٢)</sup>.  
ثانياً: عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة، والاقتصار في بيان وفهم العقيدة على ما في الكتاب والسنة، وقد تجلّى هذا في منهج السلف من خلال عدة أمور، منها:

١ - الحرص على العلم النافع مع العمل: فالعلم علمان: علم نافع يولد عملاً، وينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، وعلم غير نافع، لا ينفع صاحبه في الدنيا، أو لا ينفع صاحبه في الآخرة (ولذلك جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وغير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع؛ ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن

(١) درء تعارض العقل والنقل: (١/١٤١)، وانظر: قواعد المنهج السلفي مصطفى حلمي: (ص ٢٥٣ - ٢٥٧)، ط ثانية.

(٢) نقض التأسيس المطبوع: (٢/١١٠).

قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشيع، ومن دعوة لا يستجاب لها»<sup>(١)</sup> (٢).  
وقال معروف الكرخي<sup>(٣)</sup>: (إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل وإذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل)<sup>(٤)</sup>. وللعلم النافع علامات ذكرها بعض العلماء<sup>(٥)</sup>.

٢ - النهي عن البدع: ومن ذلك علم الكلام، وقد كان موقف السلف واضحاً ومشهوراً من علم الكلام؛ فقصّة عمر - رضي الله عنه - مع صبيغ ابن عسل<sup>(٦)</sup> لما علم أنه يتتبع متشابه الكلام ويسأل عنه، فضربه عمر ونفاه إلى البصرة، قصة مشهورة<sup>(٧)</sup>، لذلك لما حدث يزيد بن هارون بحديث الرؤية فقال له رجل: يا أبا خالد، ما معنى هذا الحديث؟ فغضب وحرد<sup>(٨)</sup> وقال: ما أشبهك بصبيغ وأحوجك إلى مثل ما فعل به<sup>(٩)</sup>. وعمر - رضي الله عنه - روي عنه أنه قال: (إنه سيأتي أناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، ورقمه: (٢٧٢٢).

(٢) بيان فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب: (ص ١٧)، ط دار الأرقم.

(٣) هو معروف بن فيروز أو فيروزان، أبو محفوظ البغدادي الكرخي، أحد الزهاد، مدحه الإمام أحمد. انظر ترجمته في: مناقب معروف الكرخي وأخباره لابن الجوزي، وتاريخ بغداد: (١٣/١٩٩) وطبقات الحنابلة: (١/٣٨١)، وسير أعلام النبلاء: (٩/٣٣٥).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية: (٨/٣٦١)، وابن الجوزي في مناقب معروف الكرخي: (ص ١٢٢ - ١٢٣).

(٥) انظر - مثلاً - : بيان فضل علم السلف على الخلف: (ص ٥١ - ٥٤).

(٦) هو صبيغ بن شريك بن المنذر بن قشع بن عسل التميمي، ويقال: صبيغ بن عسل، نسبة إلى جده، ترجمته في الإكمال لابن ماکولا (٥/٦/٢٢١/٢٠٦-٢٠٨) والإصابة (٣/٤٥٨)، ترجمة رقم: (١٢٧/٤)، وتبصير المنتبه: (٣/٩٥٤)، والوافي في الوفيات: (١٦/٣٨٣).

(٧) رواه: الدارمي في سننه، رقم: (١٤٦)، والآجري في الشريعة: (ص ٧٣)، واللالكاني في شرح السنة رقم: (١٣٦ - ١٤٠)، والصابوني في عقيدة السلف، رقم: (٨٣ - ٨٥)، تحقيق: بدر البدر، ورواها غيرهم. انظر: الإصابة: (٣/٤٥٨)، رقم الترجمة: (٢٧/٤١) ت البجاوي/ والدر المثور للسيوطي. أول سورة الذارات.

(٨) (حرد): أي غضب واغتاظ وهم به. انظر: الصحاح، والمعجم الوسيط، مادة: (حرد).

(٩) عقيدة السلف للصابوني، رقم: (٨٢).

أصحاب السنن أعلم بكتاب الله<sup>(١)</sup>.

وقد استمر السلف على هذا المنهج من التحذير من البدع وعلم الكلام وما عليه أهل الأهواء؛ فالشافعي أثير عنه الكثير في التحذير من أهل الكلام حتى قال: (لأن يلقى الله العبدُ بكل ذنب ما خلا الشرك أحب إليّ من أن يلقاه بشيء من الأهواء)<sup>(٢)</sup>، والإمام أحمد - رحمه الله - يقول في رسالته (الثابتة عنه) إلى عبد الله بن يحيى بن خاقان لما طلب منه المتوكل أن يكتب له حول مسألة (خلق القرآن): (وقد روى غير واحد ممن مضى من سلفنا - رحمهم الله - أنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله - عز وجل - وليس بمخلوق، وهو الذي أذهب إليه، ولست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هنا، إلا ما كان في كتاب الله - عز وجل - أو في حديث النبي ﷺ أو عن أصحابه أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود)<sup>(٣)</sup>.

واشتهر هذا الموقف من علم الكلام ومن المنطق عن أعلام السلف - رحمهم الله - وصارت دواوين السنة تذكر كثيراً من الآثار عنهم في موقفهم هذا، بل وصل الأمر في إحدى الحالات أن النساخ كانوا يُقْسِمُونَ أنهم لم

(١) رواه الدارمي، رقم: (١٢١)، واللالكائي، رقم: (٢٠٢)، والآجري في الشريعة: (ص ٥٢).

(٢) رواه البيهقي في مناقب الشافعي: (٤٥٢/١)، وفي الاعتقاد: (ص ٣٩)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، وأبو نعيم في الحلية: (١١١/٩)، وابن عساكر في تبين كذب المفتري: (ص ٣٣٧)، واللالكائي في شرح السنة، رقم: (٣٠٠)، وابن أبي حاتم: كما في توالي التأسيس لابن حجر: (ص ١١٠).

(٣) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد: (١٣٩/١ - ١٤٠)، وأبو نعيم في الحلية: (٢١٦/٩)، وابن الجوزي في المناقب: (ص ٤٦٢) باختصار، والذهبي في تاريخ الإسلام: (ترجمة الإمام أحمد مفردة، ط: دار الوعي بحلب)، (ص ٧٠ - ٧١)، وقال الذهبي في آخرها: (قلت: رواة هذه الرسالة عن أحمد أئمة أثبات أشهد بالله أنه أملاها على ولده)، وذكرها في سير أعلام النبلاء: (٢٨٦/١١)، وقال: (إسناده كالشمس).

ينسخوا كتاباً في المنطق<sup>(١)</sup>.

وموقف السلف من علم الكلام كان لأسباب<sup>(٢)</sup>، وليس لأنهم عجزوا أو جهلوا أو شغلوا عنه كما يحلو لبعضهم أن يفسر ذلك، ولا شك أن منهج علم الكلام يقوم على أسس غريبة على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه. وأية محاولة للعودة بالمسلمين إلى الإسلام فلا بد أن تكون أولى مسلماتها العودة إلى صفاء العقيدة وتخليصها مما ران عليها من شوائب علم الكلام والفلسفة.

يقول سيد قطب - رحمه الله - في معرض كلامه عن النهج الذي يراه في العقيدة: (ولما كانت هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة، وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية... فقد بدت (الفلسفة الإسلامية) - كما سميت - نشازاً كاملاً في لحن العقيدة المتناسق، ونشأ من هذه المحاولات تخليط كثير، شاب صفاء التصور الإسلامي، وصغر مساحته، وأصابه بالسطحية، ذلك مع التعقيد والجفاف والتخليط، مما جعل تلك الفلسفة الإسلامية ومعها مباحث علم الكلام غريبة غربة كاملة على الإسلام وطبيعته، وحقيقته، ومنهجه وأسلوبه).

(وأنا أعلم أن هذا الكلام سيقابل بالدهشة على الأقل؛ سواء كان من المشتغلين عندنا بما يسمى (الفلسفة الإسلامية) أو من المشتغلين بالمباحث الفلسفية بصفة عامة... ولكنني أقرر - وأنا على يقين جازم - بأن (التصور الإسلامي) لن يخلص من التشويه والانحراف والمسوخ إلا حين نلقي عنه جملة

(١) انظر: الكامل لابن الأثير حوادث سنة: ٢٧٩: (٤٥٣/٧) دار صادر.

(٢) انظر: بيان فضل علم السلف لابن رجب: (ص ٥٥ - ٥٨)، ومنهج علماء الحديث والسنة

مصطفى حلمي: (ص ٦٠ - ٦١)، ومنطق ابن تيمية: (ص ٢٧٧).

بكل ما أطلق عليه اسم الفلسفة الإسلامية، وبكل مباحث علم الكلام، وبكل ما ثار من الجدل بين الفرق الإسلامية المختلفة في شتى العصور أيضاً، ثم نعود إلى القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

٣ - الرد على المنحرفين وأصحاب الأهواء بمنهج متميز: فالسلف -رحمهم الله- لما حذروا من المنطق وعلم الكلام لم يكتفوا بهذا، وإنما ردوا وناقشوا أصحاب البدع بالأدلة النقلية والعقلية المبنية على الكتاب والسنة.

والسلف كانوا أصحاب منهج واضح، مقنع، وليس كما يزعم بعض أهل الكلام من أن السلف وأهل الحديث لا يعرفون الرد ومجادلة الخصوم ويذكرون في ذلك قصة لهارون الرشيد لمنع الجدل في الدين وحبس أهل الكلام، وخلاصتها: أن ملك السند بعث يطلب منه أن يرسل إليه من يناظره، فأرسل قاضياً (أو رجلاً من أهل الحديث) فعجز عن مناظرته، فغضب الرشيد وسأل مَنْ حوله: (أليس لهذا الدين من يناضل عنه؟ فقليل له: بلى! هم الذين نهيتهم عن الجدل، وفيهم من هو في الحبس. فأحضروهم، وأرسل واحداً منهم إلى ملك السند، فسد له السم قبل وصوله إليه<sup>(٢)</sup>. وهذه قصة باطلة؛ لأن فتح السند وقتل ملكها كان سنة ٩٣هـ وهارون الرشيد تولى الخلافة سنة ١٧٠هـ.

وهذه القصة كما يظهر من مصدرها ليس لها سند صحيح، وسياق القصة يدل على الهدف من وضعها، وإذا كان مصدر السلف الأول هو كتاب الله وفيه الحجج والبراهين الدامغة؛ فكيف يخطر على البال أنهم يعجزون عن المناقشة والرد على أهل البدع. أما إن كان القصد المناقشة ببدع وأوصل أهل الكلام

(١) خصائص التصور الإسلامي: كلمة في المنهج: (ص ١١٠).

(٢) المصدر المعروف لهذه القصة التي وردت بعدة روايات، هو كتاب (المنية والأمل) لابن المرتضى المعتزلي: (ص ١٥٥ - ١٥٨) ت: محمد جواد مشكور، وهي في طبعة أرنولد التي أفرد فيها ذكر المعتزلة: (ص ٣١ - ٣٣)، وذكرها النشار في نشأة الفكر الإسلامي: (١/ ٥٠٤ - ٥٠٥)، وردها، وانظر قواعد المنهج السلفي: (ص ٨٠ - ٨٢) الطبعة الثانية.

فلا ريب أن السلف كانوا بعيدين عنها ولا يعرفونها لأنهم في غنى عنها، لكن من عاش منهم مع أهل الكلام ثم رجع إلى منهج ومذهب أهل الحديث فهذا قد تكون له خبرة بهم؛ ولذلك قال نعيم بن حماد<sup>(١)</sup> (الذي امتحن في مسألة القرآن فأبى أن يجيب، فحبس ومات في السجن) عن نفسه: (أنا كنت جهمياً، ولذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل)<sup>(٢)</sup>.

والسلف - رحمهم الله - لم ينهوا عن جنس النظر والاستدلال، ولكن معارضتهم تركزت على الأساليب الكلامية المبنية على غير الكتاب والسنة<sup>(٣)</sup>. ولذلك روى عن محمد بن سيرين لما ماراه<sup>(٤)</sup> رجل في شيء، فقال له محمد: (إنني أعلم ما تريد، وأعلم بالممارسة منك ولكني لا أماريك)<sup>(٥)</sup>، فهو لا يريد الممارسة والجدل، ولو جادله لجادله بمنهج القرآن والسنة لا بمنهج المتكلمين.

وهذا يدل على أن السلف لا يناظرون إلا عند الحاجة، ومناظرتهم لا تكون بمنهج المتكلمين. يقول الآجري: (فإن قال قائل: فإن اضطر في الأمر وقتاً من الأوقات إلى مناظرتهم وإثبات الحجة عليهم، ألا يناظرهم؟، قيل: الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء، فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل - رحمه الله - ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس

(١) هو: نعيم بن حماد بن معاوية، أبو عبدالله الخزاعي (ت: ٢٢٨هـ) طبقات ابن سعد: (٧/٥١٩)، وتاريخ بغداد: (١٣/٣٠٦)، وتهذيب المزي (المخطوط): (ص ١٤١٩)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/٥٩٥).

(٢) تاريخ بغداد: (١٣/٣٠٧)، وتهذيب المزي: (ص ١٤٢٠)، وسير أعلام النبلاء: (١٠/٥٩٧).  
(٣) انظر: قواعد المنهج السلفي: مصطفى حلمي: (ص ٨٥)، ومنهج علماء الحديث والسنة له: (ص ٤٠).

(٤) ممن الممارسة: تقول: ماريت الرجل، أي: جادلته. انظر: الصحاح مادة: (مرا) من حرف الياء، وقد وردت اللفظة في الشريعة وفي طبعتي فضل علم السلف (ومارآه) وهو تحريف.  
(٥) الشريعة للآجري: (ص ٦١ - ٦٢)، وانظر: بيان فضل علم السلف لابن رجب: (ص ٣٧)، ط دار الأرقم.

ودعوهم إلى مذهب السوء، فلم يجد العلماء بدأً من الذب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحقّ من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختياراً، فأثبت الله - عز وجل - الحق مع أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته، وأذل الله العظيم المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد بن حنبل ومن تابعه إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: حجية السنة في العقيدة ومن ذلك خبر الآحاد:

وهذه من القواعد الكبرى في منهج السلف - رحمهم الله - تميزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع، وما عني أهل السنة بجمع السنة والكلام في متونها وأسانيدها، ونشأة هذا العلم الذي تميزت به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً منقطعة النظير، كلّ ذلك إنما كان منهم حفاظاً على المصدر الثاني الذي هو وحي يوحى من الله تعالى. ولم يميزوا بين الأحاديث المتعلقة بالأحكام والأحاديث المتعلقة بالعقائد.

وقد كان اعتمادهم على السنّة وتعظيمهم لها مبنياً على أمور منها:

١ - أن من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله التي لا يتم الإيمان إلا بها، (ولذلك قرنت بشهادة أن لا إله إلا الله) وجوب تصديقه فيما أخبر؛ سواء كان عن الله أو صفاته أو مخلوقاته أو ما يستقبل من أمور الآخرة وغيرها من المغيّبات.

٢ - أن رسول الله ﷺ أعرف العباد بما يصلح لهم، وأنه رغب الخلق في نشر الخير وتعريفهم به، ولذلك فما من خير إلا ودل أمته عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه، ومن المعلوم أن أهم الأمور بالنسبة للعباد ما يتعلق بالعقيدة من الأمور الإلهية والمعارف الدينية، والعلم فيها (مأخذه عن الرسول؛

(١) الشريعة: (ص ٦٢).

وأقدرهم على بيانها وتعريفها؛ فهو فوق كل أحد في: العلم، والقدرة، والإرادة، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود. ومن سوى الرسول: إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه: إما لرغبة وإما لرهبة، وإما لغرض آخر. وإما أن يكون بيانه ناقصاً، ليس بيانه بيان عما عرفه الجنان).

(وبيان الرسول على وجهين:

تارة: يبين الأدلة العقلية الدالة عليها. والقرآن مملوء من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية على المعارف الإلهية والمطالب الدينية.

وتارة: يخبر بها خبراً مجرداً، لما قد أقامه من الآيات البينات، والدلائل اليقينية على أنه رسول الله المبلغ عن الله، وأنه لا يقول عليه إلا الحق، وأن الله شهد له بذلك، وأعلم عباده وأخبرهم أنه صادق مصدوق فيما بلغه عنه، والأدلة التي بها نعلم أنه رسول الله كثيرة متنوعة، وهي أدلة عقلية تُعلم صحتها بالعقل، وهي أيضاً شرعية سمعية<sup>(١)</sup>.

٣ - أن الرسول بلغ جميع ما أنزل إليه من ربه، ولم يكتم شيئاً من ذلك، وأنه - عليه الصلاة والسلام - قد بلغ ذلك أتم بلاغ وأبينه حتى ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها هالك.

وقد تمثلت هذه الأمور (السابقة) في موقف السلف من السنة وتعظيمهم لها، وإنزالها منزلتها اللائقة بها، وذلك بكونها وحياً من الله - تعالى - وبكونه ﷺ لا ينطق عن الهوى. وبدا هذا واضحاً من خلال:

أ - الخضوع لحديث الرسول ﷺ - إذا صح - وتعظيمه وعدم الاعتراض عليه بأي نوع من أنواع الاعتراض: ومن ذلك ما روي من أن (أبا معاوية

(١) رسالة الفرقان بين الحق والباطل، مجموع الفتاوى: (١٣٦/١٣).

الضرير<sup>(١)</sup> كان يحدث (هارون الرشيد) فحدثه بحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : «احتج آدم وموسى»<sup>(٢)</sup>، فقال عيسى بن جعفر: كيف هذا؛ وبين آدم وموسى ما بينهما؟ قال: فوثب به هارون وقال: يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارضه بكيف! قال: فما زال يقول حتى سكت عنه<sup>(٣)</sup>، وفي رواية أنه حبسه، ولم يطلقه حتى حلف الأيمان المغلظة أنه ما سمعه من أحد وما جرى بينه وبينه كلام<sup>(٤)</sup>، أي لم يتلق هذه الشبهة عن أحد.

يقول الصابوني معلقاً على هذا: (هكذا ينبغي للمرء أن يعظم أخبار رسول الله ﷺ ويقابلها بالقبول والتسليم والتصديق، وينكر أشد الإنكار على من يسلك فيها غير هذا الطريق الذي سلكه هارون الرشيد - رحمه الله - مع من اعترض على الخبر الصحيح الذي سمعه بـ (كيف) على طريق الإنكار والاستبعاد له، ولم يتلقه بالقبول كما يجب أن يتلقى جميع ما يرد من الرسول ﷺ)<sup>(٥)</sup>.

ولما سئل ابن المبارك حين روى حديث النزول: كيف ينزل؟ أجاب: (ينزل كيف يشاء)<sup>(٦)</sup>، وفي رواية أنه قال: (إذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله

(١) هو: محمد بن خازم أبو معاوية الضرير، روى له الجماعة، تهذيب التهذيب: (١٣٧/٩)، وتاريخ بغداد: (٢٤٢/٥).

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب القدر، ورقمه: (٦٦١٤)، الفتح: (٥٠٥/١١)، ومسلم في القدر، ورقمه: (٢٦٥٢).

(٣) رواه الصابوني: عقيدة السلف أصحاب الحديث: (ص ١١٦ - ١١٧)، تحقيق بدر البدر، وانظر الفقرة التالية.

(٤) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ: (١٨١/٢ - ١٨٢)، والخطيب في تاريخ بغداد: (٢٤٣/٥)، [ومختصراً في: (٨٧/١٤)، وانظر: سير أعلام النبلاء: (٢٨٨/٩)]، وقد أوردوا القصة بطولها وهي قصة عجيبة تدل على مدى حرص الرشيد على السنة وحرص أهل البدع.

(٥) عقيدة السلف للصابوني: (ص ١١٧) وهو آخر الرسالة.

(٦) رواه الصابوني في عقيدة السلف (ص ٢٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات: (ص ٤٥٣) عن الصابوني.

عليه وسلم فاخضع له<sup>(١)</sup>.

ب - اعتمادهم على الأحاديث الصحيحة، ونبذ الأحاديث الضعيفة والموضوعة: وقد تمثل هذا عندهم بالإنكار على من اعترض على الأحاديث الصحيحة الثابتة، وتمثل أيضاً بذكرهم للأسانيد فيما يروونه.

ومعلوم أنه إذا أسند الراوي فلا بد من النظر في إسناده والحكم على الحديث صحة وضعفاً بعد جمع طرقه ورواياته، ومن الملاحظ على كتب السنة (التي اختصت بالعقيدة) ورود بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيها، ولا شك أن الناظر فيها (في العصور المتأخرة) يحس أنه كان من المفروض تمييز صحيحها من غيره، أو إيراد ما صح منها فقط.

أما إدخال هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة فيها فله سلبيات لعل من أهمها التشهير بأهل السنة من جانب أهل التعطيل ووصفهم لهم بالحشو والتشبيه، والتندر بهم بذكر نماذج من هذه الأحاديث.

ولكن لو رجعنا إلى هذا الزمن الذي دونت فيه لوجدنا ما يبرر فعلهم هذا؛ فالعناية بالحديث كانت شديدة، ومعرفة الضعفاء والوضاعين كانت مشتهرة، ثم إن هذه الروايات التي أوردوها - ويعلمون أحياناً أنها ضعيفة - قد تكون وردت عند أحد أعلام المحدثين بطريق أو بطرق أخرى صحيحة، فليس هناك ما يضمن - مع كثرة المحدثين والرواة في مختلف أمصار المسلمين - أن هذه الأحاديث لم ترد إليهم بطرق أخرى.

ج - حجية خبر الآحاد في العقيدة إذا صح: وهذا من المعالم الرئيسة لمنهج السلف، والقول بأن أخبار الآحاد لا تفيد العلم، ومن ثمّ فلا يُحتج بها في العقيدة، بدعة كبرى تلقفها أو أحدثها المعتزلة، ولكن من المؤسف أن كثيراً من

(١) الصابوني في عقيدة السلف: (ص ١٧٢)، تحقيق: د/ ناصر الجديع. مطبوع على الآلة الكاتبة وهو في طبعة بدر البدر: (ص ٢٩)، لكن عبارته: (فاصغ له).

العلماء ممن ينتسبون إلى السنة - وخاصة في كتبهم في أصول الفقه - ظنوا أنها لا تفيد العلم وإنما تفيد الظن، وانتشرت هذه المقالة بنسبة القول بها إلى الجمهور، ومما يلاحظ أن كثيراً ممن أُلّف في أصول الفقه هم، إما من المعتزلة أو الأشاعرة أو الماتريدية، فأدخل هؤلاء هذه المسألة وصاروا يذكرون فيها أن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن فيحتاج بها في الأمور العملية من الأحكام لا العلمية، ويقصدون بها أمور العقائد بينما لو تتبعنا نصوص السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم لوجدنا الإجماع منهم - تقريباً - على عدم التفريق في أخبار الآحاد بين الأحكام والعقائد؛ ولذا يحسن هنا أن نذكر قصة إسحاق بن راهويه<sup>(١)</sup> مع عبدالله بن طاهر<sup>(٢)</sup>، فقد روي عن إسحاق بن راهويه قال: (دخلت على عبدالله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب! تقول: إن الله ينزل كل ليلة؟ فقلت: أيها الأمير! إن الله - تعالى - بعث إلينا نبياً نقل إلينا عنه أخباراً، بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها نحلل الفروج وبها نحرم، وبها نبيح الأموال وبها نحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك. قال: فأمسك عبدالله)<sup>(٣)</sup>.

هذا مذهب السلف ومنهجهم لم يُؤثر عن أحد منهم ممن يُعتمد بقوله إذا ورد عليه حديث صح عنده ثبوته أن رد ما دل عليه من أمور العقيدة بأنه خبر آحاد، وليس هذا موضع استقصاء هذه المسألة المهمة، وإنما الغرض الإشارة المجملّة.

٤ - أن الصحابة أعلم الناس بعد الرسول ﷺ بالعقيدة: لذلك فإن أقوالهم

(١) هو: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي، أبو محمد بن راهويه المروزي، قرين أحمد بن حنبل، حياته: (١٦١ - ٢٣٧) أو: (٢٣٨هـ)، تاريخ بغداد: (٣٤٦/٥)، وسير أعلام النبلاء: (٣٥٨/١١)، والتهذيب: (٢١٦/١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي: (ص ١٨٨).

(٢) عبدالله بن طاهر، أبو الحسين بن مصعب، الأمير العادل، أبو العباس، حاكم خراسان، توفي سنة: ٢٣٠هـ وله: (٤٨) سنة، تاريخ بغداد: (٤٨٣/٩)، وولاية مصر للكندي: (ص ٢٠٤ - ٢٠٨)، وسير أعلام النبلاء: (٦٨٤/١٠)، والفرج بعد الشدة: (٣٣٩/١).

(٣) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات: (ص ٤٥٢).

وتفاسيرهم للنصوص حجة لأنهم - رضي الله عنهم - قد اكتمل فيهم الفهم والمعرفة لأصول الدين التي دلّ عليها كتاب الله المنزّل وسُنّة رسوله ﷺ. والعجب أن بعض من يدعي الانتساب إلى مذهب أهل السُنّة يشتد غضبه حينما يعرض لرأي الرافضة في الصحابة وتنقيصهم لهم، ولكن لا يرى بأساً في أن يقرأ أو يسمع بعض شيوخه من المنتسبين للسُنّة في مقابل الرافضة والمعتزلة كلاماً يؤول إلى تنقيص الصحابة والظعن في فهمهم وعقولهم، مثل عبارة: إن الصحابة لم يعلموا (علم الكلام) لأنهم كانوا مشغولين بالجهاد، ومثل قول بعضهم: إن الصحابة كانوا يقرؤون القرآن ولكنهم يُمرّون النصوص المتعلقة بالصفات وغيرها دون فهم لها ولمعناها، أو أن الصحابة لو واجهوا الشبهات التي واجهها من بعدهم لتأولوا كما تأولنا... إلخ.

وهذا - بلا شك - منهج خطير، لا يقف الانحراف فيه عند حد الصحابة، بل قد يلزم منه اتهام الرسول ﷺ - وهو الرسول المبلغ عن الله تعالى - بمثل هذه التهم التي توجه إلى الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين.

والصحابة في نظر أهل السنة، الذين هم أهل الحديث؛ كلهم عدول، ومن ثبتت صحبته ثبتت له العدالة بمجرد الصحبة، ولا شك أن هذه الأفضلية (أعني أفضلية الصحبة التي اختصوا بها، ولا يمكن أن ينال فضلها أحد ممن جاء بعدهم) تجعل لهم منزلة في فهم العقيدة وإدراكها، لا يمكن أن ينالها من جاء بعدهم؛ ولذلك كان السلف يفتخرون أن دينهم أخذوه عن التابعين عن الصحابة، فشريك بن عبدالله<sup>(١)</sup> لما قيل له: إن قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث (أي أحاديث النزول)، حدث بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال:

(١) هو: شريك بن عبدالله النخعي الكوفي، القاضي، أبو عبدالله، صدوق يخطئ كثيراً، كان عارفاً عابداً، شديداً على أهل البدع، ولد سنة: (٨٩٠هـ) وتوفي سنة ١٧٨هـ. ميزان الاعتدال: (٢٧٠/٢)، سير أعلام النبلاء: (١٧٢/٨)، تهذيب التهذيب: (٣٣٣/٤)، التقريب: (٣٥١/١).

(أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ؛ فهم  
عمن أخذوا؟)<sup>(١)</sup>.

ولمكانة الصحابة عند السلف حرصوا على تدوين أقوالهم وآرائهم في  
مختلف المسائل؛ فقد روى صالح بن كيسان<sup>(٢)</sup> قال: (اجتمعت أنا والزهري<sup>(٣)</sup>  
ونحن نطلب العلم، فقلنا: نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ. قال: ثم  
قال الزهري: نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة. قال: فقلت أنا: لا، ليس  
بسنة، لا نكتبه. قال: فكتب ولم أكتب، فأنجح وضيعت)<sup>(٤)</sup>.

والصحابة تميزوا في العقيدة وفهمها بعدة ميزات، أهمها:

أ - أنهم شاهدوا التنزيل، وعاشوا مع النبي ﷺ وهو يتلقى هذا الوحي من  
ربه والذي ينزل عليه مفرقاً حسب الوقائع والأحداث، فعاصروها جميعاً،  
واحدة فواحدة؛ فكيف لا يكونون - وهم كذلك - أعلم الناس بالتنزيل

(١) رواه الصاغاني، كما في سير أعلام النبلاء: (١٥٨/٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات عن  
الصاغاني: (ص ٤٥١).

(٢) هو: صالح بن كيسان المدني، أبو محمد أو أبو الحارث، مؤدب ولد عمر بن عبدالعزيز، ثقة،  
ثبت، فقيه، مات بعد سنة: ١٤٠هـ. تهذيب تاريخ دمشق: (٣٨٠/٦)، وتذكرة الحفاظ:  
(٤٨/١١)، وسير أعلام النبلاء: (٤٥٤/٥)، والتقريب: (٣٦٢/١)، وطبقات الحفاظ:  
(ص ٦٣).

(٣) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله، أبو بكر القرشي الزهري المدني، أحد الأعلام، توفي سنة:  
١٢٤هـ. طبقات ابن سعد، الجزء المتمم: (ص ١٥٧)، وتاريخ دمشق، طبعت ترجمته مفردة،  
ووفيات الأعيان: (١٧٧/٤)، وغاية النهاية في طبقات القراء: (٢/٢٦٢)، وسير أعلام  
النبلاء: (٣٢٦/٥)، والوافي للصفدي: (٢٤/٥)، وتهذيب التهذيب: (٤٤٥/٩).

(٤) رواه عبدالرزاق في المصنف: (٢٥٨/١١)، ورقمه: (٢٠٤٨٧)، والخطيب في تقييد العلم:  
(ص ١٠٦ - ١٠٧)، وابن سعد في الطبقات: (٣٨٨/٢)، وفي الجزء المتمم: (ص ١٦٨)،  
والفسوي في المعرفة: (١/٦٣٧، ٦٤١)، وابن عساكر (ترجمة الزهري مفردة): (ص ٦٢)،  
وأبو نعيم في الحلية: (٣/٣٦٠).

وأَسباب نزوله إن كانت له أسباب، وأَعلم الناس من ثَمَّ بمراد الله ومراد رسوله ﷺ. ولا يقول عاقل: إن من حضر الواقعة أو الحادثة - أياً كانت - أقلّ علماً بها ممن لم يحضرها ولم يشارك فيها.

ب - من المعلوم أن حواربي الرسل وصحابتهم الذين اتبعوهم وآمنوا بهم هم أكثر الناس فهماً لرسالتهم وما يتعلق بها من أحكام؛ سواء في العقيدة أو الشريعة؛ فهم العارفون بدقائقها المدركون لحقائقها، وهم أكمل الناس علماً وعملاً، ولا يكون مَنْ بعدهم أكمل منهم في شيء من ذلك؛ ولذلك روى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره. ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف. يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»<sup>(١)</sup>، فمن سار على نهج الصحابة سلم من هذه الصفة الذميمة. ومع كل ذلك فمن أتى بعد الصحابة فلن يكون مثلهم في الفهم والعلم.

ج - لم يكن بين الصحابة خلاف في العقيدة، فهم متفقون في أمور العقائد التي تلقوها عن النبي ﷺ بكل وضوح وبيان، وهذا بخلاف مسائل الأحكام الفرعية القابلة للاجتهاد والاختلاف. يقول ابن القيم - رحمه الله - : (إن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان، وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيماناً. ولكن - بحمد الله - لم يتنازعوا في مسألة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة، كلمة واحدة، من

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، ورقمه: (٨٠).

أولهم إلى آخرهم، لم يسموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يُبدؤوا لشيء منها إبطالاً، ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورهم وأعجازها، ولم يقل أحد منهم: يجب صرفها عن حقائقها، وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحدة<sup>(١)</sup>.

والأمور اليسيرة التي اختلفوا فيها، كروية النبي ﷺ ربه، وغيرها لا تؤثر في هذه القاعدة العامة؛ لأن الخلاف فيها كان لأسباب وقد يكون لبعض الصحابة من العلم ما ليس عند الآخر؛ لكنهم - رضي الله عنهم - إذا جاء الدليل خضعوا له بلا تردد.

د - كان الصحابة يسألون عما يُشكّل عليهم، وهذا أمر مشهور عنهم، رضي الله عنهم، فأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - روي عنها أنها (كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه)<sup>(٢)</sup>؛ ولذلك سألت رسول الله ﷺ عندما قال: «من نوقس الحساب عذب» عن الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَ كَيْتَبُهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يَجَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>، فأجابها: «إنما ذلك العرض...»<sup>(٤)</sup>، كذلك سأل الصحابة عن رؤية الله فمثّل لهم برؤية الشمس والقمر ليس دونهما سبحانه<sup>(٥)</sup>.

(١) إعلام الموقعين: (١/٥١ - ٥٢) ت: الوكيل.

(٢) رواه البخاري عن ابن مليكة في العلم، رقم: (١٠٣)، واسمه: عبدالله بن عبيد الله بن عبدالله بن أبي مليكة بن عبد بن جدعان ثقة، فقيه، روى عن مجموعة من الصحابة، (منهم عائشة) وروى له الجماعة. انظر: التهذيب: (٥/٣٠٦)، والتقريب: (١/٤٣١).

(٣) سورة الانشقاق: ٧ - ٨.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري عن ابن أبي مليكة عن عائشة، كما رواه عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة، وأرقامه: (١٠٣، ٦٥٣٧، ٦٥٣٦، ٤٩٣٩)، ومسلم في الجنة، ورقمه: (٢٨٧٦).

(٥) رواه أحمد في المسند: (٤/١١)، وأبو داود رقم (٤٧٣١)، وابن ماجه في المقدمة، ورقمه: (١٨٠)، وابن أبي عاصم في السنّة، رقمه: (٤٥٩ - ٤٦٠)، وحسنه الألباني.

وكذلك قدرة الله على البعث ضرب لها مثلاً بالنبات<sup>(١)</sup>.

ومن هذه الميزات تتضح بجلاء مكانة الصحابة وعلمهم وفهمهم - رضي الله عنهم أجمعين - كما يتبين فضلهم - في هذه الأمور وغيرها - على من جاء بعدهم، وأن أي تجهيل لهم بأسلوب صريح أو غير صريح يعتبر ضلالاً وانحرافاً، لا يتوقف عند حد اتهام الصحابة أنفسهم، بل يتعداه إلى ما بلغوه عن رسول الله ﷺ من أمور الدين كلها. وإن العجب ليأخذ الإنسان وهو يقرأ مثل هذا الكلام لأحد الكُتّاب وهو يعرض لمذهب السلف ومدرستهم. يقول: (لعلنا نلمح من خلال هذا العرض الفرق الواضح بين الإيمان والمعرفة؛ فالأول محلّه القلب، والثانية محلّها العقل. ومن ثمّ نستطيع أن نقرر أن المتدينين في الصدر الأول قد فقهوا النصّ الديني - وخاصة ما يتعلق بأمور العقيدة - بقلوبهم قبل إدراكه بمقاييس العقل، كالذي عُرف فيما بعد لدى بعض فرق المتكلمين، وتخريجهم نصوص العقيدة على مقتضى ما وضعوه من مقامات عقلية) ثم يعقب قائلاً: (وليس في هذا القول نسبة لهم (أي المتدينين) إلى التجهيل كما فهم تقي الدين ابن تيمية)<sup>(٢)</sup>.

هكذا يقول الكاتب عن الصدر الأول وفيهم الصحابة: إنهم كانوا يؤمنون بأمور العقيدة بقلوبهم، ولكنهم لا يعرفونها بعقولهم، وإنما عرفها أهل الكلام من بعد لما جاؤوا بالمقدمات العقلية، ومع ذلك فليس في هذا تجهيل للصحابة والصدر الأول<sup>(٣)</sup>.

٥ - ومن منهج السلف، التسليم لما جاء به الوحي، مع إعطاء العقل دوره

(١) رواه أحمد عن أبي رزين العقيلي، واسمه لقيط بن عامر بن المتفق، وهو الذي سأله. المسند: (١١/٤).

(٢) المدرسة السلفية، تأليف: محمد عبدالستار نصار: (ص ٤٧٨).

(٣) انظر: في موضوع منزلة الصحابة، قواعد المنهج السلفي: (ص ٥١ - ٦٨) الطبعة الثانية.

الحقيقي، وعدم الخوض في الأمور الغيبية مما لا مجال للعقل فيه: فالسلف - رحمهم الله - لم يُلغوا العقل كما يزعم خصومهم من أهل الكلام، أو من لا خبرة له بمذهب السلف من غيرهم، كما أنهم لم يحكّموه في جميع أمورهم كما فعل أهل الضلال، وإنما وزنوا الأمر بموازين الشرع: فما جاء به الوحي فهو حق وصدق ولا يمكن أن يخالف معقولاً صريحاً أبداً؛ إذ كيف يخالفها والوحي من الله والعقل مخلوق لله، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك والمقصود هنا بيان أن من منهجهم التسليم لما ورد في النصوص وعدم معارضتها بشيء من الأهواء أو العقول، مع إعطاء العقل دوره المناسب له<sup>(١)</sup>.

٦ - لم يكونوا يتلقون النصوص ومعهم أصول عقلية يحاكمون النصوص إليها، كفعل المعتزلة وغيرهم الذين وضعوا أصولاً عقلية، ثم لما جاؤوا إلى القرآن والسنة وما فيهما من دلالات في الاعتقاد، نظروا؛ فما وجدوه موافقاً لتلك الأصول العقلية أخذوا به، وما وجوده مخالفاً لشيء منها أولوه أو أنكروا الاحتجاج به، وقد كان سيد قطب - رحمه الله - من الدعاة إلى هذا المنهج في العودة إلى العقيدة والتصور الإسلامي. يقول في كلامه حول المنهج الصحيح لذلك: (ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم، أن لا نواجهه بمقررات سابقة إطلافاً، لا مقررات عقلية، ولا مقررات شعورية من رواسب الثقافات التي لم نستقيها من القرآن ذاته نحاكم إليها نصوصه، أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة).

ويقول أيضاً - رحمه الله -: (لقد جاء النص القرآني - ابتداءً - لينشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر، وأن تقوم عليها حياتهم، وأقل ما يستحقه هذا التفضل من العلي الكبير، وهذه الرعاية من الله ذي

(١) انظر: علاقة الإثبات والتفويض: (ص ٢٣ - ٢٦)، ومنهج علماء الحديث والسنة: (ص ٤٠)، وانظر: نقض التأسيس المطبوع: (١/ ٢٤٦ - ٢٤٧).

الجلال - وهو الغني عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش دخيل، ليقوم تصورهم الجديد نظيفاً من كل رواسب الجاهليات، قديمها وحديثها على السواء، مستمداً من تعليم الله وحده، لا من ظنون البشر، التي لا تغني من الحق شيئاً).

(ليست هناك إذن مقررات سابقة نحاكم إليها كتاب الله تعالى؛ إنما نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداءً، ونقيم على هذه المقررات تصوراتنا ومقرراتنا، وهذا وحده هو المنهج الصحيح، في مواجهة القرآن الكريم وفي استلهامه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته)<sup>(١)</sup>.

٧ - الرجوع إلى النصوص الواردة في مسألة معيّنة، وعدم الاقتصار على بعضها دون البعض الآخر: وهذا ناشئ من أنهم لا يفرقون بين النصوص وليس لديهم أصول عقلية متقررة سلفاً عندهم ليأخذوا من النصوص ما وافقها ويدّعوا ما خالفها، كما وقع فيه أهل الأهواء كلهم؛ إذ ما من طائفة من طوائفهم إلا وأخذت بجزء من النصوص مما يوافق مذهبها ثم تأتي طائفة تطعن في أدلة الطائفة الأخرى... وهكذا في جميع مسائل العقيدة.

أما السلف - ومذهبهم هو الوسط - فلا يسلكون مثل هذا المنهج، بل يأخذون بجميع النصوص، فيكون معهم الحق الذي مع كل من الطائفتين المنحرفتين، ويسلمون من الباطل الذي معهما. والأمثلة على ذلك كثيرة وواضحة والحمد لله. فالسلف يجمعون النصوص في المسألة الواحدة من مسائل العقيدة وغيرها، ثم يأخذون بها جميعاً فيخلصون إلى مذهبٍ وسطٍ هو المذهب الحق والعدل.

(١) خصائص التصور الإسلامي: (ص ١٤ - ١٥)، ومع هذا المنهج الواضح لسيد قطب فلا يخلو كتابه (في ظلال القرآن) من بعض الهفوات التي وقع بها، خاصة في بعض الصفات كالاستواء وغيره.

٨ - التزام العدل والإنصاف مع أعدائهم : فهم يعترفون بما عند الخصوم من حق ، ولا يعميهم ما يجدونه عندهم من ضلال فيصدهم عن قول الحق فيهم ، أو يدعوهم إلى رميهم بما ليس فيهم من الباطل. وهذا بخلاف منهج أهل الأهواء الذين يرمون كل من لم يقل بمقالتهم بشتى أنواع التهم ، ويحملون أقوال من يخالفهم أسوأ الاحتمالات ، ولا يعترفون لهم بحق أبداً. أما أهل السنة فيلتزمون الإنصاف مع أنفسهم ومع من يخالفهم ، ولذلك فهم يقسمون مَنْ عداهم إلى قسمين :

١- أهل كفر وعناد : فهؤلاء يجاهدونهم ويكشفون باطلهم.

٢- أهل بدعة وعصيان : فهؤلاء يحمدون لهم ما عندهم من إيمان وجهاد وخير وخدمة للإسلام ، ويردّون ما هم عليه من بدعة ، ويبينون ما فيها من ضلال ومخالفة لمذهب أهل السنة ، ومن كان داعياً إلى بدعته فالموقف منه يشتد حسب خطورة المقالة الضالة التي أتى بها ، وحسب المصلحة التي تنجم عن كشف البدعة والقول بفسق صاحبها.

٩ - لا يتعصبون لشخصٍ إلا للرسول ﷺ ، فعندهم أن كلّ أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا الهادي البشير ﷺ ؛ لأنه الذي لا ينطق عن الهوى. وهذا بخلاف أهل الأهواء الذين يتعصبون لطائفهم أو إلى رجل من رجالهم ، ويجعلون أقوال هؤلاء كالنصوص ، لا تقبل الرد ولا التأويل ، ومن ثمّ يردون نصوص الكتاب والسنة لأجلها. أما أهل السنة فإمامهم وقائدهم - الذي يتبعون ما جاء به ويؤثرون جميع أقوال الناس بأقواله ، رسول الله ﷺ .

ثانياً: ما تميز به السلف (أهل السنة والجماعة) عن غيرهم:

والقصد من هذا بيان الميزات التي تميز بها أهل السنة عن غيرهم، ومن أهمها:  
 ١ - أن أهل السنة ليس لهم اسم يسمّون به إلا اسم (أهل السنة والجماعة) أو (أهل الحديث) فهو الاسم الذي عُرفوا به، وهذا بخلاف أصحاب البدع الذين تسموا بأسماء وألقاب أو عرفوا بها فصارت علماً عليهم، ومن المعلوم أن أهل السنة قد يسميهم غيرهم بأسماء وألقاب أخرى؛ إذ ما من فرقة إلا وسمّت أهل السنة باسم يناسب ما خالفها فيه أهل السنة، ولكن بقي أهل السنة لم يلزمهم شيء من هذه الألقاب الباطلة.

ولذلك ذكر ابن عبد البر أن رجلاً جاء إلى الإمام مالك فقال: (يا أبا عبد الله! سألك عن مسألة أجعلك حجة فيما بيني وبين الله، عز وجل. قال مالك: ماشاء الله لا قوة إلا بالله، سل. قال: من أهل السنة؟ قال: أهل السنة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به، لا جهمي ولا قدري، ولا رافضي<sup>(١)</sup>).

ويقول الشيخ عبدالقادر الجيلي<sup>(٢)</sup> في الغنية: (واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها؛ فعلمة أهل البدعة الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر بالحشوية، ويريدون إبطال الآثار، وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة، وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر ناصبة. وكل ذلك عصبية وغيظاً لأهل السنة، ولا اسم لهم إلا اسماً واحداً وهو: أصحاب الحديث، ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع، كما لم

(١) الانتقاء لابن عبد البر: (ص ٣٥).

(٢) أو الجيلاني، وهو الشيخ عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي الحنبلي، وفي مقدمة الغنية في ترجمته: (ص ٣) عبدالقادر بن موسى وكذا في الأعلام: (٤٧/٤) الطبعة الأخيرة، ولذ الشيخ عبدالقادر سنة ٤٧٠هـ، وتوفي سنة ٥٦١هـ. قال عنه الذهبي: (وفي الجملة: الشيخ عبدالقادر كبير الشأن، وعليه مأخذ في بعض أقواله ودعاويه)، وسماء في بداية الترجمة شيخ الإسلام وعلم الأولياء. سير أعلام النبلاء: (٤٣٩/٢٠ - ٤٥١)، وانظر الأنساب: (٤١٤/٣)، ط لبنان، والمنتظم: (٢١٩/١٠)، وذيل طبقات الحنابلة: (٢٩٠/١ - ٣٠١).

يلتصق بالنبي ﷺ تسمية كفار مكة ساحراً وشاعراً ومجنوناً ومفتوناً وكاهناً، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنّه ولسائره خلقه إلا رسولاً نبياً<sup>(١)</sup>.

٢ - توسطهم بين الناس، وعدم الإفراط أو التفريط، وهذا مبني على أن مذهبهم هو المذهب الوسط. وقد حرص السلف على أن يكونوا وسطاً في الأمور كلها وأن لا ينساق أحد منهم مع أحد القولين المتطرفين؛ ولذلك كان الشعبي<sup>(٢)</sup> يقول: (أحبّ أهل بيت نبيك ولا تكن رافضياً، واعمل بالقرآن ولا تكن حرورياً، واعلم أنّ ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك، ولا تكن قدرياً، وأطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً، ولا تكن خارجياً، وقف عند الشهوات، ولا تكن مرجئياً، وحب صاع بني هاشم ولا تكن خشياً<sup>(٣)</sup>)، وأحب من رأته يعمل الخير وإن كان أحرماً سندياً<sup>(٤)</sup>.

٣ - ثباتهم على منهجهم لقناعتهم أنه الحق، وعدم تقلبهم كما هي عادة أهل الأهواء؛ ولذلك روي عن عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - أنه قال: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)<sup>(٥)</sup>، كما روي عن الإمام مالك أنه قال: (كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ

(١) الغنية: (١/٨٠).

(٢) هو: الإمام المشهور: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، أبو عمرو الهمداني الشعبي، روى له الجماعة. توفي سنة ١٠٥هـ، وقيل غير ذلك. انظر: أخبار القضاة: (٢/٤١٣ - ٤٢٨) والحلية: (٤/٣١٠)، وسير أعلام النبلاء: (٤/٢٩٤)، والوفائي في الوفيات: (١٦/٥٨٧).

(٣) هم أتباع المختار بن أبي عبيد، من الشيعة، وهم من الكيسانية وغيرهم، وسموا بذلك لاستعمالهم المعاكيز في الحرب. انظر: مروج الذهب: (٣/٣١٠)، منشورات الجامعة اللبنانية.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق: (٧/١٤٣).

(٥) رواه الدارمي، رقم: (٣١٠)، باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله، والآجري في الشريعة: (ص ٥٦)، والبيهقي في شرح السنة: (١/٢١٧)، ط المكتب الإسلامي، ورواه اللالكائي في شرح السنة، رقم: (٢١٦).

لجدله<sup>(١)</sup>، وروى معن بن عيسى قال: (انصرف مالك بن أنس - رضي الله عنه - يوماً من المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الحورية كان يتهم بالإرجاء، فقال: يا عبدالله! اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجك، وأخبرك رأيي. قال: فإن غلبتني؟ قال: إن غلبتك اتبعني. قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه. قال مالك - رحمه الله - : يا عبدالله! بعث الله عز وجل محمداً ﷺ بدين واحد، وأراك تنتقل من دين إلى دين. قال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل<sup>(٢)</sup>).

ولذلك ما أكثر تنقل أهل الأهواء، بخلاف السلف الذين عرفوا الحق فثبتوا عليه. وأهل الكلام (لو اعتصموا بالكتاب والسنة لإتفقوا كما اتفق أهل السنة والحديث، فإن أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيء من أصول دينهم)<sup>(٣)</sup>.

٤- اتفاقهم على أمور العقيدة، وعدم اختلافهم مع اختلاف الزمان والمكان، وهذا ما يمكن أن يسمى بالوحدة الفكرية عندهم (فأهل السنة في أي قرن من القرون، وفي أي مكان لو اختبرت الواحد منهم لوجدته يحمل من العقيدة والمنهج - مع القناعة التامة بذلك - مثل ما يحمله. يقول قوام السُّنة الأصبهاني<sup>(٤)</sup>: (مما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف

(١) رواه اللالكاني في شرح السنة، رقم: (٢٩٣ - ٢٩٤).

(٢) الشريعة للأجري: (ص ٥٦ - ٥٧).

(٣) دره تعارض العقل والنقل: (٣٠٦/١٠).

(٤) هو: الإمام إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي، التيمي الأصبهاني، (ويقال له: الجوزي، نسبة إلى الجوزة، وهي الفرخة في لغة العجم)، وبها نسبة تلميذه صاحب الأنساب، وذكر أنه كان يكرهها، لكنه قال: ولولا اشتهاؤه بها ما نسبته إليها، ويلقب بقوام السُّنة، ولد سنة: ٤٥٧هـ وتوفي سنة: ٥٣٥هـ. الأنساب: (٣/٣٦٨)، وطبقات الشافعية للأسنوي: (١/٣٥٩) وشذرات الذهب: (٤/١٠٥)، وسير أعلام النبلاء: (٨٠/٢٠)، والأعلام: (١/٣٢٣).

بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، يجرون على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى فيهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيء مّا وإن قلّ. بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟<sup>(١)</sup>. وهذا وصف دقيق لوحدة أهل السنة وعدم تباين واختلاف أقوالهم مثل ما حدث ويحدث لمن عاداهم من أهل الأهواء والابتداع.

٥ - ردهم على أهل البدع في كل زمان حسب البدع التي نشأت فيه؛ وهذا لأنهم حريصون أتم الحرص على سلامة العقيدة من أن يشوبها شيء من كدر الهوى والابتداع؛ فكلما حدثت بدعة ردوا عليها وبينوا فسادها، وهكذا في البدع التي تليها.

ولا يفتعلون افتراضات وشبهات ثم يقومون بالرد عليها كما يفعل أهل البدع، وإنما يحرصون على تربية الناس على العقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة، ويبينون للناس ذلك ويشرحونه، حتى تمتلئ قلوبهم بعظمة الله، ويعظمة الرّوحي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وما يترتب على هذه التربية من الاعتزاز بهذا الدين وبمذهب أهل السنة والجماعة، وأنه طريق النجاح والفلاح.

أما مجادلة أهل البدع والرد عليهم فإنما يأتي عرضاً حسب خطورة البدعة والخوف من انتشارها، فيردون عليها فقط ولا يتعدى ذلك إلى افتراض بدع أخرى ثم الرد عليها، حتى توجد هذه البدعة.

ولذلك فمن الواضح من منهج السلف أنه (قد يبين بعضهم في بعض

(١) الحجة في بيان المحجة (مخطوط) ورقمه: (١٦٤) ب.

الأوقات ما لا يبينه غيره لحاجته في ذلك؛ فمن ابتلي بمن يقول: ليس هذا كلام الله كالإمام أحمد كان كلامه في ذم من يقول: هذا مخلوق، أكثر من ذمه لمن يقول: لفظي مخلوق. ومن ابتلي بمن يجعل بعض صفات العباد غير مخلوق، كالبخاري صاحب الصحيح، كان كلامه في ذم من يجعل ذلك غير مخلوق أكثر. مع نص أحمد والبخاري وغيرهما على خطأ الفريقين<sup>(١)</sup>.

٦ - حبههم لسنة الرسول ﷺ، وموالاتهم لأهلها: وهذه ميزة بارزة لأهل السنة كما أن ضدها من الإعراض عن السنة وعدم الاهتمام بها، والإضرار أحياناً بمن يفنون أعمارهم في روايتها ونقلها وتعليمها للناس، إحدى علامات أهل البدع الكبرى. روي عن البخاري أنه قال: (كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبدالله فقال: إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث عن النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم»<sup>(٢)</sup>، إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم؛ لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحبون سنة النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

ويقول قتيبة بن سعيد<sup>(٤)</sup>: (إذا رأيت الرجل يحب الحديث مثل يحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه (وذكر قوماً آخرين)، فإنه على السنة، ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع)<sup>(٥)</sup>.

(١) الجواب الصحيح: (١٠٣/٣).

(٢) سبق تخريجه: (٢٤).

(٣) شرف أصحاب الحديث: (ص ٥٢).

(٤) هو: قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي، أبو رجاء البغلاني، ثقة ثبت، ولد سنة ١٤٩هـ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ. روى له الجماعة. سير أعلام النبلاء: (١١/١٣)، والأنساب: (٢/٢٥٧)، والتقريب: (٢/١٢٣).

(٥) شرف أصحاب الحديث: (ص ٧١ - ٧٢)، ورواه - مع اختلاف يسير - الصابوني في عقيدة السلف: (ص ١٠٩)، واللالكائي في شرح السنة، رقم: (٥٩).

ويقول الشيخ أبو إسماعيل الصابوني: (وإحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلماؤها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زين الله - سبحانه - قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه، جلّ جلاله)<sup>(١)</sup>.

٧ - قبولهم عند الناس والتمكين لهم: فهم العدول الذين تُقبَل أقوالهم ويُحتجّ برواياتهم. ولو استعرضنا تاريخ الإسلام لوجدنا البارزين فيه في كل عصر هم أهل السنة الذين قاموا بالحق ودعوا إليه، وجددوا ما اندرس من أمور الإسلام، وجاهدوا في الله حق جهاده بالنفس والمال والقلم واللسان.

يقول إسحاق بن موسى الخطمي<sup>(٢)</sup>: ما مُكِّن لأحد من هذه الأمة ما مُكِّن لأصحاب الحديث؛ لأن الله - عز وجل - قال في كتابه: ﴿وَلْيَكُنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> فالذي ارتضاه الله قد مكن لأهله فيه، ولم يمكِّن لأصحاب الأهواء في أن يُقبَل منهم حديث واحد عن أصحاب النبي ﷺ.

وأصحاب الحديث يُقبَل منهم حديث رسول الله ﷺ وحديث أصحابه. ثم إن كان فيهم رجل أحدث بدعة سقط حديثه وإن كان من أصدق الناس<sup>(٤)</sup>. وهذا على العموم، وإلا فقد روى بعض العلماء عن بعض أهل البدع بشروط دقيقة حدودها.

٨ - حرصهم على تنشئة الشباب على السنة؛ لأن الشاب إذا نشأ على قراءة القرآن ومحبة السنة ومدارسها، وما ينشأ عن ذلك من مجالسة أصحابها والتعلم

(١) عقيدة السلف للصابوني: (ص ١٠٨ - ١٠٩).

(٢) هو: إسحاق بن موسى الخطمي، أبو موسى المدني، ثقة متقن من رجال مسلم وبعض أصحاب السنن، توفي سنة ٢٤٤هـ، تهذيب الكمال للمزي: (٢/٤٨٠) مطبوعة، وسير أعلام النبلاء:

(١٠/٥٥٤)، والتقريب: (١/٦١).

(٣) سورة النور: ٥٥.

(٤) شرف أصحاب الحديث: (ص ٣٢).

منهم، أخرى أن يكون معهم وأن يكون صاحب سنة، مبالغاً للبدعة وأصحابها. قال عمرو بن قيس الملائي<sup>(١)</sup>: (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيت مع أهل البدع فايش منه فإن الشاب على أول نشوئه)<sup>(٢)</sup>، وقال عبدالله بن شوذب<sup>(٣)</sup>: (إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يواخي صاحب سنة يحمله عليها)<sup>(٤)</sup>، وروى عن أيوب [السختياني]<sup>(٥)</sup> أنه قال: (إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة)<sup>(٦)</sup>.

٩ - الحرص على جماعة المسلمين ووحدتهم: فهم دائماً يحضون على الوحدة وينبذون الفرقة والتفرق. وهذا واضح في منهج السلف القائم على أن أي اتفاق بين المسلمين لا يكون إلا على أساس الرجوع إلى الكتاب والسنة، وتحكيمها، فهم أهل السنة والجماعة المجتمعون على الحق، الحريصون على جمع الناس على كلمة الحق.

١٠ - أخلاقهم وسلوكهم: فهم مميزون بحسن الخلق، ومحبة الخير للناس، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال:

(١) أبو عبدالله الكوفي، ثقة متقن، عابد، مات سنة بضع وأربعين ومئة حددها بعضهم بسنة ١٤٦هـ. تهذيب التهذيب: (٩٢/٨)، والتقريب: (٧٢/٢).

(٢) الإبانة (الصغرى) لابن بطة، (ص ١٣٣) رقم: (٩٢).

(٣) هو: عبدالله بن شوذب الخراساني، أبو عبدالرحمن، صدوق عابد، ولد سنة ٨٦هـ، وتوفي سنة ١٤٤هـ، وقيل: ١٥٦هـ. الحلية: (١٢٩/٦)، سير أعلام النبلاء: (٩٢/٧)، تهذيب التهذيب: (٢٥٥/٥)، التقريب: (٤٢٣/١).

(٤) شرح السنة للالكائي رقم: (٣١)، وانظر: الإبانة (الصغرى)، (ص ١٣٣).

(٥) هو: أيوب بن أبي تيممة، كيسان السختياني، أبو بكر البصري، ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء والعباد، توفي سنة ١٣١هـ. سير أعلام النبلاء: (١٥/٦)، تهذيب المزني: (٤٥٧/٣)، رقم الترجمة: ٦٠٧ (مطبوعة)، وتهذيب التهذيب: (٣٩٧/١)، والتقريب: (٨٩/١).

(٦) رواه اللالكائي، رقم: ٣٠، وابن الجوزي في تليس: (ص ٩)، الطبعة المنيرية.

- \* فهم ينصحون للأمة، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
- \* ويدعون الأمة إلى الإجتماع والتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.
- \* ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء والرضى بالقضاء.
- \* ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من منعك، وتعفو عمن ظلمك.
- \* ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام.
- \* ويأمرون بحسن الجوار وحفظ حقوقه.
- \* كما يأمرون بالإحسان إلى اليتامى والمساكين، وابن السبيل.
- \* وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق.
- \* ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسها<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: أواخر العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهي خاتمة بديعة، نتمنى من دارسي العقيدة ومدرسيها الوقوف معها علماً وعملاً.



## الخاتمة

وبعد، فهذه لمحات في منهج أهل السنة والجماعة، وطريقة السلف في الاستدلال. والذي أوصي به في هذه الخاتمة أمور:

١ - أن التزام منهج السلف أساسه الإسلام والتسليم لنصوص الكتاب والسنة، وتعظيمهما في القلوب.

٢ - أن الهجوم على منهج السلف يزيد قوة وقبولاً؛ فعلى المتمسكين به أن يدركوا هذه الحقيقة؛ خاصة إذا صحب ذلك صبر ومصابرة وثبات وعدل وإنصاف من جانب أهل الحق، ومعلوم أن العاقبة للمتقين.

٣ - قد يوجد في من ينتسب إلى مذهب السلف من يقع في زلة، أو خطأ، أو خلق لا يرتضى؛ فمن الواجب والإنصاف أن يُنسب مثل هذا إلى صاحبه لا إلى منهج السلف عموماً، وعلينا النصيحة وبيان الحق.

٤ - ما من حق عند المخالفين، أو خلق فاضل عند بعضهم إلا والأصل فيه أنه عند السلف قائم بهم؛ وقد ذكر بعض الأئمة أنه ما من أمر يمدح فيه بعض أهل البدع إلا ما وافق فيه أهل السنة.

٥ - منهاج السلف وصفاتهم هي جوانب عملية، ينبغي لكل مسلم أن يتمثلها عملاً بعد فهمها والعلم بها، ومن ثم نشرها والدعوة إليها.

أسأل الله - تعالى - بمنه وكرمه أن يوفقنا لسلوك المنهج الحق، وأن يعيدنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الرسالة الثانية  
مصدر تلقي العقيدة  
عند السلف الصالح



المقدمة<sup>(١)</sup>

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَدَعَكُمْ فِي بَاطِنِ أَرْحَامِكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۗ كَثِيرًا مِمَّا تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٤)</sup>.

أما بعد: تعلمون جميعاً أن مسألة الإيمان والحكم به على الناس ودخول الناس في هذا الإسلام مسألة أصيلة في حياة البشر وكيف لا تكون والله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(٥)</sup> فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته وحده لا شريك له، ولأجل أن تقوم الحجة على العباد، أرسل الرسل وأنزل الكتب وأوضح للناس المحجة، حتى ترك رسلُ الله عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم هذا الخاتم محمد بن عبدالله ﷺ أمامهم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أيها الأخوة: لما كان الأمر كذلك كانت مسألة العقيدة والاعتصام بها

(١) هذه في الأصل محاضرة ألقيت في أحد مساجد الرياض.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٣) سورة النساء: ١.

(٤) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

(٥) سورة الذاريات: ٥٦ - ٥٨.

وسلوك منهج السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - ليست مسألة اجتهادية يأخذ بها من شاء ويتركها من شاء، وإنما هي مسألة عقيدة توجه حياة الإنسان في هذه الدنيا وتحدد موقفه يوم القيامة حينما يقدم على ربه تبارك وتعالى.

والرسول ﷺ أخبر أمته ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة (كلها في النار إلا واحدة) ثم بيّن عليه الصلاة والسلام أن هذه الواحدة هي (الجماعة) وأنها (من) كان على مثل ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ولما كانت هذه القضية - قضية الاعتقاد على منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى ويدخل فيها منهج الاستدلال الشرعي - قضية مهمة وجب أن يبحث عنها كل مسلم ووجب أن يعلم ويدرس معالم هذا المنهج.

ونظراً لتشعب الموضوع وكثرة مسائله فسنعرض للموضوع من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مقدمات مهمة لا بدّ منها.

المبحث الثاني: منهج السلف - رحمهم الله - في مصدر التلقي.

المبحث الثالث: منهج السلف في الاستدلال الشرعي.

## المبحث الأول مقدمات مهمة لا بدّ منها

هذه المقدمات لا بدّ منها لشرح بعض القضايا المتعلقة بمنهج السلف.  
وأهمها:

أولاً: ما اشتهر عند كثير من أهل الكلام وممن ينتسب إلى الإسلام من أهل الفلسفة وغيرهم من تقسيم الدين إلى أصول وفروع، فيقولون هذا أصل من أصول الدين، وهذا فرع من فروع الدين، فيجعلون مسائل الاعتقاد من أصول الدين ومسائل الأحكام الشرعية الفرعية من فروع الدين، ثم يُرتبون على هذا عدة ترتيبات، فمثلاً: يقولون إن الخطأ في مسائل الأصول قد يوصل صاحبه إلى الكفر لكن الخطأ في مسائل الفروع لا يوصله إلى الكفر وإنما يبقى خطأ اجتهادياً.

وأيضاً من ناحية الإثبات فإنهم قد يثبتون الفروع بأخبار الآحاد، ولكن الأصول يرفضون أن يثبتوها بأحاديث الرسول ﷺ ويقتصرون في إثباتها على المتواتر أو على أدلة العقول كما هو منهجهم.

وهؤلاء الذين قَسَموا الدين إلى أصول وفروع خلطوا خلطاً عجيباً في هذا الباب، ولا شك أن هذا التقسيم حادث ولم يكن موجوداً على عهد النبي ﷺ وأصحابه ولا على عهد القرون المفضلة من السلف - رحمهم الله تعالى؛ لأنهم يجعلون كل قضية خبرية تتعلق بالإيمان بالله أو بالرسول ﷺ أو باليوم الآخر أو نحو ذلك من أصول الدين، وكل قضية تتعلق بأحكام الفروع ولو كانت الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصيام من فروع الدين، ومن ثم جعلوا الأمور الأولى أموراً مهمة والأمور الأخرى أموراً فرعية ليست ذات أهمية.

والحق أن هذا التقسيم خطأ كبير جداً، لأن الدين الذي فسره الرسول ﷺ لما جاءه جبريل وقال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» شامل للإسلام بأركانه الخمسة وشامل للإيمان بأركانه الستة كما أنه أيضاً شامل للإحسان وهو

المرتبة العليا من الدين «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». ومن ثم فإن مسألة الصلاة مثلاً هم يقولون عنها إنها من فروع الدين وهي بلا شك من أصول الدين، لأن إقرار واعتراف المؤمن بها أصل من أصول الدين، ومن جحدها فهو كافر بإجماع العلماء، وكذلك أيضاً تحريم الربا، وتحريم شرب الخمر، وتحريم الزنى وغير ذلك، هذه كلها أمور معلومة من الدين بالضرورة فهي من أصوله، فمن جاء ليحجدها ويقول إن الله لم يحرم الربا، أو إن الله لم يحرم الخمر، أو إن الله لم يوجب الصلاة أو الزكاة، فهو خارج عن دائرة الإسلام، فكيف يأتي قائل بعد ذلك ليقول إن هذه من فروع الدين وليست من أصوله.

ثانياً: وعلى ضوء هذا فعندما نقول منهج السلف - رحمهم الله تعالى - في الاعتقاد فإننا لا نعني بذلك قضايا الاعتقاد الخاصة التي يتحدث عنها بعض الناس، وإنما يشمل جميع أصول الدين، ومن ثم فإن التقسيم الصحيح لهذه المسائل إنما هو بتقسيمها إلى قسمين خبر وطلب:

الأول: الخبر إما عن الله أو عن الرسول ﷺ أو خبر عن اليوم الآخر أو غيره من الأخبار فهذه كلها تسمى أخبار.

الثاني: هو الطلب وهذا الطلب هو المشتمل على الأوامر والنواهي، ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به من الصلاة والزكاة والحج، وما نهانا الله سبحانه وتعالى عنه من أكل الربا والخمر وغير ذلك.

وهذا التقسيم المناسب الصحيح لهذا الدين، وكل من الخبر والطلب فيه ما هو أصول وفيه ما هو فروع.

ثالثاً: أن المتبوع لأصول الناس جميعاً يجدهم ينقسمون إلى قسمين لا ثالث

لهم:

القسم الأول: هم المتبعون للرسول ﷺ على منهج الحق ظاهراً وباطناً.

القسم الثاني: هم المخالفون لذلك المعترضون على حكم الله وأمره وعلى حكم رسول الله ﷺ وشرعه وهؤلاء المعترضون ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الذين يعترضون بالشبه الباطلة والتي يسمونها قواطع عقلية وليست قواطع عقلية وإنما هي خيالات، كالذين ينكرون أسماء الله وصفاته أو عموم قدرته سبحانه وتعالى أو غير ذلك بأدلة باطلة. وهذه هي الطائفة الأولى من المتفلسفة وأهل الكلام وغيرهم.

الطائفة الثانية: هم الذين يعترضون على شرعه وأمره وهؤلاء ثلاثة أقسام:

القسم الأول منهم: هم الذين يعترضون بأرائهم وقياساتهم المتضمنة تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أباحه الله سبحانه وتعالى أو إسقاط ما أوجبه وإيجاب ما أسقطه.. إلخ. وهؤلاء هم أصحاب القياسات العقلية الفاسدة الذين أرادوا أن يقيسوا بها دين الله سبحانه وتعالى.

القسم الثاني من هذا النوع الذين يعترضون على حقائق الإيمان وعلى حقائق الشرع بما عندهم أو ما يسمونه بالأذواق والمواجيد والخيالات وغيرها وهذا مشهورٌ عند المتصوفة، فإن هؤلاء يعتقدون أن هذه الكشوفات وهي كشوفات باطلة تقدّم على حقائق الإيمان وعلى حقائق الشرع، وقد يصل ببعضهم الأمر إلى أن يحل ما حرم الله ويحرم ما أحله الله سبحانه وتعالى لأنه وصل إلى مرتبة الولاية وسقوط التكليف.

القسم الثالث: من هذا النوع هم الذين يعترضون على شرع الله وأمره بالسياسات الجائرة التي يقدمونها على حكم الله سبحانه وتعالى وعلى حكم رسوله ﷺ.

الطائفة الثالثة: هم الذين يعترضون على أفعال الله سبحانه وتعالى وعلى قدره وهؤلاء من أعظم الناس ضللاً وجهالة لأنهم يقولون بتعارض الشرع مع القدر.

فهذه الطوائف بأقسامها، كل منهم يقدم أموره التي اخترعها وجاء بها من عنده على أمر الله ورسوله.

فالطائفة الأولى: إذا تعارض عندهم العقل مع النقل قالوا نقدم العقل.

والطائفة الثانية: إذا تعارض الأثر مع القياس قدموا القياس على الأثر.

والطائفة الثالثة: إذا تعارض الذوق والوجد والكشوفات مع ظواهر الشرع

قدموا أذواقهم وكشوفاتهم.

والنوع الرابع أصحاب السياسات يقولون إذا تعارضت السياسة والشرع تقدم

السياسة، وهي السياسة الجائرة، والآخرون قدموا أوهامهم وضلالهم فتوهموا

التعارض بين الشرع والقدر.

رابعاً: أنه قد نبغت نابغة من قديم الزمان وهي موجودة إلى الآن جعلوا لهم

منهجاً عقلياً وهذا المنهج العقلي كان يسمى قديماً بالسفسطة ويلتزم بها بعض

أرباب الفلسفات المعاصرة، وقد ينتحله كثير من أرباب الحدائث وغيرهم،

وهؤلاء هم الذين يقولون ليس هناك حق ثابت في نفس الأمر، بل كل من اعتقد

عقيدة وكل من قال قولاً فإن قوله يحتمل أن يكون حقاً بل يجب أن يكون حقاً

حين يجزم به. وهؤلاء هم الذين ينكرون كل ثابت ويقولون إنه ليس هناك شيء

ثابت في دين الله سبحانه وتعالى.

والحق عند هؤلاء مسألة نسبية وهو ما يراه كل شخص بحسبه وهذه القضية

تجد كثيراً ممن يطرحها ويقول لماذا نأتي ونقول نرجع إلى مذهب خير القرون؟

ولماذا تريدون أن تعودوا بنا إلى ذلك العهد؟، الظروف تختلف والأحوال

تختلف، ومن ثم فإن الحقائق أيضاً تختلف.

ولما كان الأمر كذلك تجد الواحد من هؤلاء يظن أن كل من انتحل نحلة أو

اعتقد عقيدة فإنه يجب أن تكون هذه النحلة وهذه العقيدة محترمة، وهذا ما

نشاهده لدى كثير من العلمانيين والحدّائين وغيرهم ، يقول الواحد من هؤلاء إن كل شيء تنتجه الأرض العربية فهو مقدس وهو حق ويجب أن نصدقه ولا مانع من أن يكون منهجاً لنا في مستقبل حياتنا ولو كان هذا الشيء كفراً وشركاً والحاداً أو غير ذلك . وهذه قضية من القضايا التي يطرحونها دائماً وباستمرار باسم التراث والوطنية والقومية وينبغي أن ينتبه لها أهل العلم والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى . فقضية الرجوع إلى منهج السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - في أبواب العقيدة والثوابت من ديننا وشريعتنا هي مسألة دين وعقيدة وليست مسألة اجتهاد ولكل مجتهد نصيب كما يزعم كثير من هؤلاء .



## المبحث الثاني منهج السلف رحمهم الله في مصدر التلقي

أولاً: الكتاب والسنة مصدر التلقي:

أول قضية بديهية تقف معنا في هذا الباب هي أن مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة هو الكتاب والسنة، فكتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسول الله ﷺ هما المصدران الأساسيان لهذه العقيدة ولا يجوز لأي إنسان يدعي الإسلام ويدعي أنه مؤمن بهذا الدين أن يستغني أو يتخلى عن هذين المصدرين بأي حال من الأحوال، وهذه قضية دلت عليها الأدلة الكثيرة. يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> ويقول سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾<sup>(٢)</sup> وهو دليل على أن من اعتمد على الكتاب والسنة ولم يخرج عنهما فهو الذي سلك المنهج الحق، ولا خيار لأي إنسان أن يسلك أي منهج شاء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا في الذين يؤمنون ببعض الكتاب.

أما من السنة فقد ورد عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة في هذا الباب تبين وجوب اتباع شرعه وأنه عليه الصلاة والسلام قد آتاه الله القرآن ومثله معه، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) سورة البقرة: ٨٥.

فمسألة الاعتصام بالكتاب والسنة هي مسألة أساسية وهما المصدران الأساسيان لتلقي هذه العقيدة بأصولها وفروعها .

والسلف - رحمهم الله تعالى - كانوا مُسلمين بهذا تسليمًا تاماً، ولما سُئل الزهري - رحمه الله تعالى - عن قول النبي ﷺ: «ليس منا من شق الجيوب» ما معناه؟ قال كلمته المشهورة: (من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم) فما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا خيار لأحد أن يسلكه أو لا يسلكه بل يجب عليه أن يسلكه، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾<sup>(١)</sup> فالخيرة ليست لأحد في ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن ثم فإن هذين المصدرين الكتاب والسنة هما اللذان اعتمد عليهما السلف الصالح - رحمهم الله تعالى -، وهما اللذان يجب أن نعتمد عليهما إذا أردنا أن نعيد إلى هذه الأمة الإسلامية حقيقة مجدها وعزها الذي عاشت فيه، والله سبحانه وتعالى تكفل بنصر دينه إن نحن نصرناه يقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ونصر الله سبحانه وتعالى إنما يتحقق إذا نصرنا دينه، ونصر دينه إنما يكون بالاعتصام بهذا الدين أي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والناس تجاه هذين المصدرين - الكتاب والسنة - أنواع:

النوع الأول: الذين يقبلونه ظاهراً وباطناً فيقبلون ما جاء به الكتاب ظاهراً وباطناً، وهؤلاء قسمان أهل فقه وفهم وأهل حفظ ورواية، وكل منهما يكمل الآخر.

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) سورة غافر: ٥١.

(٣) سورة الروم: ٤٧.

النوع الثاني: الذين يردون الكتاب والسنة ظاهراً وباطناً، وهؤلاء أيضاً قسماً: قسم عرف الحق ولكنه حسداً من عند نفسه رفض الإيمان ورفض اتباع الكتاب والسنة. والقسم الثاني هم أتباع لهؤلاء السادة والكبراء.

النوع الثالث: هم الذين قبلوه ظاهراً وردوه باطناً، وهؤلاء هم المنافقون الذين يعلنون أنهم مؤمنون وأنهم لا يرضون عن الكتاب والسنة بديلاً، ثم هم في الباطن يحاربون الكتاب والسنة ويحاربون الدعاة إلى الكتاب والسنة ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا بِكُمْ فَأَنكَبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (١).

النوع الرابع: من قبله باطناً وردّه ظاهراً، وهذه قد تحدث للمستضعفين في بعض الأزمان وفي بعض الأماكن فلا يستطيع أن يظهر الإسلام بل قد يضطر إلى أن يعلن أنه ليس من أهل الإسلام، وهو في حقيقة أمره من المؤمنين الصادقين، وهذا حدث في فترات من تاريخنا الإسلامي كما في الأندلس، لما هجم النصارى على المسلمين هناك فأرغموهم على إعلان النصرانية وممارسة شعائرها، فكان المسلمون هناك يظهرّون النصرانية ويذهبون بأولادهم إلى الكنائس، ثم إذا رجعوا إلى بيوتهم يجلسون في الخلوات يُعلمون أولادهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتلك محنة جرت للأمة الإسلامية يطول وصفها. ومثله ما جرى في العصر الحديث للمسلمين فيما يسمى بالاتحاد السوفييتي.

وينبغي أن نعلم أن الاعتماد على الكتاب والسنة في هذا له معالم أساسية:

أول هذه المعالم: أن الإيمان لا يتحقق إلا بذلك.

ثانيها: أن العقول البشرية لا يمكن أن تستقل بتحصيل المعارف، فلا بد من الالتزام والاعتماد على الخبر الصادق.

والأمر الثالث: ينبغي أن يُعلم أن النبي ﷺ معصوم تمام العصمة فيما يُبلغه عن ربه تبارك وتعالى.

والأمر الرابع: ينبغي أن نعلم أنه لا يمكن أن يكون بين نصوص الكتاب والسنة أي تعارض أو تناقض، فلا يمكن أن يأتي نص يناقض نصاً ولا يخالفه، لأن نصوص الكتاب والسنة قسمان:

إما أخبار وإما أوامر ونواهي، فأما الأخبار فلا يمكن أن يأتي فيها نصّ يخالف نصّاً أبداً، وأما الأوامر والنواهي فهي الأحكام الشرعية التي قد يدخلها النسخ وقد تختلف فيها اجتهادات العلماء كما اختلف فيها الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - وهذا من حكمة الله تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يصدر عن النبي ﷺ في وقت واحد نصّان متعارضان أبداً وإنما قد يرد نصّ في الدلالة على أمر معين أو الأمر به في وقت ثم بعد ذلك ينسخه الله أو ينسخه الرسول ﷺ بأمر من الله تبارك وتعالى، لكن أن يكون هناك نصّان متعارضان في وقت واحد فهذا لا يمكن أن يحدث أبداً.

وفي ختام الكلام على هذا المصدر أو هذين المصدرين على الصحيح أود أن أشير إلى فكرة يطرحها بعض الذين في قلوبهم مرض من العلمانيين وغيرهم، وهذه الفكرة قد تكون بدأت بوادرها الآن حيث بدأوا يرفعون لواء الرجوع إلى الكتاب والسنة دون الرجوع إلى فهم السلف للكتاب والسنة، وهذه كلمة حق أرادوا بها باطلاً، فهم يعلمون أنه لا يمكن الهجوم على الكتاب والسنة، ولا يمكن أن يكون هناك رفض تام للعقيدة ولا للكتاب ولا للسنة لأن هذه ردة معلومة ولا يستطيعون أن يطرحوها، فلجأوا إلى أسلوب آخر يريدون أن يبدأوا من خلاله بنقض شريعتنا وتحطيم عقيدتنا، فجاءت هذه الفكرة تقول ينبغي أن نرجع إلى الكتاب والسنة وأن نفهمهما من خلال واقعنا المعاصر، ولا نلتفت إلى فهم السلف ولا إلى فهم العلماء السابقين وما أصّلوه من أصول ولا ما فعّده من قواعد، ومن ثم فنحن نرجع إلى الكتاب والسنة ونتدارس مفاهيمهما وما نتوصل إليه هو الذي نطبقه ونعمل به، وهذا معناه أن نتخلى عن كل ما سبق من تاريخنا وتراثنا في فهم الكتاب والسنة وشروحه، ثم نبدأ فهماً

جديداً وتفسيراً وشرحاً لهما، ومن هو الذي يعتمد قوله في هذا الفهم الجديد؟ كل من أراد أن يفهم الكتاب والسنة فليفهم، العالم، والجاهل والمتخصص وغير المتخصص، بل والملحد الزنديق الذي لم يؤمن بكتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، كل هؤلاء يمكن أن يفسروا كتاب الله وأن يفسروا سنة الرسول ﷺ.

وهذه قضية خطيرة جداً لعل فيما يأتي إن شاء الله تعالى إشارة إلى بعض جوانبها.

### ثانياً: الاعتماد على فهم الصحابة:

القضية الثانية المتعلقة بمصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة، هي أن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - هم المُبلّغون عن الرسول ﷺ ومن ثم فإن فهمهم للنصوص مقدم على فهم غيرهم، وهذه قضية تابعة للأولى ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً.

وأصحاب الرسول ﷺ كانوا - رضي الله عنهم وأرضاهم - أحرص الناس على فهم الكتاب والسنة وعلى تطبيقه، ومن ثم فإن التطبيق العملي عقيدة وشريعة لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ نجده أفضل ما يكون عند هؤلاء الصحابة الكرام - رضي الله عنهم -، ولقد تميز هؤلاء الصحابة بعدة ميزات لعل من أهمها حرصهم الشديد على الفهم عن رسول الله ﷺ يقول: (سمعت أذناي ووعاه قلبي) حين تكلم به عن الرسول عليه الصلاة والسلام، كذلك أيضاً كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن المسائل وعما يشكل عليهم، والنبى عليه الصلاة والسلام لما سأله أبو هريرة - رضي الله عنه وأرضاه - وقال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسأل عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث»، وكانوا أيضاً يراجعون السنة بل كانت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - زوج النبي ﷺ لا تسمع عن شيء لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه كما ورد في

صحيح البخاري . وكذلك أنس بن مالك - رضي الله عنه وأرضاه - يقول : كنا نكون عند النبي ﷺ فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه .  
 فالصحابه - رضي الله عنهم وأرضاهم - كانوا حريصين كل الحرص على التلقي عن رسول الله ﷺ، وعلى حسن الفهم عنه، وعلى تطبيق ما يرد إليهم وما يسمعون سواً كان من كتاب الله، أو حديث رسول الله ﷺ، وهؤلاء الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم - قد آتاهم الله حفظاً وفهماً، ودعا الرسول ﷺ لبعضهم في ذلك، بل كانوا - رضي الله عنهم وأرضاهم - يختاطون في الحديث عن الرسول ﷺ احتياطاً شديداً، وهذه قضية معروفة لدى علماء الحديث .

والنتيجة التي ينبغي أن نخلص منها هنا هي أن الكتاب والسنة يرتبط فهمهما وتفسيرهما في الاعتقاد وفي الفروع أول ما يرتبط بفهم السلف - رحمهم الله تعالى - وأي انفكاك عن هذا الفهم فهو ضلال مبین، لأنه يفتح الباب للقرامطة والرافضة والعقلانيين والفلاسفة والمعتزلة والمتأولة وغيرهم، كما سيأتي شرح لبعض مناهج هؤلاء .

وهذه القضية وهي قضية أن السلف - رحمهم الله تعالى - هم الذين يجب أن يتلقى عنهم فهم النصوص هي التي قررها علماء السلف المتقدمون منهم والمتأخرون حتى أن الشيخ أبا حامد الغزالي وهو الذي عرف عنه التصوف وعرف عنه أيضاً دخوله في علم الكلام، وهو الذي اشتهرت كتبه وفيها كثير من البدع، لما كان في آخر عمره رجع إلى علم الحديث ورجع إلى مذهب السلف - رحمهم الله تعالى - وقرر أن الحق هو مذهب السلف ثم قرر أن هذا يجب لأننا لا بد أن نسلم بعدة أصول :

أولها : أن الرسول ﷺ هو أعلم الخلق بصلاح أحوال العباد في معاشهم وفي معادهم .

والثاني: أنه ﷺ بَلَّغَ كل ما أوحى إليه من صلاح العباد في معاشهم ومعادهم ولم يكتف من ذلك شيئاً وأنه كان أحرص الخلق على صلاح الخلق وإرشادهم إلى صلاح المعاش والمعاد.

والثالث: أن أعرف الناس بمعاني كلام النبي ﷺ وأحرامهم بالوقوف على كلمته وإدراك أسرارهِ الذين لازموا وعانوا التنزيل وعرفوا التأويل وهم أصحابه.

الرابع: أن الصحابة في طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل ولو كان من الدين لأقبلوا عليه ليلاً ونهاراً ودعوا أولادهم وأهلهم إليه. ثم يقول الغزالي: فنعلم بالقطع من هذه الأصول أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه.

هذه أيها الأخوة نتيجة تجربة لأكبر عَلمٍ من أعلام الكلام وعلماء أهل التصوف يقرر بعد تجربة امتدت عشرات السنين أن مذهب السلف - رحمهم الله تعالى - هو الحق ولا حق إلا هو، فهل يعي ذلك أولئك العقلانيون وغيرهم الذين يريدون أن يدخلوا في ديننا وفي شرعنا تلك المعقولات والآراء الباطلة والأقيسة العقلية الفاسدة، ويردّوا بها النصوص. هل يعقلون تجارب هؤلاء؟ نرجو ذلك.

### ثالثاً: الإجماع:

الأمر الثالث من أمور مصادر تلقي العقيدة هو الإجماع، ومقتضاه أن ما أجمع عليه المسلمون في عصر من العصور فلا يجوز لأحد خلافه أبداً، وقد يقول قائل وهل المسائل التي أجمع عليها المسلمون كثيرة؟ نقول: نعم. المسائل التي أجمع عليها المسلمون كثيرة، وهي مسائل واضحة ومحددة وقد ذكرها العلماء - رحمهم الله تعالى -، فما أجمع عليه العلماء فلا يجوز لأحد

خلافه مهما كان لأن إجماع هؤلاء العلماء إنما هو إجماع مبني على الكتاب والسنة أي إجماع مبني على دليل فلا يجوز لأحد أن يخالفه بعد حدوث ذلك الإجماع وهذا شامل لأصول الدين وفروعه، وبعض أهل الكلام حصر الإجماع في مسائل الفروع أما مسائل الأصول - أي العقائد - فيقول إن الإجماع لا يدخله، وسبب ذلك أنه يرى أن أدلة العقول يمكن أن تدخل في باب العقائد وما دام هذا ممكناً عندهم فالإجماع غير وارد. وهذه طبعاً قضية من الخطأ بمكان، لأن الإجماع على أي أمر كان سواء من الأمور العقديّة أو من أمور الشرع هو إجماع ولا يجوز لأحد خلافه أبداً.

وهذه المسألة وهي مسألة الإجماع مع أنها أصل كبير بحد ذاته إلا أنها تفيدنا في حسم تلك النظرية التي تقول إنما يجب أن نرجع إلى الكتاب والسنة دون أن نرجع إلى ما قاله العلماء فماذا سيفعل هؤلاء بالإجماع - أي ما أجمع عليه السلف رحمهم الله تعالى - وهل سيقولون نتخلى عنه ونرفض ذلك الإجماع ونأتي بأفهام جديدة وآراء جديدة، تلك قضية واحدة فقط من القضايا الخطيرة التي تترتب على ذلك الرأي الخطير.

رابعاً: موقع دلائل العقول:

القضية الرابعة والمصدر الرابع هو دلائل العقول. وينبغي أن نعلم أيها الأخوة أن كثيراً من الناس ربما يفهم أن مذهب السلف - رحمهم الله تعالى - إنما هو الرجوع إلى الكتاب والسنة عن طريق الخبر فقط وأن العقول لا مدخل لها في هذا الباب، وهذا فهم خاطئ تماماً فإن السلف - رحمهم الله تعالى - يعتمدون على الكتاب والسنة في فهم ما يدل عليه الكتاب والسنة ولكن لا يعني ذلك أن العقل لا مدخل له في هذا الباب، وإنما يقولون في تأصيلهم لقضية العقل والنقل إذا تعارض العقل والنقل ظاهراً - لأنهما في الحقيقة لا يمكن أن

يتعارض - فالواجب تقديم النقل على العقل لأنه أسلم وأصوب، والعقل الذي يدعي أولئك المتكلمون والفلاسفة وغيرهم أنه مصدر مستقل في باب العقائد وفي باب الإيمان والدين لم يُجمَع المقصود به وتعريفه ما هو؟ هل العقل هو الغريزة التي تميز الإنسان عن الحيوان؟ أم هو العلوم الضرورية التي يُصدق بها الجميع؟، كالقول في أن الواحد نصف الإثنين، وأن الكل أكبر من الجزء، أم العقل هو العلوم النظرية التي تحصل بالنظر والاستدلال ونحوها؟ ما هو العقل عند هؤلاء؟ لقد اختلفوا اختلافاً كبيراً في تحديد العقل واختلافهم هذا أدى إلى تباين آرائهم وأقوالهم في هذا، ومن ثم كان السلف - رحمهم الله تعالى - يجعلون للعقل دوره المناسب له فلا يرفعونه فوق منزلته ويجعلوه مستقلاً كما فعل أولئك المنحرفون كما أنهم لم يُلغوه إلغاءً تاماً، وإنما يضعونه في منزلته الصحيحة له .

يقول ابن قتيبة - رحمه الله تعالى - في كتابه (تأويل مختلف الحديث) مبيناً تناقض أولئك: (وقد كان يجب على ما يدعونه من معرفة القياس وإعداد آلات النظر ألا يختلفوا كما لا يختلف الحساس والمساح والمهندسون، لأن آلاتهم لا تدلّ لا على عدد واحد وإلا على شكل واحد، فما بالهم [أي أهل الكلام والفلاسفة] أكثر الناس اختلافاً لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد من الدين). وهذا يعطيك أن القول باستقلال العقل في باب الدين هو قول يؤدي إلى الضلال والانحراف، والسلف - رحمهم الله تعالى - يعتمدون على النقل ويقولون إنه جاء بالدلائل العقلية .

والله سبحانه وتعالى ضرب لنا الأمثال وأمرنا بالاعتبار بالأمم من قبلنا لأن أولئك الأمم قد جرى لهم ما جرى لما خالفوا أمر الله وأمر رسولهم ﷺ، ونحن أيضاً إذا فعلنا مثل فعلهم وخالفنا أمر الله وأمر رسوله ﷺ فسيجري علينا مثل ما جرى لهم .

كذلك أيضاً بيّن الله سبحانه وتعالى أدلة البعث بعد الموت بأدلة عقلية وأمثلة مضرّوبة توضّح للإنسان تمام التوضيح أن الله سبحانه وتعالى قادر على البعث وأنه يبعث من في القبور وأن الناس لا بد أن تكون لهم رجعة يقفون فيها بين يدي ربهم تبارك وتعالى، ومثله أدلة الربوبية والألوهية وصحة النبوة وغيرها.

#### خامساً: الفطرة:

المصدر الأخير هو الفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها، فكل العباد مفلّحون على الإيمان الصحيح كما قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». ومعنى الفطرة هنا هي فطرة الإسلام فلو تُرك الصغير وفطرته لكان من المؤمنين المسلمين، أما إذا وجد من يؤثر فيه فالنبي ﷺ أخبر أن أبويه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما هو معروف، وهذه قضية مهمة جداً لأن الله سبحانه وتعالى فطر عباده على فهم الأمور بأبسط الدلائل، والأعرابي استدل على وجود الله سبحانه وتعالى بدلائل الفطرة لأن الفطرة تدل على أن هذا الكون لا بد له من خالق فقال: (البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فأرض ذات فجاج وسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على الحكيم الخبير)، الفطرة تدل على أن الإنسان يطلب ربه سبحانه وتعالى في العلو فما احتاج الإنسان إلى ربه في أمر من أموره إلا ورفع بصره إلى السماء، وتلك الفطرة هي التي فطر الله سبحانه وتعالى عباده عليها، بل إن الفطرة تدل على توحيد الألوهية، لأن الإنسان إذا آمن بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق، وهو الرازق وحده، وهو الذي يحيي ويميت، وإليه يرجع الأمر كله ويبيده الأمر كله سبحانه وتعالى، إذا اعتقد ذلك فلا بد أن ينتهي به الأمر أن هذا الإله الخالق الرازق المحيي المميت هو الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له فلا تخضع القلوب إلا له محبة وإنابة وذلاً

وخوفاً وخشيّةً وتوكلاً وغير ذلك من أنواع العبادة، ولا تهفوا القلوب بهذه العبادات إلا لله وحده لا شريك له، فكيف يعبد أو يخاف أو يحب محبة عبادة، أو يتوكل على مخلوق لا يملك هو لنفسه نفعاً ولا ضرراً.

فالفطرة تدل على ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهي والعقول السليمة مؤيدة لما جاء به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يمكن أن يأتي في الكتاب ولا في السنة شيء مخالف أو مناقض لتلك العقول الصريحة ولا تلك الفطرة السليمة.



## المبحث الثالث منهج السلف في الاستدلال

بعد هذا العرض السريع لمصادر تلقي العقيدة ننتقل إلى قضية عقديّة أخرى مرتبطة بها ألا وهي منهج أهل السنة والجماعة في العقيدة والاستدلال الشرعي على الأحكام الشرعية حيث يجب أن يكون مبنياً على منهج واضح. ولا يقول قائل تلك فروع، نقول وإن كانت تلك فروعاً إلا أن الاستدلال عليها يجب أن يكون المسلك فيه على وفق منهج السلف الصالح - رحمهم الله تعالى -، والاستدلال الشرعي في باب الأحكام ليس فرعياً وإنما هو أصولي، فحينما تأتي قضايا تتعلق بعباداتنا أو تتعلق بأمور معاملاتنا أو تتعلق بحياتنا، فكيف نستنبط حكمها الذي أوجهه الله سبحانه وتعالى علينا؟ لا بد من منهج شرعي مؤصل واضح ولا يجوز لأحد أن يُغيّره، وهذه هي مسألة وجوب التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ، فالتحاكم إلى الشريعة الإسلامية ليس أمراً فرعياً وإنما هو أمر أصولي، ومن ثم فحينما نقول منهج السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - في العقائد فإن هذا لا يعني فقط ذلك الجانب المعروف وهو ما يتعلق بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته والإيمان برسوله ﷺ وما جاء به، وإنما يعني أيضاً أن يكون حكمهم ورجوعهم عند التنازع والاختلاف إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ وهذا الذي ذكره سبحانه وتعالى في آيات عديدة يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup> وفي الآية الثانية: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وفي الآية الثالثة: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) سورة المائدة: ٤٥.

الْفَلْسِثُونَ ﴿١﴾ ويقول تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ﴿٢﴾.

ومن المؤسف حقاً أن تظهر في البلاد الإسلامية دعوات صريحة وأحياناً مبطنّة تدعو إلى رفض التحاكم إلى شريعة الله تعالى، ففي بعض البلاد الإسلامية تطرح القضية على شكل هل تكون الشريعة هي المصدر الأساسي؟ أو تكون مصدراً من المصادر؟ وفي بعض البلاد قد لا يجرؤ هؤلاء العلمانيون وغيرهم على مثل هذا الطرح الصريح فيبحثون عن طروح أخرى مبطنّة، ولهم في ذلك وسائل عديدة، وقد سبق أن ذكرنا وسيلة منها وهي تلك التي يزعم فيها هؤلاء أنه ينبغي الرجوع إلى الكتاب والسنة فقط دون الرجوع إلى منهج وفهم السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - وهذا معناه عود جديد على وضع جديد وتفسير جديد وربما يؤدي إلى دين جديد.

ومن ذلك أيضاً ما يدعيه هؤلاء من أن استنباط الأحكام الشرعية ليس مختصاً بالعلماء المجتهدين وإنما هو أمر متروك لجميع الناس أو لكل من أراد أن يفكر ويستنبط من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، فيدخل في ذلك العلماء المجتهدون ويدخل في ذلك الجهلة وأهل الأهواء ويدخل في ذلك من ليس له علم لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، وهذا مدخل خطير جداً لأن معنى ذلك أن الحكم الشرعي وتطبيقه والإفتاء به لا يكون مختصاً كما كان في التاريخ الإسلامي وفي الأمة الإسلامية بفئة العلماء المجتهدين، وإنما ينتقل من هؤلاء إلى غيرهم ويتحول الأمر حينذاك إلى فوضى لا نهاية لها.

(١) سورة المائدة: ٤٧.

(٢) سورة النساء: ٦٥.

وهناك أيضاً طريقة أخرى لبعض هؤلاء تشبه طريقة الذين يتتبعون الرخص فإن هؤلاء يقولون كل مسألة للعلماء فيها أكثر من قول فإنه يجوز أن نأخذ بأي قول من أقوالهم، فإذا طرحت قضية من القضايا قال لك هذه القضية قال فيها فلان كذا، وقال فيها فلان كذا، وأي رأي تأخذ به من هذه الآراء فهو قول صحيح، لأنه قد قال به بعض العلماء. ومعنى هذا أن يتتبع الإنسان شواذ المسائل وشواذ أقوال العلماء والأقوال المرجوحة المخالفة للدليل الصحيح، وتتحول هذه القضايا وهذه المسائل إلى أصول وهذا منهج خطير جداً، لأن الواجب على الإنسان أن يعتمد على القول المبني على الدليل وإذا وجد عنده قولان أو عَرَضَ له قولان فإنه لا بد أن يسأل عن الدليل ويبحث عنه ومن ثم فالواجب أن يأخذ بالقول الراجح المبني على الدليل الصحيح. وإذا كان الإنسان عامياً لا يعرف فإنه يقلد من العلماء من كان أعلم وأعرف عنده بالكتاب والسنة، أما دعوى أن يترك الأمر لكل من أراد أن يفتي وأن يقول بكل مسألة توجد في الكتب لتكون معتمدة ومطبقة فإن هذا منهج خاطئ.

والمنهج الصحيح هو البحث عن الدليل والترجيح بين الأقوال على ضوء الأصول التي ضبطها علماء السلف -رحمهم الله تعالى-، والمهم أن هؤلاء العلمانيين وأذئابهم يريدون أن يحطموا شريعة الله سبحانه وتعالى من الداخل ويريدون أن ينتهي الأمر إلى طرح القضايا أمام الناس طرْحاً يسمونه أحياناً طرْحاً ديمقراطياً فنقول ما رأيكم في القضية الفلانية؟ صوتوا! ثم نجمع فئات الناس مختلفي المشارب غالبهم قليل العلم أو جاهل ويصوتوا فإن صوت واحد وخمسون في المائة على الرأي الآخر أخذنا به ولو كان مخالفاً للدليل ولو كان مخالفاً للشرع، بينما الأصل الصحيح في هذا الباب هو أن ترد الأمور عند التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بردها إلى العلماء المجتهدين العاملين فلا ترد إلى آراء الرعا ع و ع امة الناس .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - معقّباً على قول الله تعالى : ﴿فَإِن نَّتَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾<sup>(١)</sup> يقول: وفي هذه الآيات أنواع من العبر الدالة على ضلال من تحاكم إلى غير الكتاب والسنة وعلى نفاقه وإن زعم أنه يريد التوفيق). وشيخ الإسلام هنا يريد إلى قول الله تعالى عن المنافقين: ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوَفِّيَقًا﴾<sup>(٢)</sup> وهذا الذي يقول أصحاب السياسات الجائرة التي تخالف الكتاب والسنة، إذا جثتهم قالوا السياسة والأمر لا تصلح إلا بهذا ولو كانت مخالفة لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ. وشيخ الإسلام يقول: (وإن زعم أنه يريد التوفيق بين الأدلة الشرعية وبين ما يسميه هو عقليات من الأمور المأخوذة من بعض الطواغيت من المشركين وأهل الكتاب). ومن ثم فإن علماء الإسلام - رحمهم الله تعالى - يبتنوا أن من يتصدى للقضاء ومن يتصدى للإفتاء لا بد أن يتصف بعدة صفات عديدة معروفة أهمها: الاجتهاد، وذلك بأن يكون من أهل الاجتهاد وهذا يشمل عدة أمور:

أولها: العلم بالكتاب والسنة وما يتعلق بهما من أحكام، وتمييز ناسخ الآيات ومنسوخها، وناسخ الحديث ومنسوخه وتمييز صحيحه من ضعيفه إلى آخره.

الأمر الثاني: العلم بلسان العرب.

والأمر الثالث: العلم بأصول الفقه التي هي أصول الاستدلال حتى يكون المفتي بانياً فتواه على أصل مقرر وليس على دعاوى ولا على آراء عقلية مجردة.

وذكروا أيضاً صفات لمن يتصدى للإفتاء وللقضاء منها العدالة ومنها أن تكون لديه نية صالحة يريد فيها يُبين أحكام الله للناس. كذلك أيضاً أن يكون

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) سورة النساء: ٦٢.

متضلعاً في العلم الشرعي ومسائله، متقناً له، وأيضاً أن يكون له معرفة بأحوال الناس وعاداتهم ومقاصدهم حتى تكون فتواه على بينة ومعرفة أمرهم. ثم أن يكون حليماً متأنياً غير متسرع في إصدار الأحكام وهذه قضايا مهمة جداً. ويبقى أن يُعلم أن الافتاء أنواع:

النوع الأول: افتاء مجرد عن الاجتهاد، وهذا ما يكون من باب الأخبار الخالصة كأن يسأل العالم سؤالاً فيجيب بما يعلم من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ، فيسأله السائل ويقول له ما أعظم آية في كتاب الله، فيأتي هذا العالم ويقول آية الكرسي. لأن النبي ﷺ أقر من أجاب بذلك.

النوع الثاني: هو ما يكون معه اجتهاد بأن يجتهد العالم لاستنباط الحكم الشرعي، وهذا له حالتان:

إحدهما: ما يسمى في علم أصول الفقه بتحقيق المناط، بمعنى أن تكون الأحكام الشرعية معلومة بالكتاب أو السنة أو الاجماع، ثم يأتي هذا المفتي فينزل تلك الأحكام على هذه الواقعة، وفي هذه الحالة يجب على المفتي أن يعلم هذه الحالة فيُنزل عليها هذا الحكم وهذا في الأمور التي قد وضحت دلالاتها من الكتاب والسنة وتكون مهمة المجتهد المفتي هنا هو فهم الواقعة فهماً صحيحاً ثم تنزيل ذلك الحكم عليها.

الحالة الثانية أن يكون الحكم الشرعي الذي يريده المجتهد لهذه الواقعة غير معلوم له فيحتاج إلى أن يبحث في الأدلة ويجتهد فيها ليستخرج الحكم ثم بعد ذلك يطبق ذلك الحكم على تلك الواقعة.

وقد اشترط العلماء للمفتي شرطين أساسيين:

أحدهما: معرفة الأحكام الشرعية وهذه هي قضية الاجتهاد التي أشرنا إليها.

الثاني: فهم الواقع ومعرفة صورته الواقعة التي حدثت معرفة تامة حتى يكون إفتاؤه وحكمه فيها حكماً مبنياً على تصور واضح.

فلا بد أولاً من تصور الحكم الشرعي، ولا بد ثانياً من فهم الواقعة.

ثم يأتي الأمر الثالث وهو تنزيل ذلك الحكم على تلك الواقعة.

فأين هذا من منهج أولئك الذين يريدون أن يحرفوا الناس عن عقيدتهم وعن شريعتهم بتلك الوسائل، ويريدون أن لا ترد الأمور إلى أهلها وإنما ترد إلى العامة والرعايا من غير المجتهدين ومن غير العلماء، هذا منهج خطير يجب أن ننتبه له، والعلمانيون وغيرهم بدأوا يسلكون هذا المسلك ليجعلوا قضية فهم الكتاب والسنة عقيدة وشريعة متاحة للجميع لكي يقولوا فيها ما يشاءون ويفتوا بما يريدون وحينئذ تتحول الأحوال والأمور إلى فوضى والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(١)</sup>.

هذه خلاصة منهج السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - في مصادر التلقي أولاً وفي بيان ما يرتبط بذلك من قضايا الأحكام الشرعية ومنهج الاستدلال لها ثانياً.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبصرنا بديننا، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجنبنا الخطأ والزلل، وأن يغفر لنا خطايانا، وأن يوفقنا جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الرسالة الثالثة

عبادة القلب



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

وبعد: من المعلوم أن القلب سيد الجوارح، وملك الأعضاء. وعبادة القلب لله سبحانه وتعالى أهم أنواع العبادات، لا ينكر ذلك أحد، وعبادة القلب لله بالتوحيد والإخلاص والإخبات والذل والانقياد وغير ذلك هي القضية الكبرى التي قامت عليها السماوات والأرض. ولهذه الأهمية نجد أن نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٤).

وقبل الدخول في مباحث هذه الرسالة، أبدأ بقضية علمية بحثة أجعلها مدخلاً لبحث بقية الأمور المتعلقة بهذا الموضوع. فحينما نقول: عبادة القلب، فلنقاتل أن يقول: فأين دور العقل والدماغ في حياة الإنسان؟ وكثيراً ما يجري

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ - ٧١.

(٤) رواه البخاري (٥٢)، (٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩).

البحث والمناقشة حول مكان العقل من جسم الإنسان، وهل هو الدماغ الذي في الرأس أو القلب الذي في الصدر؟ ويجري كلام ونقاش طويل حول هذا. وقد انقسم أهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين في هذه القضية على قولين:

القول الأول: يقول إن محل العقل الذي يوجه الجسم ويقوده هو الدماغ فقط. وأما القلب فما هو إلا آلة لضخ الدم في جسم الإنسان. ولذا فالإنسان يعتبر ميتاً بموت الدماغ حتى ولو كان القلب ينبض بمساعدة الآلات ونحوها. ويقول بهذه المقالة المعتزلة وبعض من تبعهم من الفقهاء. وبه يقول الفلاسفة وغالب الأطباء.

القول الثاني: - وبه قال كثير من العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة، وهو قول كثير من المفسرين ووافقهم بعض الأطباء - أن محل العقل هو القلب. وقالوا: إن هذا هو الوارد في الكتاب والسنة.

فمن القرآن: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٧)<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾<sup>(٢)</sup>. حيث جعل السماع للأذان والعقل للقلوب فقال: لهم قلوب يعقلون بها. ويقول تبارك وتعالى عن القرآن: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤)<sup>(٣)</sup>.

ويقول تعالى في آية مهمة في هذا البحث الذي نبهته: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٤)</sup> حيث زاد المسألة تحديداً، فنسب العمى إلى القلوب، وأوضح أن القلوب في الصدور.

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) سورة الشعراء: ١٩٣، ١٩٤.

(٤) سورة الحج: ٤٦.

ومن السنة: حديث رسول الله ﷺ المتفق عليه: «إن الحلال بين وإن الحرام بين...» وفي آخره يقول عليه الصلاة والسلام: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.  
وهنا سماها مضغة. والمضغة قطعة اللحم. وفيه إشارة واضحة إلى القلب الذي في الصدر.

وحديث رسول الله الذي رواه الإمام أحمد: «القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض»<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك حديث شق صدره ﷺ وهي قصة صحيحة حيث شُق صدره ﷺ واستخرج قلبه وغُسل ونظف ثم أعيد<sup>(٣)</sup>. ولم يرد أنه ﷺ شق رأسه أو دماغه أو نحو ذلك.

وكذلك حديث دعاء النبي ﷺ، فإنه كان يقول كما في الحديث الصحيح: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (٥٢)، (٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩)، وأحمد (٢٦٧/٤، ٢٦٩، ٢٧٠)، كلهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) رواه أحمد (١٧٧/٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٣) ثبت ذلك وأنه وقع شق صدره مرتين عليه الصلاة والسلام.

فالمرة الأولى: وهو صغير يرعى الغنم أيام كان مسترضعاً في بني سعد رواه ابن إسحاق في السيرة (١/١٦٦)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٢٥٦) وقال: إسناده جيد.

والمرة الثانية: بعد النبوة وقبل الإسراء والمعراج قال ابن كثير في البداية (٢/٢٥٧) ليتأهب للوفود إلى الملأ الأعلى ولمناجاة الرب عز وجل والمثول بين يديه تبارك وتعالى.

وقد روى حديثه: مسلم (٧٤)، وأحمد (٣/١٢١، ١٤٩، ٢٨٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) حديث صحيح: رواه الترمذي (٢١٤١)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

\* ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٥٢٥) و(٤/٤/٣٢١)، من حديث النّوّاس بن سمعان رضي الله عنه.

وكذلك كان يدعو عليه الصلاة والسلام، كما في الحديث الذي رواه الحاكم وصححه، وكان يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر، أن النبي ﷺ قال: «إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب صقل منها»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الذي رواه مسلم، وفيه يقول الرسول ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً...» إلخ الحديث<sup>(٣)</sup>.

وقبل أن أعلق على هذين القولين اللذين أصاب كل منهما في جانب، أحب أن أبين ما يلي:

أولاً: إن الإنسان كائن متميز عن غيره من المخلوقات، ولذا خلق الله أبانا آدم - عليه السلام - بيده ونفخ فيه من روحه. ومن الخطأ أن نقيس هذا الإنسان جملة بغيره من المخلوقات.

ثانياً: أن الروح التي في الإنسان تتعدى ما يفهمه البعض من أنها الفارق بين الحي والميت. بحيث تفهم أنها النفس أو نبض القلب فقط. وإنما الروح أمر نوراني علوي عجيب نعلم وجوده ولكن نجهله كثيراً. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّلُونَاكَ عَنِ الرُّوحِ قُلُوبَ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

وتعلق هذه الروح بالبدن له أحوال عديدة معروفة، في اليقظة والنوم، وفي الحياة وبعد الممات. ولذا جاء الخبر الصحيح عن النبي ﷺ: «أن أرواح

(١) رواه الترمذي (٣٥١٧)، من حديث أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها.

\* ورواه الترمذي (٣٥٨١)، من حديث شهاب بن المجنون الجرمي رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح: رواه ابن ماجه (٤٢٤٤)، وأحمد (٢٩٧/٢)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح: رواه مسلم (١٤٤)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٤) سورة الإسراء: ٨٥.

المؤمنين في الجنة في قناديل معلقة، وأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة تمرح حيث تشاء»<sup>(١)</sup>.

وقد قال تبارك وتعالى عن الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَكَسَبَتْهُنَّ بِأَلْسِنَتِنَا لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان الأمر كذلك، فما موقف هذه الروح من الجسد؟ وما علاقتها بالقلب أو بالدماغ أو بغيرهما؟ الجواب: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: هذا الإنسان له أحوال عديدة بالنسبة لداخل نفسه ولعلاقاته بغيره. تمر به حالات الحزن والخوف والفرح والمحبة والتفكير والإرادة وغيرها من الحالات، ويحسّ بها في نفسه وجسده. وأقوى ما يتعامل معها في جسده هو قلبه. أليس هذا معروفاً ومشاهداً منا جميعاً؟!

فالحب عند المحبين يطير له القلب والفؤاد، والخوف كذلك محله القلب. والله يقول عن الكافرين: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾<sup>(٥)</sup>. فكم من خائف تقطع قلبه في وسط صدره من شدة الخوف والرعب. والأم - وما أدراك ما الأم - لها قلب رقيق رحيم. انظر إليها تستقبل ابنها الذي غاب عنها مدة طويلة، كيف يكون شعورها وما الذي تحسه في قلبها؟ إنها أسرار في حياة

(١) حديث صحيح: رواه مسلم (١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١١)، وأحمد (٢٦٦/١)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الشهداء. ولبعضه شاهد من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه رواه أحمد (٣٨٦/٦).

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩، ١٧٠.

(٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٤) سورة الأنفال: ١٢.

الإنسان، إنها القلوب التي خلقها علّام الغيوب.

رابعاً: إنك تجد قوة الرجال وشهامتهم لا ترتبط بالذكاء العقلي فقط، فكم من ذكي يضرب به المثل بذكائه، تجده ضعيف الفؤاد من أجبن الناس. وعكسه، فكم من شجاع قوي القلب ثابت الجأش وهو متوسط العقل والذكاء. وأخيراً، هناك رجال قرأنا تاريخهم ورجال معاصرون، نعتبرهم ويعتبرهم غيرنا من عقلاء الرجال، ومع ذلك فعقولهم ما دلتهم على أبسط الأمور وأسهلها، ألا وهي تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى التي خلّقوا من أجلها، وهذا أمر واضح!!!.

تسمع بإنسان أو تراه فتقول ما أعقله! وما أذكاه في عمله ووظيفته وإداراته! وما أعقله وأذكاه في ماله وتجارته! ما أعقله وأذكاه في معرفة التاريخ والأمم! وما أعقله وما أذكاه في معرفته بالناس! بقبائلهم وعشائهم وأحوالهم وأمراضهم... وغير ذلك. ثم تفتش عنه فتجده ممن لا يسجد لله سجدة. ولا يخضع لربه لأن قلبه ميت. عقل ذكي، لكن لم يقُدْ صاحبه إلى أمر يعرفه المسلمون كلهم الكبير منهم والصغير، والرجل والمرأة، والذكي وضعيف الذكاء، والعالم والجاهل، الكل يعلمون أن هذا الإنسان لا تستقيم حياته إلا بعبادة الواحد القهار.

المسألة إذن أن العقل له تعلق بالقلب والدماغ جميعاً. فمبدأ الفكر والنظر الدماغ، ومبدأ الإرادة القلب. والعقل يُراد به العلم ويُراد به العمل. والعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة. وأصل الإرادة في القلب. ولكن المرید لا يكون مریداً إلا بعد تصور المراد في الدماغ. وخلاصة الأمر أن سيد الأعضاء التي تتعلق به الإرادة والهداية هو القلب، كما في الحديث السابق: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد

الجسد كله؛ ألا وهي القلب»<sup>(١)</sup>.

فالقلب أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية وبفساده تفسد. وعلى ذلك، فإن من الناس من يحصل له الفكر والنظر الذي محله الدماغ، ولكنه فاقد لعقل الهداية الذي محله القلب. والنتيجة المهمة التي نستنتجها من هذا أن العقل وحده لا يكون مصدر هداية وسعادة إلا إذا استضاء بنور الوحي والشرع. وهذه حقيقة لا شك فيها قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالحياة الحقيقية لا تكون إلا بنور القلوب وهدايتها. ونور القلوب لا يكون بالعقول وحدها، وإنما يكون بالوحي واتباع ما جاءت به رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - وعلى هذا يكون تقويمنا المتميز لتاريخ البشرية الطويل فننظر من خلال هذا الميزان متى سعدت البشرية ومتى شقيت؟ وأنها سعدت حين اتبعت الأنبياء، سعدت هذه الأمة حين استجابت لخاتم الرسل محمد ﷺ، واتبعت في أحكامه وشرعه، وعبدت ربها على مقتضى منهاجه، وأي شقاء حلّ أو يحل بأي أمة أو بهذه الأمة، لا يكون إلا حينما تتخلى عن تلك الهداية.

إن الحقيقة الكبرى التي نريد أن نصل إليها هنا، هي أن مجرد العقل وحده لا يكفي لحصول السعادة، وأعظم السعادة إنما تكون بعبادة الله وحده لا شريك

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (٥٢)، (٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩)، وأحمد (٤/٢٦٧، ٢٦٩،

٢٧٠)، كلهم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) سورة طه: ١٢٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٢.

له عبادة مبنية على معرفته الصحيحة في ربوبيته وألهيته وأسمائه وصفاته كما جاء بها رسله .

وسأضرب لكم أمثلة تبين حيرة وشقاء أصحاب العقول الذين لم يستضئوا بنور الوحي الإلهي الذي جاءت به الرسل من عند الله تبارك وتعالى :

هذا أحد الفلاسفة طيب يوناني متفلسف مشهور اسمه (سقراط) وهو أستاذ أفلاطون الذي كان أستاذاً لـ(أرسطو). يقول (سقراط) في رحلته الفلسفية بعيداً عن الله وعن منهاج الأنبياء . والفلاسفة - عادة من أبعد الناس عن منهاج الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يقول سقراط بعد شوط طويل في عالم الفلسفة والمناقشات - : (لا أعرف سوى شيء واحد، هو أنني لا أعرف شيئاً سبحانه الله! لم يصل حتى ولا إلى معرفة وجود الله؟! واستقلاله سبحانه بالخلق وأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء. وقد كانت نهاية هذا الفيلسوف الانتحار!!! حيث شرب السم وهو في السجن!.

وهذا (أرسطو) تلميذ (سقراط)، صاحب المنطق اليوناني، وأستاذ كل الفلاسفة الذين جاءوا من بعده، يقال إنه انتحر بشرب السم بسبب تحول الأمور ضده!. نعم، إنه القلق!!! ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١).

وهذا (هاربرت سبنسر) الفيلسوف الذي توفي عام ١٩٠٣م لام نفسه في آخر أيامه على سخافة سعيه للشهرة وتفويت سعادة الحياة، وقد خيّل إليه ضياع جهوده وعبت إنتاجه، وهكذا يتأسف ويتحسّر على رحلة قضاها في لا شيء!!! وهذا (نيتشه) الفيلسوف المشهور، انتهت أموره إلى الجنون!!! نسأل الله السلامة.

أما من يُسمون بفلاسفة الإسلام ومتكلميهم، فقد ذكروا أنواعاً من الحيرة والشك لا قوها في طريق الفلسفة والجدل حتى إن بعضهم يقول وهو في أخريات أيامه: (أشد الناس حيرة أهل الكلام). وبعضهم لما دنت وفاته قال: (يا ليتني أموت على عقيدة أمي)؛ لأن أمه عجوز تؤمن بالله الواحد القهار وتعبد الله في راحة وطمأنينة قلب، أما هو فقد خاض في علم الكلام وجدله وفلسفته، سنين طويلة فلم يجد فيه إلا الحيرة والشك فلما جاءه الحق ولقاء الرب ندم على حاله وتمنى أن لو كان جاهلاً بعلم الكلام والفلسفة كأمه العامية، وفي رواية عنه أنه كان يقول: (يا ليتني أموت على عقيدة عجائز نيسابور). عجائز نيسابور مسلمات أعجيبات عابدات لله على الفطرة التي لم تلوثها مهاترات أهل الكلام ومصطلحاتهم وشكوكهم.

هذه هي النتيجة لكل من أعرض عن ذكر الله سبحانه وتعالى.

ثم ننتقل إلى قضية، مرتبطة تماماً بهذه القضية، ألا وهي الفرق بين عبادة العقول وعبادة القلوب.



## الفرق بين عبادة العقول وعبادة القلوب

كثير من الناس يظن أن الإقرار بالربوبية هو الوحيد والإيمان. والحقيقة أن الإقرار بربوبية الله سبحانه وتعالى، وأنه الخالق الرازق المحيي المميت، وأنه لا خالق غيره سبحانه وتعالى، أصل من أصول التوحيد. لكنه لا يكفي؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية إنما هو إقرار عقلي معرفي، يقر فيه الإنسان بأن هذا الكون له خالق، ولذا قال العلماء - رحمهم الله تعالى - : إن توحيد الربوبية لا يكفي، بل لابد من توحيد الألوهية. وهذه هي القضية الكبرى التي ركز عليها أئمة الإسلام كما ركز عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - كثيراً في رسائله وكتبه ودعوته وشرحها ووضحها، وهي قضية كبرى في هذا الباب الذي معنا.

والفرق أن عبادة العقل هو توحيد الربوبية، وأن يكون هذا الكون له خالق، ومن المعلوم أن الإنسان مقرّ بذلك إقراراً فطرياً، بل لو أتيت إلى الملاحظة الذين يزعمون أنهم ينكرون وجود الله وفتشت في أحوالهم لوجدتهم في داخل نفوسهم يعلمون أن هذا الكون له خالق.

ولكن هذا لا يكفي لتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى. توحيد الربوبية كان المشركون يقرون به كما قال الله تبارك وتعالى عنهم: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧) (١) إذن، هم يقرون أن الخالق، الرازق، النافع، الضار هو الله وحده لا شريك له، ولكنهم أنكروا عبادة القلب الذي هو توحيد الألوهية، وتوحيد العبادة لله وحده لا شريك له، فعبادة القلوب هو توحيد الله بفعل العبد، وهو يشمل توحيد الله بأعمال قلبه وأعمال جوارحه. بينما توحيد الربوبية، هو توحيد الله بأفعاله هو سبحانه وتعالى، خلقاً وتقديراً ورزقاً... وغير ذلك.

فتوحيد الألوهية هي توحيد الله بفعلك أنت أيها العبد، فإلى من تتجه؟ ومن تخاف؟ وعلى من تتوكل؟ ومن تعبد؟ ولمن تصلي وتسجد؟ ولمن تسعى وتركع وتسجد؟ لمن تتوجه في أمورك كلها؟ إذا تحققت فيك عبودية الله وحده لا شريك له وتحقق فيك توحيد الألوهية تكون بذلك قد حققت عبادة القلب.

ومن هنا كان من شروط «لا إله إلا الله»: ما له تعلق بعبادة القلب. فإذا علمنا أن شروطها هي: العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والانقياد، والقبول.

فعلم، واليقين متعلق بالمعرفة، لكن بقية الشروط متعلقة بالقلب والعمل. فالإخلاص والصدق والمحبة والانقياد والقبول، كلها تتعلق بعبودية القلب، وتحقيق هذه الشروط هو تحقيق لعبودية القلب، وكثير من الناس إذا عرض لقضية علمية فيها بيان لعظمة الله سبحانه وتعالى ودقة صنعه في خلق الإنسان أو الحيوان أو النبات أو الكون أو غير ذلك، وأتى لها بأدلة من كتاب الله تعالى أو من سنة رسول الله ﷺ وسمعها أحد الكفار فقال: سبحان الله! إن هذا يدل على وجود الله، إن هذا يدل على أن لهذا الكون خالقاً.

كثير من المسلمين إذا سمع هذا الكلام من هذا الكافر يظن أن هذا الكافر آمن وأنه سينجو من العذاب بهذا الإقرار، وهذا غاية في الخطأ؛ لأن هذا الكافر بهذا الإقرار لا يكون مؤمناً، وإقراره لا يكفي لدخوله في دين الإسلام ولا في ما يترتب عليه من دخوله الجنة. نعم، إقراره بربوبية الرب واعترافه بها، هي خطوة نحو الإيمان، لكن هذه الخطوة جزء من كل، ومفتاح هذا الكل «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» ولا بد أن يخضع قلبه لله الواحد القهار خوفاً ورجاءً وتوكلاً ومحبةً وذلاً له سبحانه وتعالى. والإقرار بالبروبية لله سبحانه لا يحمل وحده هذه المعاني.

ولذلك يجب التمييز والتفريق بين عبادة القلوب وعبادة العقول. عبادة

العقول قد توصل إلى معرفة صحيحة، ولكنها لا تكفي! أما عبادة القلوب فهي الأساس في هذا الباب؛ باب توحيد الله سبحانه وتعالى وهي تجمع بين المعرفة الصحيحة التي لا بدّ منها، والعمل الصحيح للقلوب والجوارح.

إن أصل العبادة يقوم على محبة الله تبارك وتعالى، وإفراده تعالى بها، فلا يحب أحداً سواه، وكل ما يحبه مما أمر به إنما هو لأجله تعالى، وفيه تعالى، مثل محبة أنبياء الله ورسله، وملائكته، وأوليائه وغيرهم مما أمر الله سبحانه وتعالى به، فتلك محبة مكملة لمحبهته تعالى، وليست محبة معه، وتحقق المحبة في كبرى علاماتها باتباع أمره تبارك وتعالى. واجتناب نهيه، فعبادة القلوب أساسها حب الله تبارك وتعالى، وأكبر دلائل حب الله تبارك وتعالى طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بامتثال أمره، واجتناب نهيه. ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) (١).

ومن هنا تنبثق مسألة الطاعة وعلاقتها بتوحيد الألوهية والعبادة. فعبادة القلب لا يقصد بها عمل القلب وحركته المجردة عن أعمال الجوارح المبنية على طاعة الله تبارك وتعالى، وطاعة رسول الله ﷺ.

إن عبودية القلب لله تبارك وتعالى يطلع عليها ويعرف حقيقتها من عرف عدداً من الأمور:

أولاً: من عرف صفات الرب تعالى، فأثبتها لله كما يليق بجلاله وعظمته ولم يعطلها أو يشبهها ولا شك أن المنحرف في هذا الباب إما بالتعطيل أو بالتشبيه، لا تستقيم له عبودية الله على الوجه الصحيح.

ثانياً: من عرف معنى الألوهية، وحقيقتها، ومعنى كونه تعالى إلهاً حقاً. فمثلاً من لم يعرف أن توحيد الألوهية هو مجرد الحياة والأكل والشرب.

(١) سورة آل عمران: ٣١.

وبعضهم قال الخلق وُجد بلا غاية ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (١).

وبعضهم جعل الغاية مجرد الرخاء والأمن الإنساني. وهذا غاية في الخطأ والضلال، إذ لو أكل الإنسان ما يشاء وشرب ما يشاء وتمتع بما يشاء وهو آمن، ولكنه كافر لا يعبد الله، فهو لم يحصل على الأمن الحقيقي؛ لأنه إذا لم يعبد ربه ويحقق الغاية التي من أجلها خلقه الله، وإذا لم يسير في نظام حياته على منهاج ربه فقد يحصل له أمن صوري دنيوي - كما يقع اليوم في بعض صوره عند الغرب الكافر - لكنه فاقد للأمن الحقيقي في الدنيا بطمأنينة القلوب بعبادتها لربها، وفي الآخرة بالأمن من عذاب الله السرمدي، والفوز برضوانه وجنات تجري من تحتها الأنهار مع الخلود والأمن فيها. ثم اعلّموا أن العبودية على أربع مراتب.

## مراتب العبودية

المرتبة الأولى: عبودية مشتركة بين الخلق مؤمنهم وكافرهم، ألا وهي عبودية الحاجة والفقر إلى الله جل وعلا. فأهل السموات والأرض جميعاً فقراء إليه. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١).

ولذا فإن جميع أهل السموات والأرض يسألون الله. حتى الكفار والملاحدة إذا اشتدت بهم الحاجات أو وقع عليهم الضر، لجأوا إلى الله، قال تعالى عن المشركين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْآلِينَ﴾ (٢).

وأي ملحد مهما كانت طريقتة في الإلحاد ومهما بلغ الغاية فيه إذا مسّه الضر مساً قوياً رفع بصره إلى السماء ونادى: يا الله!، فهذه عبودية شاملة للخلق.

المرتبة الثانية: ذل الطاعة والعبودية، وهو ذل اختياري يقوم به العبد، وبه يميز بين المؤمنين والكفار. والفرق بين هذه المرتبة والتي قبلها أن الناس في المرتبة الأولى كلهم خاضعون له، فهم وُجدوا ويحيون ويموتون ويصيبهم المرض بإرادة الله سبحانه وتعالى، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً. أما هذه المرتبة فهي التي لها علاقة بالقلب، وهي ذل الطاعة والعبودية لله وحده لا شريك له في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، ومردها إلى اختيار العبد. وهذا يميز المؤمنين من الكفار.

المرتبة الثالثة: مرتبة ذل المحبة. فإن المحبّ ذليل لمن يحبه وعلى قدر محبة القلب لله يكون ذله له، فالمحبة أسست على الذل للمحجوب. والإنسان السوي يأبى أن يذل نفسه لأحد، وتأبى نفسه أن يخضع لمخلوق مثله. لكنه يعلم أن ذله لربه تبارك وتعالى هو موطن الشرف، وأن موطن العزة والكرامة له أن يكون

(١) سورة فاطر: ١٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٥.

عبداً ذليلاً لله سبحانه وتعالى . فإذا ما تعلق القلب بالله حباً له وذلاً فقد بلغ مرتبة عظمى ، يتخلى فيها الإنسان عن التعلق بالخلق ويعلق قلبه ونفسه برب الخلق تبارك وتعالى .

المرتبة الرابعة: ذلّ المعصية والجنائية . ولما كان كل بني آدم خطاء كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> . فهذا الإنسان لا انفكاك له عن ذلّ العبودية لله تبارك وتعالى .

والإنسان قد يستغني عن الناس لأن الله قد أغناه من فضله ، ويستطيع أن يقطع علاقته وصلاته بمعظم الخلق ، لكن ليس هذا حاله بالنسبة لربه تبارك وتعالى ؛ لأنه محتاج إليه في جميع أحوال حياته ، وعلى رأسها إذا وقع في المعصية والمخالفة لربه تعالى فلمن يتوجه؟

هل يتوجه لمخلوق وهو يعلم أنه لو فعل ما أفاده شيئاً؟ لا لن يتوجه إلا لله رب العالمين مستكيناً عابداً منكسراً بين يديه تبارك وتعالى ينادي: يا رب يا رب! أسألك مغفرة ذنبي وأسألك أن تتوب عليّ .

هذا ذلّ وعبودية للقلب لا تكون لمخلوق؛ لأن المخلوق لا يملك لنفسه - فضلاً عن غيره - شيئاً من الأمر، إذ لا يملك أحد من الخلق موتاً، أو حياة، أو رزقاً، أو نشوراً؟ وكذا لا يملك أحد من الخلق مغفرةً للذنوب، أو قبولاً للتوبة ومحو للسيئات، بل الذي يملك هذا كله هو الله . فلماذا يتعلق القلب بغير الله؟ ولماذا لا يستقيم القلب طاعة، ومحبة، وذلاً لله الواحد القهار فيستريح البدن ويستريح الإنسان؟

الأسس التي تقوم عليها عبودية القلب: إن عبودية القلب لله تعالى تقوم على خمسة أسس نذكرها باختصار فيما يلي:

(١) رواه الترمذي (٢٠٥١)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأبو يعلى (٢٩٢٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).

\* أول هذه الأسس: العبودية مع الاستعانة. قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup>. وذلك لأن الإنسان عندما يعبد الله ويخضع قلبه له وتخضع له جوارحه، فهو محتاج إلى من يعينه على ذلك. والمعنى: أستعين بك يا رب في كل أموري، وعلى رأسها العبادة، فالقيام للوضوء، والطهارة، والصلاة، والصيام، والحج.. كل ذلك يحتاج فيه إلى معونة الله تعالى.

وأعظم معونة أتت من الله تعالى أن هدى قلبك فخضع لله الواحد القهار. فصرت تقوم إلى الصلاة مراقباً لله وحده ولا تراقب أحداً من الخلق، وكذا في بقية أمور العبادة، وهو مقتضى هذه الآية العظيمة الجامعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٢)</sup>.

\* الثاني من أسس عبودية القلب: عبادة الله مع التوكل عليه. ففي الآية الأولى التي ذكرنا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(٣)</sup> عبادة تحتاج إلى معونة من الله. وهنا عبادة مع توكل. قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾<sup>(٣)</sup>. والقلب والعبد إذا توكل على الله سبحانه وتعالى وحده انقطع قلبه عن التعلق بالأسباب كلها وإذا انقطع العبد عن التعلق بغير الله من الأسباب والبشر وانصرف بكليته إلى ربه إلى التوكل عليه وحده، فهنا يكون تحقيق العبد العبودية لله سبحانه وتعالى خالصة، هذا نبي الله إبراهيم - عليه السلام - لما دعا قومه إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى عبادته وحده ومزايلة كل ما عُبد من دونه، كفروا بالله وعصوه ثم أوقدوا له ناراً عظيمة، وأرادوا أن يقذفوه بها، فلما وضع على ما يشبه المنجنيق، وهي آلة يقذف بها من بعيد قال إبراهيم عبارة عظيمة ينبغي أن يقولها كل من أحاطت به الأخطار وأحدقت. وكل من أصابه خوف من أي

(١) سورة الفاتحة: ٥.

(٣) سورة هود: ١٢٣.

مصدر، قال إبراهيم - عليه السلام - ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(١)</sup>. وبهذا التوكل والتسليم المطلق لله وحده جاء الفرج من الله وجاء الأمر من السماء من خالق إبراهيم، ومن خالق قوم إبراهيم، ومن خالق النار: ﴿قُلْنَا يَنْتَازُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>(٢)</sup>. ونجاه الله سبحانه وتعالى من النار، وجاء قوم إبراهيم يبحثون عنه وسط الركام ظناً منهم أنهم سيجدونّه محترقاً بعد خمود النار، فإذا بهم يجدونه جالساً سالماً من الأذى خاضعاً لربه الذي توكل عليه فكفاه وحماه ونجاه.

ولما وقعت معركة أحد وجرى على المسلمين فيها ما جرى، لقي رسول الله ﷺ وهو سائر في غزوة حمراء الأسد بعد معركة أحد المشركين وأخبره أن قريشاً تعد له العدة ويجمعون له الجموع ليحاربوه ويقضوا عليه وعلى المسلمين معه فقال رسول الله ﷺ: «حسبنا الله ونعم الوكيل»<sup>(٣)</sup> فنجاه الله وفرّ المشركين راجعين إلى مكة، وانقلب رسول الله ﷺ والمؤمنون معه بنعمة من الله لم يمسسهم سوء قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدِ جَبَعُوا لَكُمْ فَأَخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿١٧٦﴾ فَنَاقَلُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِذْ فَضَّلُوا لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٧﴾<sup>(٥)</sup>. فهذا هو أثر التوكل على الله.

\* ثالثاً: إخلاص الحب لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿...مَتَّوَقَّ يَأْتِي اللَّهَ بِقُوَّةٍ يُجَاهِدُ مَعَ اللَّهِ وَيُحْيِيهِمْ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾<sup>(٥)</sup>. فهذه الرابطة - الحب - رابطة عظيمة بين القلب وبين

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) سورة الأنبياء: ٦٩.

(٣) حديث صحيح: رواه البخاري (٤٥٦٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) سورة آل عمران: ١٧٣، ١٧٤، وانظر تفسيرها في: ابن كثير.

(٥) سورة المائدة: ٥٤.

ربه تبارك وتعالى . يحبهم ويحبونه . وتكون هذه العلاقة حينما يخضع القلب ويستكين ويرضى ، محبة له وحده سبحانه وتعالى ، فلا تتعلق النفس بمال ولا بجاه ولا بدنيا ولا غيرها ولا تشغل بشيء من ذلك إلا بمقدار البُلغة والحاجة ، أما حب العبادة فإنما يكون لله تبارك وتعالى خالصاً .

\* رابعاً : إفراده تبارك وتعالى بالخوف . قال تعالى : ﴿...فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) . وهذه العبادة - عبادة الخوف من الله - قد فرط فيها كثير من الناس ، فتجد بعضهم يخاف من المستقبل وبعضهم يخاف من الخلق ، وبعضهم يخاف من الجن أن يتسلط عليه . وبعضهم يخاف من السحرة أن ينالوه بأذى . وبعضهم صار يخاف من غير الله من المخلوقين ذوي السلطان والسطوة وغير ذلك . والله يقول : ﴿...فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ، والمقصود الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه خوف العبادة الذي لا يجوز صرفه لغير الله تعالى .

\* خامساً : ومن أسس عبادة القلب : إخلاصه لله . قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٣) . أن تخلص أعمالك كلها لله . فإذا كنت جالساً تذكر الله وتقول : «لا إله إلا الله ، سبحانه الله ، الحمد لله» تخلص في ذلك لله ، وكذلك عندما تصلي أو تتصدق أو تصل رحمك إلى غير ذلك من أمور العبادة ، فلا بد من إخلاص القلب لله في جميع العبادات ؛ لأن العمل الصالح لا يقبل إلا إذا توفر فيه الإخلاص لله تعالى والاتباع لرسول الله ﷺ .

\* سادساً : وأخيراً عبادة الله وتقواه تقتضي طاعته ، وطاعة رسوله ﷺ . وهذه من أهم أسس العبادة ، فطاعة الله تبارك وتعالى علامة عبادة القلب . وإنما تظهر الاستعانة والتوكل والحب والخوف والإخلاص لله سبحانه وتعالى

(١)(٢) سورة آل عمران : ١٧٥ .

(٣) سورة البينة : ٥ .

بآثارها على جوارحك وعبادتك وطاعتك لله سبحانه وتعالى فتأكل الحلال وتدع الحرام، تتمثل الأوامر وتجتنب النواهي، تراقب الله في جميع أحوالك وأعمالك، وعلى هذا النسق تأتي أمور العبادات الأخرى. من الذبح، والنذر، والاستعانة.. وغير ذلك. وكلها أمور مترابطة، ولذا وجب صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وعدم صرف أي منها لغيره تعالى وإلا وقع العبد في الشرك.

\* الأمور التي تعين على تحقيق عبادة القلب لله سبحانه وتعالى؟

\* أولاً: معرفة الله تعالى بأن وحده المتفرد بالخلق والتدبير، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الخلق جميعاً مقهورون تحت قبضته، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. وعلى ذلك، فإن اليقين بأن النفع والضرر، والعطاء والمنع، والهدى والضلالة، والسعادة والشقاوة... كل ذلك بيد الله وحده سبحانه، لا بيد غيره، يدفع الإنسان إلى عبادة الله وحده والإخلاص له. وإلى قطع العلائق بالخلق لأنهم عاجزون مقهورون. وهذا باب عظيم ومدخل كريم لمن تأمله.

إذ كيف يتعلق القلب بغير الله تعالى وهو ضعيف مثله؟ قال تعالى موبخاً عبّاد الأصنام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ دَعَّوْا مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>. تعبدون المسيح، أو العزيز، أو الجن، أو الصالحين، أو غيرهم وهم عبيد مربوبون لله أمثالكم؟، فهؤلاء عباد أمثالكم لا يستحقون شيئاً من العبادة، وإما المستحق للعبادة خالق هؤلاء جميعهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم، وهو الله تعالى وحده لا شريك له.

\* ثانياً: ومما يعين على عبادة القلوب: معرفة الأسماء والصفات لله سبحانه وتعالى. وهذا من أجل المعارف، وأهمها، وأعظمها أثراً، ومقتضاه معرفة تعلق الوجود كله خلقاً وأمراً بالأسماء الحسنی والصفات العلی لله سبحانه

وتعالى، وإثبات صفات الكمال لله تبارك وتعالى من غير تأويل ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تكييف، ومعرفة معانيها ومدلولاتها وآثارها ولوازمها... وكل ذلك له أثره العظيم على القلب وعبادته. وهذا باب واسع جداً ينبغي لكل مسلم أن لا يغفل عنه.

ومعرفة هذا الباب والوقوف على دقائقه وأسراره، تفتح على قلب المؤمن أنواعاً من المعارف واللطائف لا تفتح بغير معرفة هذا الباب.

فمثلاً: معرفة أن الله هو الغني الحميد، المجيد، الحكيم، الحي القيوم، الملك، ومعرفة أن الله هو الغفار، التواب، العفو، الحلیم، الرحيم، ومعرفة أن الله هو العزيز، الجبار، المتكبر، شديد العقاب، وغيرها من أسماء الله وصفاته الثابتة، ثم تأمل هذه الأسماء وفهمها وإحصاءها والعمل بمقتضاها، له الأثر الكبير في يقظة القلب وسيره إلى ربه، وعبوديته لمولاه بأنواع من العبودية على تقلب الأحوال بالإنسان قوة وضعفاً، وغنى وفقراً، وطاعة ومعصية، وشباباً وشيخوخة، فهو في كل حال يجد في أسماء الله وصفاته وعبودية القلب بها ما يحوّل به الحال إلى طاعة وقربى إلى سيده ومولاه جل وعلا.

\* ثالثاً: زيادة الإيمان وهذا له أثره في حياة القلوب، كما أن نقصانه بالمعاصي، له أثر ذلك في موت القلوب. وهذا باب عظيم غفل عنه كثير من الناس حيث إن بعض الناس لا يفتش عن إيمانه؛ هل زاد أو نقص ولا يعرف ما هي الأمور التي تزيده، وما هي الأمور التي تنقصه؟

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الأمور التي تزيد الإيمان وتصلقه، فمن ذلك سماع آيات الله سبحانه وتعالى وتدبرها. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ هَلْ مِنَّا قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾<sup>(١)</sup>، ومنها الهداية والاستقامة، والتصديق بما أخبر الله به.

والأمور التي تزيد الإيمان كثيرة جداً، والواجب على العبد أن يعرف الأمور التي تزيد الإيمان فيعمل بها، ويجتنب الأمور التي تنقص الإيمان، وهي إجمالاً المعاصي والسيئات. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : «إن للحسنة نوراً في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق». وهذا باب قد غفل عنه الكثيرون، فصاروا لا يفكرون في حالهم ولا حال إيمانهم. وواجب العبد أن يستيقظ فينظر في الطاعات والمعاصي؛ لأن أثرها على عبادة القلوب كبير.

\* رابعاً: شعور العبد بعجزه وضعفه. وأنه لا قوة له ولا قدرة ولا حول إلا بالله تبارك وتعالى. فكم من إنسان ظنّ أنه عظيم وأن له قدرات بدنية، أو عقلية، أو مالية، أو سلطانية، فابتلاه الله سبحانه وتعالى بمرض أو بفقر أو بغير ذلك فعرف قدر نفسه. وهذه سنة مشهودة.

كما أن الإنسان معرض طول حياته لعدد من الأعداء المسلطين عليه ليلاً ونهاراً، من شياطين الإنس، وشياطين الجن، ومن النفس الأمارة بالسوء فأني للإنسان النجاة من هؤلاء إلا بالله والخضوع له واللجوء إليه وطلب الحماية والنصرة منه وحده سبحانه.

ثم بعد ذلك، من عرف نفسه بالضعف عرف ربه بالقوة والقدرة. ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه بالعلم. ومن عرف نفسه بالذل عرف ربه بالعز. لأن الله له الكمال المطلق. وهذا يؤدي إلى ذل العبد وانكساره وخضوعه بين يدي الله سبحانه وتعالى، بحيث يحصل لقلبه انكسار وعبودية فيصبح حال هذا الإنسان مع ربه أشد حاجة وفقراً من حال الطفل الصغير مع أمه فالطفل الصغير - كما هو معلوم - لا يشعر باستقرار ولا بهدوء ولا بسكينة ولا غذاء إلا مع أمه وكم من والد أراد أن يجلس مع طفله الصغير أياماً يحنو عليه ليعوضه عن أمه فلم

يفلح في ذلك وسرعان ما ضاق كل واحد منهما بالآخر ذرعاً وملاً. فحاجة الطفل إلى أمه حالة عجيبة، وحالتك أنت أيها العبد إلى الله أشدّ من حاجة هذا الطفل لأمه. وحاجة القلب في فقره إلى ربه أكثر وأعظم وأشدّ وحاجة القلب في فقره إلى ربه أكثر وأعظم وأشدّ من هذا كله.

\* خامساً: التقوى، فإنها عماد عبادة القلب. وقد كان النبي ﷺ يقول: كما في الحديث الصحيح: «التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ﷺ ثلاث مرات»<sup>(١)</sup>.

والتقوى هي العمل بطاعة الله، واجتناب محارمه، ومقتضاها أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل الطاعة، واجتناب المعصية. والتقوى باب عظيم للعلم النافع وعبادة القلب. قال تعالى: ﴿...وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ...﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن أعظم أبواب التقوى: ترك الشبهات واتقاؤها، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهنّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه. إلا وإن لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(٣)</sup>.

فأعظم ما يقوي عبادة القلب ويحققها، ترك الشبهات، شبهات الآراء والاعتقادات، وشبهات المطعم والمشرب والملبس والمركب وغيرها. فإذا عرض لك في أمر ما شبهة حرام أو شرّ، فدعه لقول رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلا ما لا يريبك»<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (٢٥٦٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٣) حديث صحيح: رواه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه.

(٤) حديث صحيح: رواه أحمد (٢٠٠/١)، والترمذي (٢٥٢٠)، والنسائي (٣٢٧/٨)، من حديث

الحسن بن علي رضي الله عنه. وانظر: صحيح الجامع للشيخ الألباني رحمه الله (٣٣٧٨).

وأيضاً فتعظيم شعائر الله تعالى من تقوى القلوب. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>. وكثير من الناس يغفل عن تعظيم شعائر الله. فلا يبالي ولا يهتز ولا يتحرك قلبه وإيمانه إذا أقيمت الشعائر، مع أن الاهتمام بها وتعظيمها من تقوى القلوب.

\* سادساً: ومن أسباب عبادة القلب لله سبحانه وتعالى: سلامة القلب من الاعتراض على الله. وهذا يحتاج إلى أن يُفرد برسالة مستقلة؛ لأهميته واتساع مسائله وكثرتها. وخلاصته سلامة القلب من الاعتراض على الله في شرعه وحكمه وقدره.

\* وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - في مدارج السالكين أن الاعتراض على الله ثلاثة أنواع، وهي: سارية في الناس:

النوع الأول من الاعتراض: الاعتراض على أسمائه وصفاته بالشبه الباطلة، وبما يسميه البعض بالأمور العقلية ونحوها.

والواجب على العبد التسليم الكامل للوحي كتاباً وسنةً صحيحةً. وهذا الاعتراض على أسماء الله وصفاته قد وقع فيه الكثير من أهل البدع. فعلى العبد الذي يريد سلامة قلبه في باب العبودية أن يجتنب هذا الاعتراض. وأن يسلك مسلك أهل السنة والجماعة في هذا الباب وفي غيره.

النوع الثاني من الاعتراض: الاعتراض على شرعه وأمره والناس في هذا أكثر من النوع السابق. منهم المعتضون على الشرع بأرائهم وقوانينهم المتضمنة تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، أو تصحيح ما أبطله الله أو إبطال ما صححه الله سبحانه وتعالى. وهذا النوع قد كثر في الخلق في الأزمنة المتأخرة، نسأل الله السلامة والعافية.

ومن الاعتراض على شرع الله وأمره: الاعتراض عليه بالسياسات الجائرة لأرباب الولايات، والتي قدموها بين يدي الله ورسوله، وحكموا بها بين عباده، وعطلوا بها شرعه وعدله وحدوده. وهي سياسات مخالفة لشرع الله ورسوله أتوا بها ليسوسوا بها الناس ظناً منهم أن أحوال الناس لا تصلح إلا بها، فأصبحوا بذلك معترضين على شرع الله وأمره.

النوع الثالث من الاعتراض: الاعتراض على أفعاله وقضائه وقدره وهو اعتراض كثير من الجهال. وهذا في الخلق كثير. نسأل الله العافية. فتجد الواحد منهم يعترض على أمر الله وقدره فإذا وقع عليه قدر الله بمصيبة ونحوها، اعترض على ذلك. والواجب عليه الرضى والتسليم لأمر الله وقضائه وقدره لتكون له العاقبة الحسنى، وأشد ما يكون هذا الاعتراض حين يتوهم التعارض بين الشرع والقدر، فيبطل الشرع كما فعلت الجبرية، أو يبطل القدر كما فعلت القدرية المعتزلة، والواجب الإيمان بالقدر والشرع جميعاً دون أن يجعل بينهما تعارضاً، فيصدق بالقدر ويتبع الشرع. وقد فصل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة التدمرية.

\* سابعاً: وأختم هذه المباني التي تعين على عبادة القلب، بالأمر السابع وهو الشوق إلى لقاء الله سبحانه. والشوق إلى لقاء الله يحصل بالاستقامة على العبودية والمحبة لله تبارك وتعالى. ويحصل بيقظة القلب ومعرفة بأميرين:

أحدهما: هو ان الدنيا وقلتها، ومعرفة قدرها وكونها لا تساوي عند الله جناح بعوضة. فإذا عرف الإنسان قيمة الدنيا، ارتحل عنها وأحب الانتقال إلى ما هو خير منها، وإذا انعكس الأمر كما هو حال الكثير تعلق بها؛ فإن العبد إذا تعلق بالدنيا وعظمت في عينه فإنه لا يحب الرحيل عنها؛ لأن قلبه تعلق بها ومن ثم فلا يشتاق إلى الله ولا إلى لقائه. فإذا عرف العبد حقيقة الدنيا وقدرها أعطاه من وقته واهتمامه وقلبه على قدرها. والإنسان في حياته يمتلك أشياء كثيرة

ويتعامل معها بهذا المقياس، فهناك أمور وأشياء في حياته يعتبرها تافهة ولا تهمة كثيراً فهو لا يبالي بما ضاع منها وما بقي ولا بما سلم منها وما تلف، وذلك كله لعدم أهميتها لديه. وهذا هو الحال بالنسبة للعبد قلدنياً. فإذا عرف العبد قدرها وقلتها وحقارتها واضمحلالها أنزلها المنزلة التي تليق بها، وجعلها في يديه ولم يجعلها في قلبه، فإن هي أقبلت استعمالها في طاعة الله، وإن هي أدبرت فلا يحزن عليها ولا على فراقها.

الأمر الثاني: معرفة ما عند الله من النعيم لعباده المتقين، من السعادة برضوان الله في الجنة، وأعظم أنواع السعادة والنعيم في الجنة، النظر إلى وجه الله الكريم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (من أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية). ولزوم عتبة العبودية إنما يكون بمعرفة قدر الدنيا وخصتها وحقارتها ومعرفة قدر الآخرة وعظمتها وبقائها وحسنها وجمالها وسعادتها، وهذا ميزان واضح لكل المؤمنين دلت عليه دلائل الكتاب والسنة المتواترة.

إن الشوق إلى لقاء الله يكون حينما تعمر الآخرة بالأعمال الصالحة، فإذا ما خربنا أحرانا وعمرنا دنيانا، حل الخوف الشديد من لقاء الله ومن الموت محل الشوق إلى لقاء الله، كما هو حال الكثير منا. نسأل الله الهداية والبصيرة.

فمن أراد عبودية القلب فليخرج الدنيا من قلبه، وليعمر قلبه بالله، وبعبودية الله، وبالْبصيرة بما أعد الله لعباده المؤمنين. نسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه وعلى الاستقامة على طاعته، وأن يعننا على القيام بحق عبوديته، كما نسأله تعالى الشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرّة ولا فتنة مضلة.

تلك لمحات في موضوع عبودية القلب لله، وهو باب من العلم والعمل العظيم، يحتاج إلى مجاهدة النفس لتنتقل معه إلى عمل قلبي بنقل القلب إلى

هجرتين لا صلاح له إلا بهما:

إحداهما: الهجرة إلى الله تعالى بالإخلاص والعبودية في السر والعلانية.

والثانية: الهجرة إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالمتابعة له في جميع الأمور.

أسأل الله تعالى أن يعيننا على ذلك وأن يوقظ قلوبنا لها، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



### الأسئلة

س١: هناك بعض العبادات تُجهل فيها الحكمة فعندما يؤديها الإنسان قد لا يستحضر قلبه هذا المعنى أثناء تأديتها. وإنما يؤديها للأمر التعبدي المحض. فهل الذي يؤديها بهذا الشكل تكون بالنسبة له عبادة؟

الجواب: الأمور التي تعبدنا الله بها أقسام، منها: قسم الأصل فيه العبودية، ولكن قد نفهم منه وجه الحكمة في تشريعه، والقسم الآخر من العبادات نتعبد الله تعالى به تعبدًا محضًا لأننا نجل وجه الحكمة فيه. والله تعبدنا بهذا وبهذا. فمثلاً الصلاة في المسجد عبودية لله سبحانه وتعالى ولكن نلمس فيها جوانب عديدة من الحكم، مثل كثرة الخطأ إليها وما فيها من الأجر، ومثل أننا نتفقد إخواننا، ويعرف بعضنا بعضاً ونتعاون ونتكافل. وهذه كلها فوائد دنيوية وأخروية.

وهناك أنواع العبودية لا دخل للعقل فيها كأعداد الركعات في الصلوات، وكون الطواف سبعة أشواط، ورمي الجمار بسبع حصيات، والمسح على الخف، ونحوها، فهذه مقتضى العبودية فيها ولبه وخلصته أن نخضع ونطيع ونمتثل ولو لم ندرك الحكمة فيها؛ وفي كلتا الحالتين ينبغي للعبد أن يستحضر عظمة الخالق الذي أمر ونهى وشرع وأن لا يجعل معرفة الحكمة شرطاً أو سبباً في قوة الامتثال والإخلاص فيه لله.

س٢: ما هو موقع النفس في الجسم؟ وكيف يمكن محاسبتها؟

الجواب: موقع النفس من الإنسان هو الجسم كله، ولكن لعل القلب له شأن أكبر من غيره، كما أشرنا فإن القلب له علاقة بالدماغ. فالذي يلغي الدماغ مخطئ، والذي يلغي القلب أيضاً مخطئ وكما ذكرنا لكم فإن الراجح أن العلم والعقل يبدأ أولاً من الدماغ، ثم تكون الإرادة والعمل في القلب، والإنسان

يشعر بالحزن والفرح والمحبة والكراهة في قلبه، فيقال يكاد يطير قلبه فرحاً. وعكس ذلك يقول القائل فلان وخز قلبي؛ لأنه أهانني ... وهكذا. وهذه أمور حقيقية يشعر بها كل إنسان، ومنها تنشأ الإيرادات والأعمال للجوارح.

والمحاسبة ضرورية بالنسبة للإنسان «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا». لكن أكثر الناس يشكون من تساهلهم في باب المحاسبة. والمحاسبة تحتاج إلى عزيمة قوية وإرادة وعدم تسويف، وترك التسويف هو لبّ المحاسبة وأساسها لأن التسويف من أكبر معوقاتنا، فتحاسب نفسك على كل عمل تعمله لماذا عملته وكيف عملته؟ ثم تحاسب نفسك حساباً كل حين، والغرض نتيجة المحاسبة، التي تدفعك إلى الإكثار من الحسنات والمسارة إلى الاستغفار والتوبة.

وينبغي أن تعلم حين تحاسب نفسك أن كل أمورك كبيرها وصغيرها، لا يخفى على الله منها شيء، وأن كل ذلك مسطر ومكتوب لا يغيب منه شيء. والمحاسبة لها مبتدأ ومنتهى. فالمبتدأ هو العزيمة القوية. والمنتهى أن تزن الأمور بميزان الآخرة، فتتنظر إلى ما عند الله في الآخرة، ولا تنظر إلى الدنيا وعاجل أمورها. فمثلاً إذا اعتدى عليك أخوك المسلم أو أخطأ في حقك، فإذا نظرت إلى أمور الدنيا وحظوظ النفس ستجد نفسك ترفض هذا، وتقول: كيف أقبل هذه الإهانة. وربما تحاول أن ترد عليه الصاح صاعين. وإذا نظرت إلى ميزان الآخرة سوف تجد أن العفو والصفح عن أخيك يزيد أجرك عند الله تبارك وتعالى. وهكذا بقية أمور الحياة.

وأنصح بقراءة فصل: المحاسبة من كتاب مدارج السالكين لابن القيم -

رحمه الله تعالى -.

س٣: الآن في الطب أصبح أمراً مشهوراً زراعة الأعضاء ونقلها من إنسان إلى إنسان آخر - بما فيها القلب - فلو أن إنساناً مسلماً نُقل له قلب كافر وزرع في جسده، فهل قلب هذا الكفار الذي انتقل إلى جسد المسلم يؤثر سلباً على بقية أعضاء الجسم، أم أن أعضاء الجسم هي التي تؤثر عليه؟

الجواب: الذي أظنه ولا أجزم به أنه لا يؤثر؛ لأن القلب قسمان، قسم مادي محسوس، وقسم معنوي علمه وغيبه عند الله. فالذي ينزع من إنسان ويركب في إنسان آخر هو الجزء المادي المحسوس، فهو شبيه بالدم الذي يأتينا من الغرب أو من أماكن أخرى وينقل من شخص إلى آخر حيث إنه مادة محسوسة لا تؤثر على مجريات حياة المستقبل لهذا الدم.

وعليه فإن زراعة القلب ونقله من جسد إلى آخر لا يؤثر، ولو نقل قلب كافر لمسلم لم يؤثر، ولو نقل قلب مؤمن خاشع لله إلى جسد كافر لم يؤثر، ولم يجره ذلك إلى الإيمان والخشوع والتقوى إلا أن يشاء الله؛ لأن المنقول هو الجانب المادي المحسوس. أما الجانب المعنوي الغيبي فعلمه إلى الله، ولم يتقل من جسد صاحبه.

س٤: هل التدخين يؤثر في عبادة القلب ويسبب مرض القلب؟

الجواب: التدخين يمرض القلب مرضاً عضوياً، ويؤثر على القلب من الجهة الإيمانية من باب أنه محرم وعمله معصية، والمعاصي كلها مما ينقص الإيمان. لكن لا علاقة للدخان إذا دخل بجرمه إلى الرئة بالإيمان القلبي، وتأثيره كغيره من المعاصي، من أكل الحرام وشرب الحرام... وغير ذلك مما يكون تأثيره بالظلمة والنكت الذي يترك أثره في القلب بسبب المخالفة والانتهاك لما حرم الله.

س ٥ : أين مكان الشهوة في جسم الإنسان هل هي في الدماغ؟ أو في القلب؟  
 وإذا انقاد الإنسان وراء شهوته ولم يردعه إيمانه عن هواه هل يعتبر مشركاً؟  
 الجواب: موطن الشهوة كغيرها من الأعمال القلبية الأخرى تبدأ من الدماغ وتنتهي إلى إرادة القلب ثم عمل الجوارح ولذا تجد أن الشيطان يأتي إلى صاحب الشهوة فيزينها له عقلاً، ثم ينتقل الأمر إلى إرادة القلب فيبقى القلب بين الطاعة والمعصية، فإن اتقى الله، وامتنع عن ذلك وخاف ربه تبارك وتعالى، وانتقلت إرادته من المعصية إلى الطاعة أجز على ذلك كما ورد في الحديث الصحيح، «إذا همّ العبد بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة»<sup>(١)</sup>.  
 وأما إذا كانت الأخرى، وكانت إرادته الإيمانية ضعيفة لم تستطيع أن تقف في وجه الإرادة الشهوانية فحينئذ ربما يفارق المعصية.

وإذا انقاد إلى شهوته فلا يعتبر مشركاً إلا إذا جره الهوى أو الشهوة إلى الشرك، أما إن جره إلى معصية دون الشرك فلا يعتبر شركاً.  
 س ٦ : أحياناً يتبني وسوسة في أعمالي، وأظن أنني ما أخلصت النية لله عز وجل، وأحياناً أشعر بالكبر والغرور بالنفس، وخصوصاً إذا أحسست بالإخلاص في العمل، فما الحل؟

الجواب: إذا أحسست بالإخلاص في عملك فالواجب أن يقودك إلى ترك الغرور والكبر؛ لأن هذا الإخلاص إنما هو توفيق من الله وليس من مهارة ولا ذكاء إنما هو من الله، لو شاء الله سبحانه وتعالى لسلبه إياه. وكلما شعر الإنسان بالإخلاص والعبودية فينبغي له أن يزداد تواضعاً لربه لحاجته إلى المزيد من هذا الإخلاص والعبودية.

(١) حديث صحيح: رواه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)، كلاهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أما الوسوسة التي تخاطر بالبال، فهذه ترد على الجميع. ومن أعظم الوسوسة: الرياء حيث يعمل الإنسان الطاعة من أجل الناس لا يطلب بذلك إلا ذكرهم أو ثناءهم أو المنزلة عندهم. وهذا من أبواب الشرك الخفي، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

فالواجب تمحيص القلب وإخلاصه لله وتذكر أن الله هو الخالق الرازق الذي بيده كل شيء، وأن هؤلاء الخلق الذين يصرف لهم قصده شيئاً من عمله لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً والقلب في هذا الباب يحتاج إلى معالجة دائمة لأن وسوسة الشيطان فيه مستمرة. نسأل الله المعونة على وساوسه.

س٧: لديّ بعض القدرات في الدعوة إلى الله، غير أن قلبي رقيق جداً مما يمكن الأولاد من إضعاف عزيمتي عن تفرغ جزء من وقتي لممارسة الدعوة إلى الله فانشغل بتعليمهم، وانشغل بحاجاتهم وحاجات البيت، فهل من طريقة يمكن بها أن أفرغ جزءاً من وقتي للعمل في الدعوة إلى الله والتغلب على العاطفة والرقّة الزائدة التي أجدها في قلبي نحو أولادي وبيتي؟

الجواب: زادك الله رقة وحرصاً على أولادك وعلى تربيتهم. فالعناية بالأولاد وتربيتهم على الإسلام عقيدة وعبادة وسلوكاً وخلقاً أمر عظيم لا سيما في هذا الزمان الذي انتشر فيه الفساد وكثر، حتى تسلل إلى بيوت المسلمين فلم يسلم منه بيت إلا من رحم الله وقليل ما هم. ولقد كثرت وتنوعت أبوابه ومصادره من تلفاز، وأشربة تسجيل، وفيديو، وخادمة، وسائق، ومجلة وإذاعة... ثم زادت المحطات الفضائية والانترنت الأمر سوءاً وخطراً، فأصبح قوياً، لا يمكن مقاومته إلا بكثير من الجهد والمجاهدة، وقد تجد في بعض البيوت أناساً صالحين رجلاً أو امرأة لا تريد هذا الشر ولا الفساد، ولكن

(١) حديث صحيح: رواه أحمد (٤٢٨/٥، ٤٢٩)، من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٥٥٥).

لا يُسمع ولا ينكاد لكلام هؤلاء الصالحين؛ لأن بقية أهل البيت تعلقوا بهذه المفسدات، ويكون نفوذهم أقوى.

فالحرص الذي يجده هذا السائل على أولاده وعلى تربيتهم هو طاعة وعبادة ودعوة فلا ننصحك أن تعدل عنه. وإنما نذكرك بأن تراعي الواجبات الأخرى المتعينة عليك في الأوقات المختلفة وفي الأحوال المختلفة. فأنت في بيتك عليك واجبات متعينة، لا يقوم بها غيرك، وفي العمل قد توجد بعض الواجبات المتعينة عليك مثل أن تنكر منكراً تراه، أو ترشد ضالاً، أو تنصح غيرك من زملاء وأصحاب... إلخ. فالإنسان يراعي الواجبات المتعينة في الأوقات والأحوال والأماكن المختلفة، وإذا تعينت عليك الدعوة العامة إلى الله تعالى وأصبح ذلك لازماً عليك، فلا بدّ من ترتيب وقتك وترتيب أمورك بحيث توفر وقتاً تسقط به ما لزمك من الدعوة إلى الله.

وإذا عزمت وأخلصت في الدعوة إلى الله تعالى، ورتبت وقتك وأمورك على حسب الأولويات والمهمات بتقديم ما يلزم التقديم وتأخير ما يجب تأخيره ونحو ذلك من الترتيب، وسوف تجد - إن شاء الله تعالى - الوقت للدعوة. وكل الدعوة - بل الأنبياء - كان لهم أزواج وذرية وكانوا حرصين عليهم وعلى العناية بهم ودعوتهم إلى الله وتربيتهم على الاستقامة فوجدوا الوقت الكافي لعمل ذلك مع القيام بما وجب عليهم من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في مجتمعاتهم وبلدانهم.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

## الرسالة الرابعة

وقفات مع معاني بعض أسماء الله الحسنى  
اسمه تعالى السميع



## مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن عنوان هذا الدرس أو هذه المحاضرة<sup>(١)</sup> (وقفات مع معاني بعض أسماء الله الحسنى). والحق أن هذا الموضوع موضوع مهم جداً، وعظيم جداً، لأنه يتعلق بالله سبحانه وتعالى.

الله تبارك وتعالى هو خالقنا وهو رازقنا، وهو محيينا، وهو الذي يميتنا، وهو الذي يبعثنا، وهو الذي سنلقاه، كما قال - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ مُلْقَوُهُ﴾<sup>(٢)</sup>. فكل فرد سيلقى ربه سبحانه وتعالى وسيلاقيه ويجازيه ويحاسبه. ثم بعد ذلك هو - سبحانه وتعالى - المنعم على عباده بالجنة والنعيم الذي لا ينفذ، وهو - سبحانه وتعالى - الجبار المنتقم الذي يعذب الكفار بنار جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون، نسأل الله السلامة والعافية. وأحب قبل البدء باستعراض بعض أسماء الله - سبحانه وتعالى - والكلام حولها، أن أقدم بمقدمة مختصرة حول بعض المسائل.

أول هذه المسائل: ينبغي أن نعلم أن هذا الموضوع المتعلق بأسماء الله وصفاته. هو من العلوم العظيمة التي غفل عنها كثير من الناس.

والغافلون عنها قسمان: قسم من الناس: غفل عنها تماماً فصار لا يتذكرها إلا وقت الشدة. إذا جاءت الشدة تذكر أن الله سبحانه وتعالى هو الرحيم، وأن الله سبحانه وتعالى هو الشافي، وأن الله سبحانه وتعالى هو المنتقم لعباده

(١) ألفت في أحد المراكز الصيفية - بالرياض.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٣.

المظلومين . أما خلال حياته العادية فلا يلتفت إلى هذا إلا القليل .

القسم الثاني : أناس حرصوا على معرفة هذا العلم وطلبه ولكنهم اقتصروا على جانب وأغفلوا الجانب الآخر .

اقتصروا على جانب بأن ركزوا على ما يتعلق بالجانب العلمي في هذه المسألة وهو - بلا شك - باب عظيم جداً . لأنه يميز أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته . ما الذي نثبتة منها؟ وما الذي نتوقف عن إثباته؟ وما الذي ننزه الله سبحانه وتعالى عنه؟ وهل هناك مقاييس عقلية كما قال أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أم أن الأمر مرده إلى الدليل؟

وهذه قضية كبرى عظيمة ومهمة جداً ، ولا شك أن شرحها وإيضاحها وبيانها للناس مهم . ولكن الذي ألحظه هو أنه مع هذا التركيز على هذا الجانب إلا أن هناك إحساساً بالغفلة عن جانب آخر . هذا الجانب : هو ما يتعلق بفهم معاني أسماء الله والتعبد لله سبحانه وتعالى بفهمها وعيش المؤمن حياته كلها على ضوء ما يفهمه ويعلمه من أسماء الله وصفاته .

هذا الجانب الذي يغذي القلب ، ويربي النفس ، ومن ثم فنحن نحتاج إليه دائماً وفي كل لحظة أشد من حاجتنا إلى الطعام والشراب ، هذا الجانب هو الذي أحس أن كثيراً منا قد قصّر فيه . ومن ثم فإنني حرصت في هذه المحاضرة على أن أذكر نفسي ، وأذكر إخواني ببعض الوقفات مع بعض أسماء الله الحسنى .

المسألة الثانية : إننا لو وقفنا هذه الليلة مع اسم واحد من أسمائه تعالى فلن نوفيه حقه ، فكيف نقف مع أسماء الله كلها أو مع بعضها مما ورد منها؟ ومن ثم فنحن هنا إنما نقف ببعض الوقفات مع بعض الأسماء ونحن البشر العاجزون ، المقصرون ، الضعفاء لا نستطيع إدراك كل شيء . إنما نفهم قليلاً مما علّمنا ربُّنا سبحانه وتعالى .

نفهم ونعرف قليلاً من معاني هذه الأسماء لله سبحانه وتعالى، ومن ثم نتربى ونربي أنفسنا وأهلنا ومن حولنا عليها.

المسألة الثالثة: أن أهمية هذا العلم: العلم بأسماء الله وصفاته ترجع إلى عدة أمور:

أولها: أنه متعلق بالله سبحانه وتعالى. ومن ثم فإننا نجد في كتاب الله تبارك وتعالى تفصيلاً وذكرًا لأسمائه. اقرأ القرآن من أوله إلى آخره قلما تجد آية من كتاب الله إلا وفيها ذكر لأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته فأين القلوب التي تتلوا كتاب الله فتعتبر؟ بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾<sup>(١)</sup>، ﴿الرَّ ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر الآيات. اقرأ الآيات كلها تجد فيها تفصيلاً وذكرًا لأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته.

ولهذا نجد أن السور المكية التي تركز على العقيدة فيها ذكر لأسماء الله وصفاته، وعظمته، وقهره، وملكه، وجبروته، ونفعه وضره، ورزقه. لماذا؟ لأن الإقرار بهذه الأسماء لله سبحانه وتعالى هو الذي يؤدي بالإنسان إلى الاعتراف لله سبحانه وتعالى بالربوبية ثم بالعبادة والطاعة.

أما السور المدنية التي فيها شرح وتفصيل لبعض الأحكام الشرعية. فتجد أن الله سبحانه وتعالى غالباً ما يضمنها أو يختتمها ببيان أسماء الله وصفاته، قال -

(١) سورة الفاتحة: ١ - ٦.

(٢) سورة البقرة: ١ - ٤.

تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup> وقال : ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَلْعَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَآخِذُوا بِهِ﴾<sup>(٢)</sup>. تعليم وتربية على أسماء الله وصفاته وأنت تتلقى أحكام الله وشرعه. في باب البيوع، في باب الطلاق، في باب الصلاة، في باب الربا، في أي باب من الأبواب تجد أن الله سبحانه وتعالى يربطك به وبأسمائه وصفاته؛ حتى تنفذ شرع الله، وتمثل أمره، وأنت تعلم أنك بهذا تعبد الله سبحانه وتعالى.

وهذه هي التربية الحقة - التربية التي لا تربط الشعوب ولا المجتمعات ولا الأسر برباط القانون المادي أمراً ونهياً. وإنما تربطها بالله سبحانه وتعالى الذي شرع هذه الشرائع، وأمر بهذه الأوامر.

الأمر الثاني: أن أعظم الآيات في كتاب الله وأعظم السور تجدها مشتملة على أسماء الله وصفاته، فأية الكرسي كلها في أسماء الله وصفاته. فقد سأل الرسول ﷺ أبي بن كعب: أي آية في كتاب الله أعظم؟ فقال أبي بن كعب - رضي الله عنه وأرضاه - : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>(٣)</sup>. فقال النبي ﷺ: «ليهنك العلم أبا المنذر» فهذه الآية العظيمة كلها في أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته.

سورة الفاتحة التي هي السبع المثاني، وهي مما أوجب الله قراءتها في كل ركعة من ركعات الصلاة. سورة الفاتحة العظيمة التي افتتحت بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> الرِّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ مشتملة على هذه الأسماء العظيمة، ولهذا يقول الرسول ﷺ عنها: «إن الله لم ينزل في

(١) سورة النساء: ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٤) الفاتحة: ٢ - ٤.

التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم».

ومثلها سورة الإخلاص، التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، فقال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ القرآن في ليلة. ثلث القرآن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهٗ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾. ولهذا نجد أن الصحابي الذي كان كثيراً ما يختم قراءته بقراءة هذه السورة وأخبر النبي ﷺ عنه فسئل: لماذا تقرأها؟ فقال هذا الصحابي: أقرأها لأنها صفة الرحمن وأنا أحبها، فقال الرسول ﷺ: «أعلموه أن الله يحبه».

الأمر الثالث: مما يبين أهمية هذا العلم، أن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>. ومعلوم أن المقصود بالعلماء هم - العلماء بالدين الحق المشتمل على جوانب العقيدة والشريعة - وأعظم ما يميز العلماء الربانيين - علمهم بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته وما يجب له - بحيث يكونون ممن عرفه حق معرفته وعظمه حق تعظيمه، فأدى بهم هذا إلى أن يكونوا من العلماء الأتقياء البررة.

الأمر الرابع: كان السلف - رحمهم الله تعالى - يعلمون أهمية هذا الباب، باب المعرفة بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته والتربية عليه. فقد ورد عن بعض السلف أنه كان يربي أولاده على معرفة اسميه - سبحانه - السميع والبصير. يربي ولده على أن يفهم ويفقه ويعلم أن الله سميع بصير. وإذا تربي الطفل على أن الله يسمع كلامه، وأن الله بصير يراه. صار في قلبه نوع مراقبة، فلا يكذب لأنه يعلم أن الله مطلع عليه، ولا يرتكب المخالفة لأنه يعلم أن الله مطلع عليه. وهكذا تربي النفوس.

(١) سورة الإخلاص: ١ - ٤.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

ومما يدل على أهمية دراسة ومعرفة هذا الباب : المعرفة بأسماء الله وصفاته .  
أن معرفة الله بأسمائه وصفاته تغرس في قلب العبد حب الله . وإذا انغرس في  
قلب العبد حب ربه سبحانه وتعالى فإنه لا يلتفت إلى غيره، كيف ينسى المحب  
ذكر حبيبه واسمه في فؤاده مكتوب . لا ينساه أبدا . إذا عرف الإنسان أسماء الله  
وصفاته وعلمها وفقهها وتفاعل في حياته مع ما دلت عليه من معاني تعلق قلبه  
بالله سبحانه وتعالى .

فإذا علم أنه سبحانه وتعالى الغفور، الرحيم، السميع، البصير، القادر،  
الجبار، العزيز، وأنه على العرش استوى، وأنه القاهر فوق عباده، وهو الحكيم  
الخبير، وغيرها من الأسماء الحسنى والصفات العليا . إذا علمها لم يتعلق قلبه  
بمخلوق مهما كان، وإنما يتعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى رب كل مخلوق .

ولهذا تجد أن المؤمن الصادق الذي وفقه الله سبحانه وتعالى للهداية بعد  
غواية، يحس في قلبه بمعاني أسماء الله ما لم يحسه غيره . لأنه جرب  
الانحراف والغواية .

ووالله لو أنك أيها الإنسان عرفت حق المعرفة فضل هذه النعمة العظيمة التي  
أنعم الله بها عليك، وهي أن الله هداك للإسلام، ولم يجعلك وثنياً، ولا  
يهودياً، ولا نصرانياً، ولا مجوسياً، وإنما جعلك حنيفاً مسلماً، هذه النعمة  
العظيمة التي لا تقدر بثمن أبداً، لو تذكرتها لتعلق قلبك بمن أنعم بها عليك .

الواحد منا إذا أنعم عليه شخص ما بنعمة دنيوية تتعلق : بمال، أو بدراسة،  
أو بزواج، أو بغير ذلك؛ تجده يذكر هذا الذي أنعم عليه دائماً ويشكره، وهذا  
من صفات المؤمنين : «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» كما قال النبي عليه  
الصلاة والسلام . مع أنها نعم صغيرة، ومع أنها نعم زائلة، فكيف لا تشكر من  
أنعم عليك بنعمة الإخراج من الظلمات إلى النور!!

ولهذا كان بلال بن رباح وهو يعذب ويطلبون منه الكفر بالله، لا يجيبهم إلا

بقوله: أحد، أحد، انظروا كيف تعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى.

بالله عليكم وبلال - رضي الله عنه وأرضاه - يتلقى ذلك العذاب الذي تعرفونه في الومضاء، والحجارة التي توضع على صدره، ما الذي كان يسقيه ويغذيه ويرفع من معنوياته؟ إنه التعلق بالله سبحانه وتعالى: أحد، أحد. تعلق القلب بالله فأنساه ذلك العذاب، وأنساه الشدة، والتبكيّت، وأنساه الاستهزاء والسخرية، وهكذا كل قلب تعلق قلبه بربه ينسيه الخلق جميعاً. ولا ينظر إلى الخلق وهم يتهمونه ويسبونهم ويسخرون منه، بل ويؤذونه، ويسجنونه، بل ويقدمونه للقتل، لأنه تعلق قلبه بالواحد القهار، هذا هو الإيمان، وهذا هو الأثر العظيم؟ الأثر الذي تمده المعرفة ببعض أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته.

ولهذا تجد المؤمنين الصادقين هم الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وخافوه، لأنهم يؤمنون بأنه - سبحانه وتعالى - شديد العقاب: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١). ومع خوفهم منه يرجونه ويحبونه. الله أكبر. انظروا، يخافونه ويحبونه، يذلون له ويخضعون له، بل تتقطع قلوبهم خوفاً منه - سبحانه وتعالى - قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (٢).

انظروا إلى صاحب الدنيا الذي تعلق قلبه مثلاً بامرأة. يقول أحد الشعراء عن حبيته:

وإني لتغرّوني لذكراك هزّة

كما انتفض العصفور بللّة القطر

لماذا لأن قلبه أحبها وهي امرأة مخلوقة تفتى وتموت، كما يموت الجميع إلا الله وحده لا شريك له.

قارن هذا بالمؤمنين الصادقين، الذين اشتد خوفهم من معبودهم وسيدهم،

(١) سورة البروج: ١٢.

(٢) سورة الأنفال: ٢.

فصارت قلوبهم تخاف وجلودهم تقشعر عند سماع كلام الله وآياته .

المسألة الرابعة: أحب أن أقف مع مسألتين متعلقتين بموضوعنا:

إحدهما: الحديث الصحيح الذي ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة». والقول الصحيح أن أسماء الله تزيد على التسعة وتسعين لأدلة كثيرة أخرى. ولكن النبي ﷺ يوجهنا إلى فائدة دل عليها هذا العدد فيقول: «من أحصاها دخل الجنة».

ومعنى قوله - ﷺ - : «من أحصاها» اختلف فيه على أقوال، ولعلها إذا جمعت تصير إلى قول واحد يجمعها:

(أ) فقيل: المقصود حفظها عن ظهر قلب.

(ب) وقيل: إن معنى أحصاها أطاقتها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾<sup>(١)</sup> والمقصود معرفة مقداره وضبط ساعاته.

ومعنى الإحصاء على هذا القول، أن الإنسان يراعي أسماء الله الحسنی ويعمل بمقتضاها. فإذا ذكر اسمه الرحمن الرحيم عمل بمقتضاه، وإذا ذكر الجبار عمل بمقتضاه، وهكذا بقية الأسماء.

(ج) وقيل: إن المقصود بإحصائها - فهم معانيها وعقلها.

ولعل هذه الأقوال الثلاثة متضمنة لمعنى الإحصاء. فالمؤمن الذي يريد أن يحقق دلالة هذا الحديث الوارد عن النبي ﷺ هو الذي يحفظها، وأيضاً يحصيها بأن يطبقها ويعمل بمقتضاها، وأيضاً يحصيها بأن يفهم معانيها ويعقلها.

قد يقول قائل: وما هي هذه الأسماء الحسنی حتى نحفظها؟ من حكم الله تبارك وتعالى التي أرادها أنه تعالى أخفى عنا بعض الأشياء - فأخفى ليلة القدر

(١) سورة المزمل: ٢٠.

- لكن جعلها في العشر الأواخر، - وأخفى ساعة الجمعة لكن - جعلها في يوم الجمعة. أقول: إن قول النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً» هو من هذا الباب لأنه لم تصح رواية في تعداد هذه الأسماء، وما ورد من رواية الترمذي وغيرها فهي رواية مدرجة كما قال المحققون من العلماء: كابن حجر وغيره، ولما كانت مدرجة فهي غير مرفوعة إلى النبي ﷺ وهي أيضاً ضعيفة الإسناد لم يصح منها شيء.

ولا شك أن هذه الأسماء موجودة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وإلا لم يكن لقوله: «من أحصاها دخل الجنة» فائدة.

فالمؤمن الذي يحرص على أن يتمثل هذا الحديث بأن يحصيها لتكون له الجنة، هو الذي يحفظها عن طريق القرآن والسنة. وقد ورد عن بعض العلماء أنه قال: إن من حفظ القرآن العظيم فقد أحصاها - يعني من حفظ كتاب الله غيباً من أوله إلى آخره، فقد تم له هذا الإحصاء وهذا بناء على أن هذه الأسماء موجودة في القرآن، وإن كان بعض الأسماء قد وردت في سنة رسول الله ﷺ.

الأمر الثاني: المتعلق بهذه المسألة من مسائل المقدمة: هي أن الله سبحانه وتعالى وصف أسماءه بأنها حسنى في أكثر من آية من كتاب الله تعالى قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾<sup>(٣)</sup>. فوصف الله سبحانه وتعالى أسماءه بأنها حسنى، وحسنى تأنيث أحسن مثل: كبرى تأنيث أكبر وكبير. وإنما كانت أسماء الله حسنى لعدة اعتبارات:

(١) سورة الأعراف: ١٨٠.

(٢) سورة الإسراء: ١١٠.

(٣) سورة الحشر: ٢٤.

أولها : أنها أسماء الله ومن ثم فمجرد كونها أسماء الله فهي حسنى ، لأن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالكمال فإن أسماء الله سبحانه وتعالى لا بد أن تكون حسنى وكاملة .

ثانيها : أنها حسنى لأنها دالة على صفات الله سبحانه وتعالى . ولهذا يشتق من كل اسم من أسماء الله تعالى صفة دون العكس . فإذا ثبتت صفة لله لا نستق له منها اسماً ، لأن الأسماء توقيفية . فلا نثبت لله إلا ما ورد بالدليل الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

وكل اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى هو دال على صفة . فاسمه سبحانه وتعالى ، الرحيم ، دال على صفة الرحمة ، واسمه القدير دال على صفة القدرة ، واسمه القاهر دال على صفة القهر وهكذا بقية الصفات .

ثالثها : أنها حسنى بمعنى - أنها حسنة ليس فيها شر أبداً - وهذا من جلال وكمال الله سبحانه وتعالى ، ولهذا يقول الرسول ﷺ : «والشر ليس إليك» فالله سبحانه وتعالى لا ينسب إليه شر محض أبداً . بمعنى أن الله لم يخلق شراً محضاً لا خير فيه .

فمثلاً المطر سماه الله سبحانه وتعالى في كتابه رحمة . فإذا نزل المطر بشدة فرح الناس واستبشروا ؛ لأنه ينبت لهم الزرع ، ويسقيهم من العطش ؛ ويدر لهم الضرع . ولكن هذا المطر قد يأتي على بيت فلان فيهدمه عليه أو يأتي على فلان في الوادي فيغرقه . فهو بالنسبة لهذا الرجل الذي هدم بيته أو ذلك الرجل الذي غرق شر لكن ليس شراً محضاً ، فلم يصبح المطر شراً محضاً وإنما خيره أعظم مما فيه من الشر . بل حتى ذلك الذي أصيب بالمطر فهلك بسببه ، له فيه خير فقد ورد عن الرسول ﷺ أن الغريق شهيد ، والهدم شهيد .

بعد هذه المقدمة ننتقل إلى القسم الثاني من هذه المحاضرة : فنقف بعض الوقفات القصيرة عند بعض أسماء الله سبحانه وتعالى .

واختياري لهذه الأسماء للوقف عند بعضها ليس مقصوداً فيه ترتيب معين، وإنما سأقف عند بعض هذه الأسماء ووقفات، وكل اسم كما أسلفت من أسماء الله سبحانه وتعالى لو وقفنا معه ساعات وساعات ما أخطنا بجزء منه. لكن نقف عند بعضها للذكرى والعظة، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوقظ قلوبنا وقلوبكم، وأن يعلقها بخالقها ورازقها تبارك وتعالى.

والاسم الذي نقف عنده في هذه المحاضرة اسمه تعالى: (السميع):

في آيات كثيرة من كتاب الله سبحانه وتعالى ورد اسمه تعالى السميع فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup> وقال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(٢)</sup> وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٣)</sup> وقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>(٤)</sup> وغيرها كما وردت آيات في وصفه تعالى بذلك قال تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَّ وَأَرْوَى﴾<sup>(٥)</sup> وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾<sup>(٦)</sup>. فهذا الاسم من أسماء الله سبحانه وتعالى دل على أن الله سبحانه وتعالى يسمع كل شيء، فيسمع ما يقوله الناس ويسمع ما يتكلمون به. ونحن وإن كنا نسمع إلا أن سمعنا قاصر يليق بنا. أما اسمه تعالى «السميع» وصفة السمع المنبثقة من هذا الاسم الثابتة لله على ما يليق بجلاله وعظمته فهذا الاسم لا يستطيع أحد أن يقدر قدره.

وأحب أن أضرب مثلاً صغيراً: الواحد منا إذا تكلم أمامه عشرة أو مائة في وقت واحد فإنه لا يستطيع أن يسمعهم جميعاً، أليس كذلك؟ بل لو تكلم أمامه

(١) سورة غافر: ٢٠.

(٢) سورة الأنفال: ٦١.

(٣) سورة الشورى: ١١.

(٤) سورة النساء: ١٣٤.

(٥) سورة طه: ٤٦.

(٦) سورة المجادلة: ١.

اثنان في وقت واحد ما سمع وربما سمع أحدهما ولم يسمع الآخر، فكيف لو تكلم أمامه مائة أو ألف؟ كيف لو تكلم أمامه مليون شخص كلهم يتكلمون في لحظة؟ مستحيل على الإنسان أن يسمع كلامهم جميعاً في وقت واحد وهذه صفة نقص بالنسبة للإنسان.

أما الله سبحانه وتعالى فيجتمع العباد جميعاً في موقف واحد مثلاً كموقف عرفة يسألون ويتكلمون بلغات مختلفة وبأماكن مختلفة منهم من وقف بعرفات ومنهم من صام هذا اليوم من غير الحجاج في كل مكان. ووقف الجميع يدعون ربهم سبحانه وتعالى في ذلك اليوم العظيم، يدعون بلغات مختلفة وبأنواع من الدعاء مختلفة وبالسنة مختلفة. والله سبحانه وتعالى يسمعهم جميعاً. أما كيف؟ فلا نستطيع أن نعرف نحن المخلوقين كيف، ولكن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى سميع، وأن سمعه صفة كمال له تعالى، تليق به ولا تقاس بصفة المخلوقين.

ووقفنا مع هذا الاسم العظيم «السمع» سنقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: أحداث من السيرة، تستنبط من خلالها العبرة والعظة فمن ذلك:

(أ) وقعت مشكلة لأسرة من أسر الصحابة. وذلك أن امرأة ظاهر منها زوجها، فجاءت إلى الرسول ﷺ، تشكو إليه وتقول له؛ يا رسول الله إن زوجي [وهو أوس بن الصامت] قد ظاهر مني - وكان الظهار في الجاهلية يحرم التحريم المؤبد - وذلك حين أغضبته أو غضب عليها فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، فوقع عليها وقع الصاعقة لأن لها منه أطفالاً، فماذا تصنع؟ ذهبت إلى الرسول ﷺ لعلها تجد عنده الحل فدخلت عليه في بيت عائشة، وقالت له: يا رسول الله إن زوجي قد ظاهر مني وإن لي منه صبية - إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا. والرسول يقول لها: ما أراك إلا قد حرمت. فتعيد وتقول: يا رسول الله ماذا أصنع؟ ماذا أصنع بأطفالي؟ هذا الرجل بعد أن نثرت له بطني، وجاء لي منه صبية وأولاد ظاهر مني، ماذا أصنع؟ وماذا أصنع بهؤلاء الأطفال. وأنا المرأة

المسكينة الفقيرة، هل أرميهم إليه فيضيعون، أم أبقئهم عندي فيجوعون؟ والرسول ﷺ يقول لها: ما أراك إلا قد حرمت. وكانت عائشة - رضي الله عنها وأرضاها - في أقصى الغرفة ما بينها وبينه إلا ستار تسمع بعض الكلام ولا تسمع البعض الآخر. تقول عائشة - رضي الله عنها وأرضاها -:

الحمد لله الذي وسع سمعه السموات والأرض لقد سمع الله كلامها من فوق سبع سماوات ووالله ما سمعت كلامها وما بيني وبينها إلا الحجاب. لأن الله سبحانه وتعالى أنزل على قلب محمد ﷺ في شأن هذه المرأة المسكينة وهو تشريع لغيرها آيات تتلى إلى يوم القيامة: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكُرِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) فقد سمع الله قول هذه المرأة المسكينة وأنزل الوحي لحل مشكلتها، وتحل المشكلة. إذا أيقن المؤمن بأن الله يسمع. يربى في نفسه فعلاً التعلق بالله سبحانه وتعالى.

(ب) في صحيح البخاري: سألت عائشة رسول الله ﷺ بعد نصر الله لرسوله وهجرته إلى المدينة وانتصاره على المشركين، تسأله عما جرى له، فيقول لها الرسول ﷺ: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلاله فلم يجبني إلى ما أردت».

وهنا درس لكل مؤمن ولكل داعية: إذا دعوت إلى الله - سبحانه وتعالى - فلم يستجب لك أحد تذكر رسل الله وخاتمهم ﷺ ولا ينبغي أن يصيبك اليأس، فتقول: إنني دعوت فلم يجبني أحد أو دعوت فلاناً وتعبت معه فما استجاب. أو دعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فأذاني الناس أو أذاني أعداء الدعوة، لأن هذا ابتلاء لقيه رسل الله ولقيه أكرمهم وأفضلهم وسيدهم حبيينا محمد ﷺ.

الرسول ﷺ لما لم يُستجب له، ماذا فعل؟ يقول: «فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب» [وهو قرن المنازل الذي هو السيل] ..

انظروا إلى الرسول ﷺ كيف انطلق وهو مهموم، من شدة الهم ما كان يدري أين يذهب، ما استفاق إلا وهو بهذا الوادي. يقول: رفعت رأسي وهنا وقفة وعظة، كيف يتنزل نصر الله سبحانه وتعالى على رسوله وتثبيتته له؟ كيف يتنزل نصر الله وتثبيتته لعباده المؤمنين؟ في هذا اليوم الشديد القائظ يقول: رفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك.

أيها المؤمن الصادق إذا واجهت وأنت تدعو إلى الله، الاستهزاء أو السخرية أو غير ذلك فاعلم يقينا أن الله يسمع ما تقول ويسمع ما يقولون، يسمع ما تقول وأنت تقول الحق تدعو إلى الله ويسمع ما يقولون وهم يستهزئون ويسخرون منك. يقول جبريل: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم.

انتبهوا معي هنا رسول الله ﷺ مؤيد من عند الله وكل عباد الله المخلصين الصادقين مؤيدون. واستعرضوا تاريخ الإسلام من الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام العاملين إلى عصرنا الحاضر. الذين أمضوا أوقاتهم وأسهروا ليلاتهم وأتعبوا أنفسهم دعاة إلى الله سبحانه وتعالى ينطقون بالحق ويقولون به. وقد واجهوا أشد المواجهة من جانب أعدائهم والله - سبحانه وتعالى - سميع عليم بكل حادثة وكل واقعة وكل كلمة حفظها الناس أو لم يحفظوها ذكرت في الكتب أو لم تذكر، فالله سبحانه وتعالى سميع؛ فهو سبحانه وتعالى يحصيها. إذا كيف ييأس ويحزن الداعية؟

يقول الرسول ﷺ: فناداني ملك الجبال ثم قال يا محمد: إن شئت أطبق عليهم الأخشبين، والأخشبان هم - الجبلان المحيطان بمكة - جبل أبي قبيس والجبل الذي أمامه ولكن الرسول ﷺ وهو الرحيم، هذا الرسول ﷺ من رحمته قال: «لا بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً» وهكذا كان.

(ج) في يوم من الأيام في عهد الرسول ﷺ، وقد منيت قريش بهزيمة عظيمة في معركة بدر. وقريش تجر أذيال الهزيمة وتفكر في الانتقام. كان مما تفتق عنه عقول بعضهم أن حَبَّكَ اثنان منهم مؤامرة سرية لقتل الرسول ﷺ، ولأنها سرية جداً فلما لم يطلع عليها أحد لأن العدد إذا كان كبيراً ربما فضح التخطيط. وفي المثل إذا جاوز السر الاثنين شاع.

ومن ثم اتفق اثنان منهم فقط. وجلسا في وقت تخلو فيه الكعبة، جلسا عند جدار الكعبة في الليل يحيكان المؤامرة ويخططان لها، والهدف منها قتل الرسول ﷺ وهذان الاثنان أحدهما عمير بن وهب الجمحي، والثاني صفوان بن أمية، وكلاهما من صناديد المشركين - عمير بن وهب هذا كان من صناديد المشركين وشياطينهم، كما قال أهل السيرة، ثم أسلم رضي الله عنه وأرضاه. لكن كان يسمى أثناء معركة بدر بذلك وهو ممن شارك فيها وتعلمون قصة المؤامرة. اتفق الاثنان على أن يذهب عمير إلى المدينة ليقتل الرسول ﷺ و صفوان يتكفل بسداد ديونه وبرعاية أولاده وأهله، بحيث يجعلهم مع أولاده يأكلون كما يأكلون ويشربون كما يشربون. فضمن له سداد الديون ورعاية الأهل حتى لا يحزن على أولاده وعائلته فيما لو جرى له مكروه. وذهب عمير لينفذ المؤامرة ودخل المدينة، والرسول ﷺ في المسجد. فلقبه عمر وكان عمير هذا - كما سبق - شخصاً من شياطين المشركين في الجاهلية وكان مخيفاً جداً.

فلما رأى عمر - رضي الله عنه وأرضاه -، أقبل عليه وأمسك به وقبض عليه بشدة. وقال له: ما الذي جاء بك؟ فأتى به إلى الرسول ﷺ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: يا عمر أرسله - أي أطلقه - فأطلقه.

وسأله الرسول عدة أسئلة: ما الذي جاء بك؟ قال: جئت لهذا الأسير، لأن ابنه وهب بن عمير كان أسيراً في يوم بدر.

قال: وهذا السيف الذي معك؟ قال: قاتلها الله ما أغتنتنا يوم بدر. على

مستوى علم البشر، ما أحد يدري لماذا جاء، لا أحد يعلم حتى رسول الله ﷺ قبل أن يعلمه الله.

ولكن من الذي سمع تخطيط المتآمرين؟ إنه الله سبحانه وتعالى، الرسول في المدينة والمؤامرة في مكة. لا مجال للسمع فيها إلا لمن حضر معهما. ولكن النبي ﷺ أعلمه الله بما جرى.

فقال لعمير: بل جئت لكذا وكذا، وحكى له القصة كاملة وما جرى بينهما تحت جدار الكعبة. من الذي سمع؟ إنه الله سبحانه وتعالى. الذي أعلم نبيه محمداً ﷺ وكان ذلك سبباً في إسلامه، وبقيّة القصة معروفة.

تعالوا معي اليوم لأولئك الذين يخططون لحرب الإسلام، أولئك الذين يعقدون المؤامرات السرية لحرب الصحوة. أولئك الذين يجلسون ليحيكوا المؤامرات على الدعاة، يلققون عليهم الاتهامات الكاذبة.

ونقول لهم: اجلسوا وتآمروا فإن الله سبحانه وتعالى مطلع عليكم. فإن ظننتم أنكم خدعتم الآخرين فالله لا يخدع، وإن ظننتم أنكم كتمتم أموركم عن بقية الخلق، فالله سبحانه وتعالى سميع بصير.

وإن ظننتم أنه انتهى الأمر بتخطيط المؤامرة وتنفيذها، فالله سبحانه وتعالى ناصر أوليائه المؤمنين، وأنتم لا بدّ مفضوحون. والله ما جلس متآمران على الإسلام أو على الدعاة الصادقين إلا فضحهم الله بين الخلق. وهذه والله أمور تشاهدونها؛ وقرآناها في كتب التاريخ ونشاهدها. من تآمر على عباد الله الأتقياء، فالله - سبحانه وتعالى - يفضحه بين الخلق، وهذه عقوبات عاجلة.

أما الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، أما شباب الصحوة الإسلامية المتمسكون بعقيدتهم وإيمانهم واعتزازهم بربهم فعليهم أن لا يخافوا إلا الله سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: أثر الإيمان بأسماء الله - ومنها اسمه السميع - في حياة

المسلم. ومن ذلك:

(أ) أنه يربي في نفس المؤمن صفة المراقبة لله تعالى في أموره عامة، وفيما يتلفظ به بلسانه خاصة. ولو أن الإنسان استيقن هذا الاسم العظيم واستحضره ما نطق بقييح ولا بمعصية من غيبة، أو نميمة، أو استهزاء بالمؤمنين، أو معونة لظالم على ظلمة.

(ب) أنه يدفع المؤمن إلى قول الحق والنطق به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة المظلوم ونصرته، والدعوة إلى الله - تعالى - وتوجيه الناس إلى الخير، لأنه يوقن أن كل كلمة يقولها في هذه الأبواب الخيرية فإله يسمعها.

(ج) واستحضار هذا الاسم له أثره العظيم في المواقف الكبيرة التي تحتاج إلى قوة إيمان لقول كلمة الحق، وتحمل آثارها التي قد يكون منها الموت في سبيل الله والشهادة

وهذا الدرس يستفاد من قصة موسى وهارون - عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم - فإن الله تعالى لما أمرهما بالذهاب إلى الطاغية فرعون - وهو من هو جبروتاً وظلماً - خافا من أن يفرط عليهما أو أن يطغى، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا نَعْلَهُ بِنَدْكُرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾﴾<sup>(١)</sup>. وتأمل معي قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ فأي إيمان ورباطة جأش تغرسه هذه الآية وهذا الخبر اليقيني بأن الله تعالى يسمع ما يقال ويرى ما يجري.

ألا فليتدبر ذلك الدعاة إلى الله والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وهم يواجهون ما يواجهون.

أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



الرسالة الخامسة  
تعظيم حرمان الله



## تعظيم حرّمات الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
 نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد جاء تعظيم حرّمات الله وتعظيم شعائره في سياق الحديث عن الحج  
 وشعائره؛ حيث قال - تعالى - : ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ  
 وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ  
 رَبِّهِ وَأَجَلَتْ لَكُمْ الْأَنْفُسُ إِلَّا مَا يَتَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ  
 الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا  
 حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَنَّهُ الطَّيْرُ أَوْ نَهَى بِهِ الرَّجْحُ فِي مَكَانٍ سَجِيحٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ  
 شَعْبَةَ اللَّهِ فإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُرٍّ فِيهَا مَنَفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلَاهَا إِلَى  
 الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ (١).

وقد يفهم من هذا السياق أن الحرّمات مختصة بالحج وما يتعلق به كما ورد عن  
 السلف في التفسير، مثل: قول زيد بن أسلم: إن المراد بها: الكعبة الحرام،  
 والمسجد الحرام، والبلد الحرام، والشهر الحرام، والمحرم حتى يحلّ.  
 ولكن من تأمل سياق هذه الآيات وجدها لا تقتصر على حرّمات الله في  
 الحج والعمرة، بل هي أعم وأشمل؛ حيث يدخل فيها:

- ١ - مكان البيت، وتطهيره، وأيام الحج المعلومات، وبهيمة الأنعام وذكر  
 الله عليها.

٢ - اجتناب الرجل من الأوثان وكل ما يُعبَد من دون الله تعالى.

٣ - اجتناب قول الزور، وكل قول فيه كذب على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى

شرعه ودينه.

٤ - اجتناب الشرك بجميع أنواعه وصوره.

٥ - وجوب تقوى الله - تعالى - التي هي مفاتيح تعظيم الحرمات وتعظيم شعائر الله تعالى.

وهذا الذي فهمه كثير من أئمة التفسير. قال مجاهد: حرّمت الله المراد بها: مكة، والحج، والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. وقال أبو جعفر النحاس في (معاني القرآن ص ٤): قال مجاهد: الحرمات: الحج والعمرة، وقال عطاء: المعاصي. والقولان مرجعهما إلى شيء واحد؛ لأن حرّمت الله - عز وجل - تشمل ما فرضه وأمر به، وتشمل ما نهى عنه فلا ينبغي أن يتجاوز، وقال ابن كثير: تعظيم الحرمات: اجتناب المعاصي والمحارم بحيث يكون ارتكابها عظيماً في نفسه.

وينبغي أن يُعلم أن هناك تلازماً بين تعظيم حرّمت الله وتعظيم شعائره، بحيث يشمل أمرين أساسيين:

أحدهما: تعظيم ما أمر الله بتعظيمه، مثل: البيت الحرام، مشاعر الحج، والهدي، والقرآن الكريم، والرسول محمد ﷺ وسنته، والصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والمسلم في دمه وماله وعرضه ... إلخ.

فهذه تعظم بأمرين:

١ - تعظيمها واحترامها وطاعة الله فيها.

٢ - عدم انتهاك حرّمتها بأي نوع من أنواع الانتهاك بقول أو فعل.

الآخر: تعظيم ما حرّمه الله ونهى عنه مثل: الشرك بالله، والظلم، وقتل النفس بغير حق، والزنا، والربا، والسحر، والعقوق ... إلخ.

وهذه أيضاً تعظم بأمرين:

١ - تعظيم وتأكيّد هذه الحرمة في القلوب وفي الألسنة؛ لأن الله هو الذي

حرّمها.

٢ - أن لا تنتهك باقتراف شيء منها قولاً أو فعلاً.

وقد جاءت السنة والآثار في ذلك؛ فتكلم العلماء كثيراً عن البيت الحرام، وما يجب تجاهه، وتكلموا عن القرآن الكريم والمصحف وما يجب تجاهه، وتكلموا عن حرمة رسول الله ﷺ وما يجب علينا نحوه، وعن حرمة المؤمن ... وهكذا.

أسس وشروط تعظيم الحرمات:

هذا مهمٌ حتى يُفهم الأصل الذي يجب أن ننطلق منه في هذا الباب العظيم الذي كثر فيه التجاوز من جانب كثير من الكفار وأعداء الإسلام؛ بل ومن جانب بعض المتسيئين إلى الإسلام.

١ - الأساس الأول لها تعظيم الله تعالى، الذي له الخلق والأمر، وهو المعبود المطاع وحده لا شريك له، وإن تعظيم أحكامه وشرعه أمراً ونهياً هو تعظيم وعبودية لله سبحانه.

٢ - تعظيم الأمر والنهي وهو مقتضى الخضوع لحكمه تعالى، وتحكيم شرعه في جميع شئون الحياة. ومدار العبادة وتحقيق معنى (لا إله إلا الله) على هذا الأصل.

٣ - عدم معارضة الأمر والنهي، سواء كان ذلك بما يتناقضهما من أهواء وأحكام وموازين البشر، أو بالعدول عن منهجهما الوسطي ترخصاً إلى جافٍ، أو تشدد غالي، أو كان بتأويل فاسد يخرج الأمر والنهي والأحكام عن مواردها التي أرادها الله وأرادها رسوله ﷺ.

٤ - عدم المعارضة بين حكمه القدري وحكمه الشرعي؛ فما اقتضت حكمته أن يكون معظماً فهو المعظم، من الأماكن والأوقات والأشخاص، وهو مقتضى حكمه الشرعي. وكل ذلك مستقيم لا عوج له؛ لأنه صادر عن عين الحكمة، ومن عارضَ القدر بالشرع أو عارضَ الشرع بالقدر فهو على ضلالة، والخلق والأمر كله لله تعالى.

تعظيم الحرمات في عصرنا :

تعظيم الحرمات من ثوابت عقيدتنا الإسلامية وشريعتنا الحنيفية، التي لا تتغير مع تغير الزمان والمكان. وقد ربطت الشريعة كثيراً من هذه الأحكام بعلامات كونية لا تدخل للبشر فيها، وهي إحدى علامات ثبات هذا الدين وبقائه إلى يوم القيامة :

١ - فالصلاة والصيام والحج مرتبطة بعلامات كونية، هي: الشمس والقمر، والليل، والنهار.

٢ - والحج ومكة مربوطان بعلامات زمنية ومكانية لا تتغير ولا تبدل.

٣ - حفظ الله القرآن، كما هيأ - تعالى - من حفظ السُّنة؛ فصار هذان المصدران ثابتين، لا يملك أحد لهما تغييراً ولا تبديلاً.

٤ - إذا ثوابت هذا الدين راسخة، وهي إحدى دلائل بقاء هذا الدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ على الرغم من هذا الهجوم الكبير المتنوع من كافة الأعداء على دين الإسلام وشعائره وحرماته.

وتتابع الهجوم في الفترة الأخيرة على الإسلام هو جزء من سلسلة طويلة من العداة له منذ أن بعث الله نبينا محمد ﷺ واصطفاه ليكون خاتم المرسلين، ولتكون شريعته ناسخة لما سبقها من الشرائع.

وفي مقابل ذلك هيأ الله من يواجه ذلك العداة في كل زمان ومكان، من العلماء والدعاة والمصلحين، معظمين لشريعة الله ولدينه، ولشعائره وحرماته، مظهرين ذلك من خلال الوسائل المتوفرة لديهم.

وفي عصرنا هذا - عصر الإعلام والعولمة بأذرعها السياسية والعسكرية والاقتصادية والتقنية والعقدية والثقافية - نحتاج إلى مواجهة ذلك بما يليق به من خلال القيام بالأسباب الشرعية والمادية.

ومن ذلك ما يتعلق بموضوعنا وهو (تعظيم حرّمات الله). ويمكن أن نعرض لذلك من خلال الأمور التالية:

أولاً: مسؤوليتنا الخاصة، أي: واجبنا من الداخل:

ونعني بذلك: مسؤوليتنا كمسلمين منتسبين إلى هذا الدين، كأفراد ومجتمعات وكأمة مسلمة عرفت بذلك، وهذا مبني على مسألتين مهمتين: أحدهما: أن المسلم إذا لم يدافع عن دينه فليس له أن ينتظر غيره أن يدافع عنه. وإذا كان هو البادئ بانتهاك حرّماته فلن ينتظر من غيره إلا أن يكون أشدّ انتهاكاً له.

الأخرى: أن احترام الآخرين لك ولدينك ميزانه مدى احترامك لعقيدتك ولمبادئك. وهذا مشاهد حتى في بلاد الغرب؛ فالذي يحترم دينه يحترمونه، والذي ينتهك دينه يحتقرونه وإن أظهروا له المودة والإعجاب بأفعاله. وأكبر دليل على ذلك هذه المسيرة الضخمة لكثير من بلاد المسلمين في ركب الغرب وتغريبه وعلمانيته، ولم ينتج ذلك إلا مزيداً من احتقار الغرب لهذه الدول، بل ولقاداتها وأهل الرأي والفكر فيها؛ فهم على الهامش عند هذه الدول سياسياً وثقافياً، بل ولا تكاد توجد لهم قيمة عندهم إلا إذا أرادوهم أدوات لتنفذ مخططاتهم الإجرامية في بلاد المسلمين.

وبناء على ذلك فإن تعظيم حرّمات هذا الدين - داخل بلاد المسلمين - لا بدّ فيه مما يلي:

١ - الاحترام الحقيقي للإسلام وشعائره وحرّماته من جانب الدول الإسلامية قولاً وفعلاً، وتشريعاً وحكماً، امتثالاً لما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ، وتطبيقاً لأحكام الشريعة على كافة المستويات؛ بدءاً من أنظمة الدولة وتشريعاتها، وانتهاءً بالأفراد، ووجوب تقواهم ربهم - تعالى - في امتثال أحكام دينه، وفي ما بين ذلك من: الإعلام، والتعليم، والقضاء، والمؤسسات

الثقافية والتوجيهية، والنظم المالية والصحية، وغيرها، فيجب أن تراعى أحكام الله وحدوده وحرماته.

٢ - هناك وسيلتان مهمتان لهما دور كبير في الأمة تجاه هذا الواجب، وهما:  
أ - الإعلام.  
ب - التعليم.

يجب أن يقوموا بدورهما في تحقيق احترام دين الله وتعظيم حرماته، وأن تكون مناهج التعليم ووسائله التربوية، ووسائل الإعلام في بلاد المسلمين قائمة على أسس متينة من التأصيل الصحيح والمنهج السليم؛ حتى تتربى الأجيال على تعظيم دينها واحترامه.

٣ - الوقوف أمام كل من ينتهك حرمة الله في بلاد المسلمين، وجعل ذلك من المسلمّات التي يلتزم بها الجميع، وأن لا يسمح لأحد بانتهاكها تحت شعار (الحرية والليبرالية)، ولا تحت شعار (إنه غير مسلم) مادام يقيم في بلاد المسلمين. إن من المؤسف أننا نطالب من ينتهك حرمة الله في غير بلاد المسلمين الكف عن ذلك والاعتذار للمسلمين، ونحن ساكتون عن من ينتهكها في بلادنا نحن المسلمون من بني جلدتنا وينتسبون إلى ديننا باسم الحرية، والحوار، والرأي والرأي الآخر!

ولا أظن أن هناك حاجة إلى ضرب الأمثلة على ذلك مما يدور في بعض وسائل الإعلام، أو في كتابات ذات اتجاهات معروفة، أعلنت تحديها للأمة وخروجها عن ثوابتها، والاستهزاء بأحكام شريعتها، ولا شك أن العلمانية في بلاد المسلمين أصبحت مفتاح كل شر وفساد وطعن لهذا الدين بثوابته ومحظوراته.

٤ - لا ننسى الوقوف أمام ما يقوم به بعض أهل البدع من نقض لمسلمّات وحرمة أجمعت الأمة على احترامها وعدم المساس بها؛ كالصحابة - رضي الله عنهم -؛ فإن الطعن فيهم وسبهم هو مفتاح لكل إلحاد وزندقة ومروق من

هذا الدين؛ ولهذا نجد مسارعة أهل البدع والعلمنة على تجاوز هذا المحذور - وهو الصحابة -؛ لأن ذلك يهون من تجاوز باقي مسلّمات الأمة والطعن في أئمة السلف على مدار التاريخ، ويفتح باب الشكوك في ثبوت القرآن، وفي السنة كلها، بل يفتح باب الطعن في المصطفى ﷺ؛ حيث اتخذ هؤلاء الصحابة أصحاباً ووزراء وأمناء له على نقل دين الله وتبليغه الأمة.

٥ - المدرسة العصرانية العقلانية (أهل الأهواء) - التي تصف نفسها أحياناً بأنها تنويرية تدعو إلى الإسلام المستنير - فتحت الباب لتجاوز الكثير من مسلّمات الأمة وثوابتها؛ فحاولت أن تتخذ لها منهاجاً غريباً يجمع بين الانتساب إلى الإسلام والأخذ بأصول أهل البدع وطعونهم، وموالات الكفار والحرص على رضاهم وعدم إغضابهم؛ فقام منهجهم على عدة أسس أهمها:

- فتح باب التأويل لنصوص الكتاب والسنة، دون قواعد أو ضوابط؛ حتى صحح بعضهم تأويلات المعتزلة والباطنية والفلاسفة.

- الطعن في السنة في كثير مما ثبت منها، وردها عن طريق العقول، أو عن طريق الطعن في رواتها؛ بدءاً بالأئمة الكبار، وانتهاءً بالصحابة رضي الله عنهم.

- محاولة إلغاء قواعد مصطلح الحديث.

- محاولة إلغاء كثير من قواعد أصول الفقه.

- فتح باب الاجتهاد - غير المنضبط - وإلغاء الترجيح، والقول بنسبية الحق.

- تحوّل هذا الطعن وانتهاك مسائل معروفة في دين الإسلام متعلقة بسدّ الذرائع، والولاء والبراء، والمرأة، وغيرها.

- اتهام عقيدة المسلمين - عقيدة السلف الصالح - بشتى التهم، والإعظام من شأن الغرب، وإعلاء ما هم عليه من إلحاد وإباحية، ومدحها والثناء عليها.

- الالتقاء مع العلمانية الصريحة، وتعاون الطائفتين فيما بينهما على كل ما يلتقيان عليه؛ من إعلاء لشأن الغرب، والتهوين من شأن المسلمين وعقيدتهم وشريعتهم.

وتفصيل حال هذه المدرسة مما يطول، ولكن أردت أن أبين خطورة مثل هذا التوجه على زرع انتهاك حرّامات الله في بلاد المسلمين، وفي ناشئتهم وأسْرهم، بل وفي كثير من مثقفِيهم.

فالواجب الوقوف أما هذه المدرسة وكشف عوارها كما فعل سلفنا تجاه تجاربها السابقة على مدار التاريخ الإسلامي؛ إذ إن المدرسة العصرية تكررت سابقاً، وكانت نتبجة فكرها أنها لا للإسلام نصرّوا ولا للكفار كسرت.

٦ - الإعلام اليوم سلاح ذو حدين، وكما أنه يشيع انتهاك حرّامات الله بأوسع نطاق وبأسرع وقت؛ فهو كذلك ينبغي أن يكون وسيلة للدعوة إلى الإسلام، وتأسيس العقيدة الصحيحة والشريعة التي تغرس في نفوس المتلقين احترام الثوابت وتعظيم الحرّامات.

فالمحطات الفضائية، والشبكة المعلوماتية، والإذاعة، والصحافة ودور النشر... وغيرها، وسائل عظيمة لنشر هذه الأسس العظيمة في بلاد المسلمين وفي غيرها.

٧ - أخيراً: إنني أدعو - كما دعا الكثير من العلماء والدعاة في مناسبات مختلفة - إلى تبني جملة من الوسائل في الأمة لغرس المنهج الصحيح والعبودية الحقّة لرب العالمين، مما يغرس في النفوس تعظيم ما عظمه الله وحرّمه، ومن ذلك:

- خطيب الجمعة وإمام المسجد، فلهما دور كبير في ذلك، ومعلوم أن المسجد ومنبر الجمعة وسيلتان من أعظم الوسائل، ولذلك ينبغي التواصي في ذلك.

- الأسرة داخل البيت يجب أن يكون لها، من خلال وسائل وأساليب متنوعة، دور كبير في نشر الوعي والفهم الصحيح لهذه المسلّمات والحرّمات.
- التعليم؛ المدرّس مع طلابه ينبغي أن يرسخ فيهم هذه الأسس والمبادئ.
- العناية بسيرة الرسول ﷺ، ونشرها، ونشر ما لم ينشر من مخطوطات، مع الضبط والتحقيق والبعد عن الخرافات والروايات الموضوعية والضعيفة.
- إعادة طباعة ونشر الكتيبات والمطويات التي تتحدث عن نصرته الرسول ﷺ، وأن لا يقتصر توزيعها على وقت معين.
- بناء المواقع الإلكترونية والمحطات الفضائية التي تعنى بهذا الجانب العظيم والتشجيع على ذلك، وبأن ينبري التجار والمحسنون إلى بذل الأموال في ذلك.

ثانياً: مسؤوليتنا تجاه انتهاك حرّمات الله من خارج بلاد المسلمين:

وهذه قد كتب عنها الكثير، خاصة مع الأحداث التي تكررت أخيراً في الإساءة إلى الإسلام وإلى الرسول ﷺ.

وتعظيم حرّمات الله تجاه من ينتهكونها من الكفار تقوم على أسس ثلاثة:

أولها: سَبَقَ بيانه، وأساس ذلك أنه يجب أن نكون أقوياء تجاه من ينتهك هذه الحرّمات داخل بلاد المسلمين، وإذا فعلنا ذلك عرف الأعداء من الخارج جدّيتنا في الدفاع عن ديننا، وأنه لا مساومة في ذلك.

أما أن يُحارب البعيد ويترك القريب الذي قد يكون انتهاكه أشد وأعظم؛ فهذا تناقض ومفتاح لكل الطاعنين أن يتجرّؤوا علينا وعلى ديننا وثوابتنا وحرّماتنا.

ثانيها: يجب على الدول أن تأخذ الأمر مأخذ الجدّ، وأن تتدخل - حسب وسائلها السياسية وغيرها - تجاه هذه الانتهاكات، وأن تجعل من ثوابت الدين ومسلّماته ما لا يسمح لأي أحد تحت أي ظرف أو ادعاء أن ينتهكها. وكما قال

أحد المفكرين الفضلاء: ينبغي أن نخاطب الغرب باللغة التي يفهمها؛ فنبين له أن مثل هذه الانتهاكات هي عندنا بمثابة إعلان حرب.

ثالثها: الغزو الإعلامي لكافة بلاد العالم وبكافة اللغات؛ لنشر دين الإسلام، وصحة عقيدته، وسماحة شريعته، وكمال أحكامه؛ وأساس ذلك حق الله بالتوحيد والعبودية، وحق رسوله محمد ﷺ - الذي هو خاتم النبيين - بالاتباع، وشرح سيرة هذا النبي الكريم لهم حتى يعرفوه.

ولا شك أن الأمة حين تتمسك حقيقةً بدينها، وتلتزم بأحكامه، وتحترم حدوده، وتجعل ذلك منهاجها القائم على عبودية الله - تعالى - وإخلاص الدين له، وأتباع سنة رسوله ﷺ فستكون عزيزة منصوره. قال - تعالى -: ﴿إِنْ تَصْرُوهَا اللَّهُ يَبْضُرْكُمُ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وحينئذ سيحترمها الآخرون ويحترمون دينها ولن يجرؤوا على انتهاك ذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الرسالة السادسة

منزلة النبي ﷺ عند رب العالمين<sup>(١)</sup>

---

(١) مؤتمر في السودان من ٣-٥/١١/١٤٢٨ هـ .



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد: فخصائص نبينا محمد ﷺ كثيرة، لم تجتمع لنبي قبله قط، وقد أفرد العلماء ذلك بمؤلفات كثيرة مشهورة، ويلاحظ على بعضها أو غالبها خلط الصحيح بالضعيف والموضوع فتضمنت روايات وأقوال مشتملة على مخالفات عقديّة وشرعية، أصبحت فيما بعد أساساً لمقالات بدعية كثيرة لدى طوائف من الصوفية وغيرهم من الغلاة.

ولذلك حرص العلماء والباحثون في الجامعات الشرعية على دراسة تلك الروايات وتمحيصها وتمييز الصحيح من غيره والرد من خلال ذلك على أهل البدع.

ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة الصحيحة في هذا الباب المهم وهو باب خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجد أن فيها من الكثرة والغناء ما يغني عن اللجوء إلى روايات الوضعيين والضعفاء ومقالات أهل البدع.

ومنزلة النبي ﷺ في دين الإسلام وخصائصه وخصائص دين الإسلام الذي جاء به وخصائص أمته، أبواب عديدة واسعة.

ونحن في هذه الورقات المختصرة نعرض - فإجمال - إلى أحدها وهو: (منزله ﷺ عند رب العالمين).

ونظراً لكثرة المسائل وظهور دلائلها لكل مسلم اكتفينا بالارشادات التي تغني عن طويل العبارات. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أولاً: آيته العظمى: القرآن الكريم:

وهو أعظم آياته ومعجزاته، وخصائصه وخصائص هذه الأمة:

- فحفظه الله من التغيير والتبديل.
- وجعله آيته العظمى ومعجزته الكبرى.
- بقاء هذا الإعجاز إلى آخر الزمان.
- أنه سبب كثرة أتباعه كما في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

- وجعل هذا القرآن ناسخاً ومهيماً على ما قبله من الكتب.

ثانياً: النبوة والرسالة وختمها به صلى الله عليه وسلم:

وقد جاء هذا في نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى:

- منها قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٣].
- وقوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلنَّبِيِّ إِنْ أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].
- وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

(١) متفق عليه.

- وأدلة ختم النبوة به كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٠]. قال ابن كثير في تفسيرها: (فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأولى والأخرى، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كان رسول نبي ولا ينعكس).

ثالثاً: عموم رسالته إلى العالمين جميعاً:

- فبعثه الله إلى الثقلين الإنس والجن كافة.

- قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ١]. فيدخل في [العالمين] الإنس والجن.

- وارساله إلى الجن جاء مبيناً في سورة الجن كلها. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٩] الآيات.

- وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ: ٢٨].

- وقال تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٨].

- وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

[فكل الأمم من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين وغيرهم مدعوون دعوة لا خيار لهم فيها أن يتبعوا هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم].

رابعاً: رفع الله ذكره في العالمين:

وقد جاء ذلك من خلال أمور:

١ - قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ٤].

٢ - وناداه ربه بأعز أوصافه: يا أيها النبي ... يا أيها الرسول ... وغيره من الرسل الكرام ناداهم بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا لوط، يا موسى، يا عيسى ... إلخ.

٣ - بل نهى الله المؤمنين أن ينادوه إلا بالنبوة والرسالة قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [سورة النور: ٦٣]. فالراجع في تفسيرها: الأمر بأن ينادوه باسم النبوة والرسالة تشريفاً له.

٤ - وأقسم تعالى بحياته ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الحجر: ٧٢].

قال ابن كثير في تفسيرها: (أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض).

٥ - وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. كما في فاتحة سورة الفتح.

٦ - ورفع ذكره بأن قرن اسمه تعالى باسمه فلا يذكر الله إلا ذكر معه:

- في الأذان والإقامة. - وفي التشهد. - وفي الخطبة.

- وفي الشهادتين حيث إن بينهما تلازماً فلا تصح شهادة أن لا إله إلا الله إلا

بشهادة أن محمداً رسول الله.

٧ - وقد تحقق رفع ذكره في العالمين منذ بعثته إلى يومنا هذا فلا يوجد لأحد من الناس ذكر مرتفع ومقام عظيم كما لهذا النبي الكريم ﷺ.

خامساً: قرن الله طاعته بطاعة رسوله:

١ - وهذا جاء في نصوص كثيرة من القرآن الكريم. كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٢]، وكقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [سورة

الأنفال: ٢٠]، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ

يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سورة

الأحزاب: ٣٦]، وقال: ﴿...وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا

أَبَدًا﴾ [سورة الجن: ٢٣].

[في آيات كثيرة] جاء فيها أيضاً أن من عصى الرسول فقد عصى الله وقرن بينهما فقال: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيبٌ﴾ [سورة النساء: ١٤]. وهي تدل على التلازم بين الطاعتين، فلا تصح ولا تتم طاعة الله إلا بطاعة رسوله ﷺ، كما أن طاعة الرسول لا تصح إلا بطاعة الله تعالى.

فمن زعم أنه يأخذ بالقرآن ويتبع ما فيه، ولا حاجة له إلا الأخذ بالسنة فهو مكذب بالقرآن نفسه كما في النصوص السابقة. وعليه فمن يسمون أنفسهم بالقرآنيين، هم في الحقيقة مكذبون بالقرآن صراحة؛ لأن نصوصه التي أوجبت وأوصت وأمرت بطاعة الرسول محمد ﷺ والأخذ بما جاء به من السنة لا تكاد تحصى إلا بكلفة.

- واستلزمت هذه القاعدة والحقيقة الكبرى عدة حقائق أخرى أهمها:

أ - تحريم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٢]. وهذا من تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وإذا كان هذا كما جاء في روايات تفسير هذه الآية وأسباب نزولها في حياته عليه الصلاة والسلام فإن مدلوها يمتد بعد وفاته حساً ومعنى. فلا صوت يرفع عند مجئ سنته وشرعه بل يجب الإنصات لكل حكم وشرع وسنة جاءت من عنده ﷺ.

ب - أنه لا يجوز التقدم بين يدي الله ورسوله برأي أو اجتهاد أو اقتراح. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١] والمعنى لا تتقدموا بقول أو فعل فيما سيبله أن يؤخذ عن الله وعن رسوله من أمور الدين أو الدنيا، بل آخروا أقوالكم وآراءكم واجتهاداتكم إلى أن يأمر الله ويأمر رسوله ﷺ. وفي هذا دلالات التوقير

والتعظيم والأدب والطاعة مع الرسول ﷺ ما ضرب فيه الصحابة أعظم الأمثلة وهم القدوة لنا رضي الله عنهم أجمعين .

ج - وجوب التحاكم إلى الرسول ﷺ عند التنازع، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥﴾ [سورة النساء: ٦٥] فنفى الإيمان عمّن لم يتحاكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته عند النزاع والاختلاف، بل ولا بد من نفي الحرج والضيّق عن القلوب والتسليم التام لحكمه .

٣ - وكما قرن تعالى طاعته بطاعة رسوله محمد ﷺ فقد قرن محبته بمحبته ورضاه برضاه، وجعل بيعة رسوله بيعة لله . فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [سورة التوبة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿...وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرَظِّئَهُ...﴾ [سورة التوبة: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾ [سورة الفتح: ١٠] .

٤ - كذلك أيضاً قرن أذاه تعالى بأذى رسوله ومشاقته بمشاقته فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [سورة الاحزاب: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ ١٣﴾ [سورة الأنفال: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة المجادلة: ٥]، وفي الأخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْآذِلِينَ ٢٠﴾ [سورة المجادلة: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا﴾ [سورة التوبة: ٦٣] . ففي الآية الأولى بيان حكم من أذى الرسول ﷺ وأن عقوبته اللعن والطرّد من رحمة الله في الدنيا والآخرة،

ومنها يستنبط حكم من أذى رسول الله وأنه حكمه الكفر ووجوب القتل كما استنبطه العلماء من هذه الآية وغيرها .

٥ - أكرمه بمنزلة الخلّة: وهي خالص المحبة، وقد كانت لرسولين كريمين هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام. روى مسلم في صحيحه عن جندب بن جنادة قال سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»<sup>(١)</sup>.

كما روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلاً»<sup>(٢)</sup>.

- وكما أن له ﷺ الخلّة فقد كلمه الله تعالى ليلة المعراج وفرض عليه الصلوات الخمس.

سادساً: ثناؤه تعالى على رسوله في القرآن:

وقد جاء هذا في كتاب الله تعالى مبيناً ومفصلاً؛ فقد أثنى عليه تعالى وزكاه وامتن به على هذه الأمة كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ لَيْلٍ ضَلُّوا مُبِينًا﴾ [سورة آل عمران: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

(٢) صحيح مسلم حديث ٢٢٨٣.

(١) صحيح مسلم حديث ٥٣٢.

ومن أمثلة هذا الثناء والتزكية لهذا النبي الكريم ﷺ:

١ - الأمر بالصلاة والسلام عليه بعد الإخبار بأن الله وملائكته يصلون عليه .  
قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ  
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ [سورة الأحزاب: ٥٦].

فالصلاة المأمور بها هي الطلب من الله تعالى ما أخبر به عن صلاته وصلاة  
ملائكته وهي: ثناؤه عليه وإظهار فضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه، فهي  
تتضمن الخبر والطلب<sup>(١)</sup>.

يقول ابن كثير من تفسير الآية السابقة: (والمقصود من هذه الآية أن الله  
سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى بأنه ينثى عليه  
عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم  
السفلي بالصلاة والتسليم عليه لجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي  
والسفلي جميعاً).

أما أحاديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فهي كثيرة متواترة معلومة  
أفردتها العلماء بمؤلفات ذكرت رواياتها وطرقها، ومواضع الصلاة عليه - وقد  
جاء في فضلها حديث أبي هريرة - في صحيح مسلم مرفوعاً: «من صلى عليّ  
واحدة صلى الله عليه عشراً» والصلاة عليه واجبة وللعلماء كلام في ذلك.

٢ - والله تبارك وتعالى زكى نبيه:

أ - فزكى فؤاده وقلبه فقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ﴿١١﴾ [سورة النجم: ١١].

ب - وزكى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ﴿١٧﴾ [سورة النجم: ١٧].

ج - وزكى لسانه فقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿٣﴾ [سورة النجم: ٣].

د - وزكى خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [سورة القلم: ٤].

(١) ينظر: جلاء الأفهام لابن القيم ص ٧٨.

هـ - وزكاه كله فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧].

٣ - أخذ العهد والميثاق على النبيين إذ بعثه فيهم ليؤمنن به ولينصرنه:

قال تعالى في ذلك: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٨١].

روى ابن جرير عن علي رضي الله عنه [ومثله عن ابن عباس] قال: «لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصره ويأخذ العهد بذلك على قومه» [إسناده صحيح].

سابعاً: إكرام الله تعالى لنبيه في أمته:

من إكرام الله تعالى لهذا النبي الكريم - وهي مكارم وفضائل لا تكاد تحصى

- إكرام الله لأمته، حيث أكرمها تعالى بنعم كثيرة وخصائص تميزت بها عن غيرها من الأمم ومن أهمها:

١ - أنها خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]. فهي خير أمة، وخيريتها يمتد أثرها إلى الناس جميعاً إذا آمنت بالله وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، والخيرة بهذا الشرط باقية وقائمة إلى يومنا هذا وستبقى.

والبشرية اليوم تتخبط في حياتها، فما أحوجها إلى هذا النور والضيء المستمد من الكتاب والسنة ويحمله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٢ - أنها الامة الوسط بين الأمم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]. وفي هذه الآية:

أ - أن هذه الأمة وسط بين الأمم، التي انحرفت إما إلى الإفراط أو إلى

- التفريط في التوحيد والرسول والشريعة.
- ب - أن هذه الأمة أكرمها الله بالشهادة على الناس يوم القيامة في أن أنبياءهم قد بلغوهم رسالة ربهم .
- ج - والرسول ﷺ شاهد على أمته يوم القيامة .
- ٣ - أن هذه الأمة - وإن كانوا الآخرين زماناً - فهم الأولون يوم القيامة، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا»<sup>(١)</sup>. وتظهر هذه الأولوية على الأمم من وجوه:
- أ - أنهم أول من يقضى بينهم بين الخلائق كما جاء في صحيح مسلم: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق»<sup>(٢)</sup>.
- ب - أن هذه الأمة مع نبيها هي أول من يجتاز الصراط كما في صحيح مسلم: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز»<sup>(٣)</sup>.
- ج - أنهم أول من يدخل الجنة كما في صحيح مسلم: «ونحن أول من يدخل الجنة»<sup>(٤)</sup>. وفيهم السبعون ألفاً.
- د - مضاعفة أجر هذه الأمة مع أنهم أقل عملاً ممن كان قبلهم كما في حديث البخاري الطويل عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عمل يوم إلى الليل على أجر معلوم...»<sup>(٥)</sup>. الحديث.

(١) البخاري حديث (٨٧٦)، ومسلم كتاب الجمعة.

(٢) صحيح مسلم.

(٣) مسلم كتاب الجمعة.

(٤) صحيح البخاري حديث رقم (٢٢٧١).

(٥) مسلم.

٤ - أن الله أكرم رسوله وأمه بأمرٍ أخرى كثيرة منها :

أ - شهر رمضان .

ب - ليلة القدر .

ج - ويوم الجمعة الذي أضل عنه الأمم السابقة .

د - مكة والكعبة ومسجده ﷺ وفضل الصلاة فيهما وأن الدجال لا يدخلهما .

هـ - ونزول عيسى عليه السلام حاكماً بالقرآن ومتبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم .

ثامناً : دروس ونتائج : يتبين مما سبق عدة أمور مهمة :

١ - أن هذا النبي الكريم ﷺ هو عبد الله ورسوله ، وشرفه الله بالعبودية كما شرفه بالرسالة . فليحذر من طرفي قصد الأمور : الإفراط غلوّاً فيه ورفعاً إلى الألوهية ونحوها . والتفريط جفاء في حقه وما له من المنزلة والتوقير .

٢ - أن التلازم بين الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله يقتضي أنه لا يصح إيمان ولا دين إلا بالإيمان به صلى الله عليه وسلم واتباع ما جاء به . وهذا شامل لكافة ولكل الناس .

٣ - أن أي حوار أو لقاء بين الأديان أو الطوائف يغفل أن الأصل العظيم شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله وما تقتضيه هاتان الشهادتان ولو ازمهما فهو حوار لا ثمرة حقيقية له سوى أن يُطلب من المسلمين أن يتخلو عن دينهم وأن يصححوا دين اليهود والنصارى والمشركين . [وهذا سبب فشل الحوارات سابقاً ولاحقاً] .

٤ - أرى أن يقدم للعالم ومنه الغرب - أن يقدم الإسلام الحقيقي لنكون صادقين مع أنفسنا ومع غيرنا ، وهذا أجدى وأنفع من أساليب التعمية والإخفاء والبحث عن التأويلات والشذوذات التي لا يقبلها عموم المسلمين

---

ولا يصدق بها مفكرو الغرب. فليس في ديننا ولا شريعتنا ولا إسلامنا  
ما نخجل منه أو نخاف من الجهر به.  
وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الرسالة السابعة

أخطاء عقدية



## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [ص: ٧]. يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد: فإن موضوعنا في هذه الرسالة يتعلق بالعقيدة، والحديث عن العقيدة ذو شجون خاص في عصرنا الحاضر، حيث إننا نشاهد حرباً شعواء على المسلمين وعلى عقيدتهم بالذات، حرباً موجهة إلينا قد صوبت سهامها، منطلقة من مشارق الأرض ومغاربها، فما هو السبب، الجواب واضح:

لأننا نقول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، ونعتقد ذلك اعتقاداً جازماً؛ فلأجل هذا، ولكون معركتنا مع عدونا معركة عقديّة جاءت هذه الرسالة التي أسأل الله أن ينفع بها<sup>(١)</sup>؛ وهي عن بعض الأخطاء الشائعة المتعلقة بالعقيدة، وينبغي أن نعلم في بادئ الأمر أن هذه الأخطاء ما كانت لتكثر وتنتشر لو لا أن هناك تساهلاً كبيراً في تعلم العقيدة وتعليمها. والمتأمل الآن في بلاد الإسلام

(١) وهي في الأصل محاضرة ألقيتها في أحد المساجد.

في مشارق الأرض ومغاربها، يشاهد أنواعاً من الأخطاء الكبيرة والمنتشرة بين الناس بدأت تغزو بلاد الإسلام.

ومن أجل ذلك، جمعت هذه الرسالة وقسمتها إلى أربع مجموعات:

\* المجموعة الأولى: أخطاء في قضايا عامة.

\* المجموعة الثانية: أخطاء تتعلق بأنواع من الشركات ونحوها.

\* المجموعة الثالثة: أخطاء تتعلق بالرقى والتمايم.

\* المجموعة الرابعة: أخطاء تتعلق بالألفاظ ونحوها.

وكل مجموعة تنقسم إلى عدة أخطاء.

وقبل الدخول في تفاصيل ذلك أحببت أن أشير إلى أهم الأسباب التي دعت

إلى كتابة هذه الرسالة، وهي:

(١) أهمية العقيدة وأن الخطأ فيها ليس كالخطأ في غيرها.

(٢) أن بعض هذه الأخطاء تنشأ وتنتشر، فإذا لم يتدارك الأمر ببيان شأنها وحكمها والتحذير منها فربما تأصلت عند بعض الناس أو في بعض المجتمعات.

واعتبر ذلك مثلاً: ببناء الأضرحة على القبور في بعض البلاد الإسلامية كيف أنه لما لم يحذر منها في أول أمرها كيف تأصلت وصعب إزالتها.

(٣) شدة حذر السلف الصالح في أبواب العقيدة ومسائنها، حتى أغلظوا كثيراً على أهل البدع والزيغ والانحراف فيها.

أ - فكانوا يحتسبون بالقتل لمن ثبتت زندقته وردته.

ب - وكانوا يحكمون بالجلد والحبس لبعضهم، كما فعل عمر مع صبيغ بن عسل.

ج - وكانوا يهجرون أهل البدع ويحذرون منهم.

د - وقد ألفوا الكتب والرسائل لبيان العقيدة والدفاع عنها ضد أعدائها - وهذا كثير معلوم.

ه - ولم يزل هذا التحذير - إلى اليوم - يقوم به أئمة الإسلام وعلماءه.

(٤) ما نراه ونسمعه ونقرؤه - في هذه الأزمان - من حرب شعواء موجهة ضد العقيدة الإسلامية الصافية:

أ- ففي خارج بلاد الإسلام يشن أعداء الله من اليهود والنصارى والوثنيون أنواعاً من الحرب ضد عقيدة المسلمين: فأنواع التشكيك، ووسائل التنصير، والهجوم المباشر على العقيدة ورمي أصحابها بأنواع من تهمة التطرف والإرهاب - كل ذلك أمر لا يكاد يجهله مسلم.

ب- وفي داخل بلاد المسلمين ابتلي المسلمون بتيارين من أخطر التيارات: أحدهما: تيار أهل البدع في المقالات والعبادات من الرافضة، والمعتزلة، والصوفية والأشعرية والمرجئة والخوارج وغيرهم.

والثاني: تيار العلمانيين والقوميين والحدائين اللذين استخدموا كل وسيلة تمكنوا منها لنفث سمومهم بأساليب متنوعة.

(٥) إغراض البعض - وقد يكون منهم من يتسبب إلى الدعوة - عن التركيز على العقيدة، والزعم بأنها أمور مسلمة في بلاد المسلمين، مما أدى إلى وقوع الانحراف وتنوعه وهم عنه غافلون أو متغافلون - هداهم الله - .  
ومثله: بعض المناهج والطرق الدعوية، التي لا تركز أحياناً على تأصيل العقيدة وبيانها.

أسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة مصنفها وقارئها وناشرها إنه سميع مجيب.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب/ عبد الرحمن بن صالح المحمود

الرياض ٢٨/٣/١٤٢٠هـ



## المجموعة الأولى أخطاء في قضايا عامة

أولاً: خطأ في مفهوم مدلول لا إله إلا الله، فإن كثيراً من الناس يفهم من لا إله إلا الله أنها كلمة يقولها بلسانه، وينسى أن هذه الكلمة تقتضي منه أموراً غير النطق بها. ومن أعظم هذه الأمور التي تقتضيها كلمة التوحيد، ركنها: النفي والإثبات.

النفي: بأن ينفي الإنسان أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تبارك وتعالى. والإثبات: أن يصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له. ومدلول هذا: إخلاص الدين لله، والكفر بالطاغوت، ولذا يقول الله - سبحانه وتعالى - في كتابه والعزير: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾<sup>(١)</sup>.

ومن مقتضياتها: إفراد الله تعالى بالطاعة والخضوع لأوامره ونواهيه.

والخطأ الشائع عند بعض الناس اليوم، هو ظنهم أن لا إله إلا الله مقتضاها عبادة الله فقط، نقول: نعم. هذا هو مقتضاها وركنها الأول، ولكن لها مقتضى آخر وركناً لا بد منه، ألا وهو الكفر بالطاغوت، فلا بد من البراءة من الشرك والكفر بالطواغيت جميعاً، وهذه هي ملة إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كُفْرًا بِكُرِّهِ وَإِنَّا لَنَبْنِيَنَّكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ...﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن الخطأ الشائع - في مفهوم لا إله إلا الله - ظن بعضهم أن معناها: لا خالق إلا الله، ويفسرون ذلك بتوحيد الربوبية ويجعلون هذا أساس التوحيد

(٢) سورة الممتحنة: ٤.

(١) سورة النحل: ٣٦.

ولبه، ويركزون في الدلائل والمسائل. وتوحيد الربوبية مهم لكن المخالف فيه قليل، أما توحيد الألوهية: فهو الذي دلت كلمة التوحيد، والمخالف فيه كثير - والله المستعان - .

ثانياً: ومن الأخطاء في القضايا العامة: خلط في مفهوم الولاء والبراء، فإن الناس إذا فتشت في أحوالهم وجدتهم خلطوا في هذا الأصل قولاً وفعلاً من عدة وجوه أبرزها ثلاث وجوه:

الوجه الأول: مولاة الكفار، وهذه الصفة مناقضة لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام؛ لأن هؤلاء الكفار مهما تعددت ديانتهم سواء كانوا وثنيين، أو كتابيين، فهم أعداء لنا، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿...وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (١). ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ...﴾ (٢). فموالاة الكفار بأي نوع من أنواع الموالاة مناف لذلك الأصل، وهو الولاء والبراء على تفصيل يذكره العلماء بين ما هو مكفر وما ليس بمكفر، والولاء يكون للمؤمنين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها، والبراءة من الكفار جميعاً كذلك.

وهناك صور شائعة لأنواع من موالاة الكفار ومنها:

- ١- التعلق بهم ومحبتهم، خاصة مع كثرة الاختلاط بهم في بلادهم، أو في بلاد المسلمين في العمل ونحوه.
- ٢- السفر إلى بلاد الكفار لغير حاجة أو ضرورة، وربما البقاء في بلادهم أزمناً طويلاً.
- ٣- التعلق ببعض الكفار لغرض معين كلاعب كرة أو ممثل ونحوه.
- ٤- الثناء على الكفار وتلميح أحوالهم ونظمهم وقوانينهم بما يؤدي إلى احتقار المسلمين وشريعتهم .

(١) سورة النساء: ١٢٢.

(٢) سورة البقرة: ١٢٠.

الوجه الثاني: من الخلط في الولاء والبراء وهو استبدال الولاء للقبيلة أو للبلد، وهذا أيضاً خطأ شائع فإن بعض الناس يوالي الآخرين من أجل أنه من القبيلة الفلانية، أو لأجل أنه من البلد الفلاني، ثم بعد ذلك لا يزن علاقته بالناس بميزان الإسلام القائم على ميزان الولاء والبراء، والحب في الله، والبغض في الله. فمثلاً نجد الواحد من هؤلاء يأتي وأمامه شخصان أحدهما فاسق ضالّ مضل، والآخر مطيع عابد لله سبحانه وتعالى، فتجده يوالي الأول لأنه من قبيلته ويتعصب له أحياناً؛ لأنه من بلده، ويعادي الثاني؛ لأنه ليس من قبيلته، أو لأنه ليس من بلده، وهذا مدخل خطير جداً على الإيمان، لأن الإنسان إذا كان ميزانه ميزان الجاهلية، والقبيلة، والوطن، والمصلحة الشخصية والمال، فإنه يكون على خطر عظيم في عقيدته، والواجب أن يكون ميزان قلبك ولسانك وأعمالك الحب في الله والبغض في الله.

إذا فالرجل التقي هو أخي في الله وأحبه في الله، ولو كان أبعد بعيد، والفاجر أو الكافر أو الفاسق أبغضه بغضاً تاماً إن كان كافراً، وأبغضه على قدر معصيته إن كان فاسقاً، ولو كان أقرب الناس إليّ، هذا هو ميزان التوحيد.

الوجه الثالث: استخدام الكفار إلى جزيرة العرب لغير ضرورة، بل إن بعض الناس - من أصحاب الشركات وغيرهم - قد يفضل الكفار على المسلمين، وربما وصف الكفار بالأمانة وأثنى عليهم، وسب المسلمين وتنقصهم. وهذا خطأ جسيم، وصاحبه قد ارتكب ذنباً عظيماً، وهو على خطر في دينه، فليثق الله وليتب من ذنبه، فلا يستقدم إلا عمالة مسلمة أمينة. والله المستعان.

ثالثاً: ومن الأخطاء العامة: خطأ في مفهوم العبادة بحيث إن بعض الناس ظن أن مفهوم العبادة قاصر على أصول العبادة المعروفة من الصلاة والصيام والزكاة والحج، ونسي أن العبادة تشمل كل شعب الإيمان ومسائل الإيمان؛ لقوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة

الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»<sup>(١)</sup>.

إذاً، العبادة تشمل أمور الحياة كلها من أولها إلى آخرها، علاقتك بالأسرة، بالجيران، وأمورك الاقتصادية والتعليمية، وغير ذلك من الشؤون الخاصة بالفرد. كذلك علاقة المجتمع بغيره سواء كانت هذه العلاقات علاقات اقتصادية، أو عسكرية، أو علمية، كل ذلك داخل في مفهوم الشرع فمقتضاه أن ينهج فيه، وأن يسلك فيه ما أمر الله به وأمر به رسول الله ﷺ.

إننا نشاهد بعض الناس يأتي ويقول: شأنك والمسجد، أي: إلزم الصلاة في المسجد ودع عنك الناس، هل هذا هو الإسلام؟ وهل هذا هو مفهوم العبادة التي تقوم أسسها على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؟ لا. بل هذا نوع جديد من العلمنة في مفهوم العبادة، يريد أن يحصر العبادة في أنواع خاصة منها، وهذا خطأ يجب الانتباه له.

وبعضهم جعل العبادة في القلب فقط، وأنها علاقة بين العبد وربه، ولا شأن لها ببقية شؤون الحياة، وهذا منتشر بين العلمانيين والملاحدة القائلين بأن الدين لا شأن له في الحياة.

رابعاً: من الأخطاء العامة، مفهوم الوسط في الدين. فبعض الناس إذا رأى المتمسك بدينه، المحافظ على السنة قال له: لا تشدد وكن وسطاً، وهذا أيضاً من المفاهيم الخاطئة؛ لأن معنى ذلك أنك تقول لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنت بسنتك متشدد، لماذا لم تكن وسطاً، يا أبا بكر، يا عمر أو يا أصحاب رسول الله ﷺ المتبعين لسنته، لا تشددوا وكونوا وسطاً، وهنا لا بد من أن تقال كلمة في هذا الأمر:

أولاً: أن التمسك بسنة رسول الله ﷺ كاملة هو الحق وهو الوسط؛ لأن سنة رسول الله ﷺ ليس فيها غلواً ولا تقصير.

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥، ٣٦).

ثانياً: إن الوسط ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾<sup>(١)</sup>.

والمعنى: أن أتباع محمد ﷺ هم وسط بين الأمم كاليهود والنصارى وغيرهم، كما ورد الوسط أيضاً في منهاج أئمة السنة والجماعة، وذلك حينما يقولون أهل السنة وسط بين الطوائف المنحرفة، والمبتدعة.

فمثلاً: في باب محبة أصحاب رسول الله ﷺ هم وسط بين الروافض والنواصب، وأيضاً في باب الإيمان ومسائل الأحكام هم وسط بين الوعديّة والمرجئة، بين المتشددين منهم الغالين والمفرطين المقصرين، وهم وسط في باب القدر بين القدرية والجبرية. وهكذا فهم وسط بين الطوائف جميعاً.

ثالثاً: أما ما يردد عند عامة الناس ونحوهم من قولهم: كن وسطاً في دينك، فهذا فيه تفصيل، فإن قصد به ترك السنن وترك التزامها في العبادات والمعاملات واللباس وغيرها، فلا شك أن هذا باطل؛ لأن الحق إنما هو الالتزام بالسنة. أما إن وجه إلى من غلا في السنة وجاوز الحد فيها أو قصر، وقيل له: كن وسطاً، فهذا صحيح، لكن له أمثلة خاصة، مثل ذلك الذي كان في عهد رسول الله ﷺ، فقال: «أنا لا أتزوج النساء»<sup>(٢)</sup> نقول له: تزوج، فإن الرسول ﷺ تزوج فكن وسطاً.

ومثل ذلك الذي قال: «أقوم الليل كله ولا أنام أبداً» نقول له: كن وسطاً؛ لأن النبي ﷺ قال لهؤلاء وأمثالهم: «أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي، وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٢)</sup>. ويقابل هؤلاء أولئك الذين يتركون جميع النوافل، نوافل الصلاة والصيام والزكاة والأذكار، ويؤدي ذلك إلى تقصيرهم في الفرائض وغيرها، هذا أيضاً

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، وغيرهما.

مقصر. فالأول قد غالى في جانب، والثاني قد فرط وأهمل وقصر، والوسط هو الصحيح.

إذاً، هناك مفهوم خاطئ في مسألة مصطلح الوسط وهذا المفهوم الخاطئ نطبقه أحياناً على بعض الناس بمنهج خاطئ، وذلك حينما نأتي إلى من التزم بسنة رسول الله ﷺ في لحيته، وفي لباسه وفي صلواته، وفي بقية أموره، فنأتي ونقول له: لا تشدد وكن وسطاً، فهذا مفهوم خاطئ.

خامساً: من المفاهيم الخاطئة، الخلط الواقع في فهم مصطلح أهل السنة والجماعة، فمصطلح أهل السنة والجماعة في الأصل مصطلح شرعي وردت به النصوص؛ لأن النبي ﷺ قال: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين»<sup>(١)</sup>. ولأن النبي ﷺ قال: «عليكم بالجماعة»<sup>(٢)</sup>. وهذان مفهومان ومصطلحان شرعيان، ولذا كان مصطلح أهل السنة والجماعة يطلق على كل من التزم بهما في تاريخ الإسلام، وإنما وقع الخلط في هذا المصطلح في بدايات الافتراق وفي القرن الرابع بشكل أخص، وذلك حينما نُسب إلى أهل السنة والجماعة من ليس منهم، مثل انتساب كثير من طوائف الأشعرية أو الماتريدية إلى أهل السنة والجماعة انتساباً خاطئاً، فيجب أن يُبين مخالفة هؤلاء لأهل السنة والجماعة ومنهج السلف الصالح، لكن لا نعدل عن هذا المصطلح لأجل أن هناك آخرين تسموا به، فإن تسمية الباطل باسم الحق لا يمنعنا من قول الحق - والتسمية به -.

فنقول: يجب التزام منهج أهل السنة والجماعة على ما كان عليه سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى -.

سادساً: من الأخطاء العامة التي وقع الخلط فيها: مسألة وجوب طاعة الله

(١) جزء من حديث صحيح: أخرجه أبو داود (٥)، والترمذي (١٦)، وابن ماجه (٣٥)، (٣٤٦)، وأحمد (١٣٦/٤، ١٣٧) كلهم من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه.  
(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٣٣، ٢٣٤). من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وطاعة رسوله ﷺ. ووجوب الحكم بما أنزل الله، وقد وقع الخطأ في ذلك من خلال أمور منها:

أ - ظنَّ بعض الناس أنها مقتصرة على فئة من الناس وهم الحكام، ولا شك في وجوبها عليهم وجوباً أولياً، ولكن نقول إن الحكم بما أنزل الله واجب على الجميع، واجب على الحكام فيما يحكمون به بين الناس، وواجب على كل فرد فيما يتعلق بما يخصه من أعماله وأفعاله ومعاملاته، ولهذا كان مقتضى توحيد العبادة قائم على كمال الذل لله أولاً، وكمال المحبة لله ثانياً، وكمال الطاعة ثالثاً، وهذا كله مقتضاه أن تقدم طاعة الله وطاعة رسوله على طاعة من سواه، وأن تحكم بهما في كل شأن من شؤونك: المرأة المسلمة، الشاب المسلم، الأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، البلد المسلم، ولا بد للجميع أن يعلموا أن هذا جزء من العقيدة. فلا يكفي أن يدعي الإنسان أنه يعبد الله حتى يعلم كيف يعبد الله. هل يعبد الله على وفق هدي النبي ﷺ أم لا؟؛ وذلك في كل أموره وشؤونه، ثم يطبق ذلك على الوجه الصحيح:

فالفرد المسلم يجب عليه التحاكم إلى الكتاب والسنة في جميع أموره: عباداته، ومعاملاته، وأن يتحاكم في كل ذلك إلى ما أنزل الله، لا إلى العادات القبلية ولا إلى القوانين الوضعية ولا إلى غيرها.

والمرأة المسلمة: يجب عليها التحاكم إلى الكتاب والسنة في أمورها كلها: حجابها، لباسها، زينتها، عملها، معاملاتها لزوجها.

وكذلك الشاب المسلم، والتاجر المسلم، والمعلم والحاكم والقاضي.

إنه أمر واجب - وليس اختيارياً - أن يلزم العبد منهج رسول الله ﷺ في أحكام الصلاة وتفصيلها، والزكاة وتفصيلها، والصيام وأحكامه، والحج وأحكامه، وصلة الأرحام، وقسمة الموارث، وأبواب الوصايا، وأبواب

النكاح، وفي جميع شؤون الحياة، فنعبد ربنا على وفق هدي نبينا محمد ﷺ.

ب - التساهل في التحاكم إلى القوانين الوضعية، والقول بأن ذلك ليس بكفر حتى يستحلها، وقد يحتج هؤلاء بأن الكفر لا يكون إلا بالاستحلال، بل وسع بعض هؤلاء الدائرة حتى زعموا أنه لا يوجد كفر عملي مخرج من الملة. وهذا خطأ، بل الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول والعمل كما هو مفصل في كتب الأئمة.

ج - ظن البعض أن عند اختلاف العلماء؛ فلإنسان أن يأخذ بأي قول من الأقوال الواردة، دون اعتبار للدليل. وهذا من أخطر المزالِق، فلو تتبع الناس أقوال العلماء واختلافاتهم ورخصهم لضاع الدين.

والواجب عند التنازع والاختلاف - القديم أو الحادث - الرد إلى كتاب الله والسنة كما قال تعالى: ﴿...فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾<sup>(١)</sup>.

كما أنّ الواجب اتباع ما ترجح دليله، والحذر كل الحذر مما يزينه بعض العلمانيين وأذئابهم من تتبع رخص العلماء والأخذ بها ولو خالفت الدليل.

سابعاً: من الأخطاء العامة، التي عظم خطرهما وطار شررها، التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم، وشمل هذا البلاء الرجال والنساء والفتيان والفتيات، والأطفال، كما أنه تعد إلى أمور كثيرة من حياة الناس في ألبستهم وأزيائهم ومسكنهم وكلامهم وسلامهم، وأعيادهم وحفلاتهم، فإلى الله المشتكى من هذه الحالة التي بلغت بالمسلمين.

والواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعد عن التشبه بالكفار التشبه المحرم وأن يحقق الولاء والبراء، وأن يعتز بدينه وعقيدته الصحيحة، وعلى المسلمين التناصح في ذلك.

ثامناً: ومن الأخطاء الشائعة أيضاً: توهم أن العلم الحديث قد يعارض نصوصاً مع القرآن أو السنة - ونقول: إن مما يجب أن يعتقدّه المسلم أن ما في القرآن العظيم، وما ثبت عن النبي ﷺ من أحاديث صحيحة، لا يمكن أن يتعارض مع أي علم صحيح... هذه حقيقة. يجب أن نؤمن بها، وأن نصدق بها.

فمثلاً: بعض الناس قد يحدث عنده نوع من الوهم فيعترض ويقول: كيف تقولون: إن الله يعلم ما في الأرحام، وأنه يختص وحده بعلم هذا، ونحن نرى الأطباء يعرفون ما في الأرحام عن طريق الآلات والمناظير والأجهزة الحديثة ويعرفون نوع الجنين، ذكراً كان أم أنثى؟ فيتوهم أن العلم الحديث يتعارض مع ما في القرآن، وليس الأمر كذلك.

والجواب: على هذه المسائل سهل ويسير، فنقول:

أولاً: قول الله تبارك وتعالى: ﴿...وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ...﴾<sup>(١)</sup>. [ما] من ألفاظ العموم فالآية تشمل كل ما يتعلق بالجنين في بطن أمه، خلقه وتكوينه، ولونه وطوله وقصره، ورزقه، وعمله، وحاله في الدنيا، وهل هو شقي أو سعيد. هذه من الأمور الواردة عن النبي ﷺ فيما ثبت من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويُؤمر بأربع كلمات؛ يكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد»<sup>(٢)</sup>.

إن معرفة كونه ذكراً أو أنثى، داخل في باب قدر الله سبحانه وتعالى. ولا يعرف الطبيب أذكر أم أنثى؟ إلا بعد تخليقه، وهذا لا إشكال فيه.

(١) سورة لقمان: ٣٤.

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

ولهذا نقول: هل تعرفون كونه ذكراً أو أنثى قبل تشكيل خلق الإنسان؟ إنهم لا يستطيعون معرفة ذلك! فإذا ما عرفوه بعد تخليقه واكتمال نموه وقرب خروجه من بطن أمه، فنقول: إن هذا صار بعد ما تخلّق واكتمل نموه فلا تعارض بينهما، فالواجب على العبد أن يعلم أن نصوص القرآن صريحة، وأن نصوص الأحاديث الصحيحة لا يمكن أن تتعارض مع العلم الحديث ولا مع غيره؛ لأنها حق لا شك فيه، والكل من الله سبحانه وتعالى أمراً وتنزيلاً وخلقاً وتقديراً.

## المجموعة الثانية

### أخطاء تتعلق بأنواع من الشراكيات ونحوها

\* أولاً: كثرة السحرة والكهنة والمشعوذين ونحوهم:

إن من دلائل ضعف العقيدة وضعف التوكل على الله سبحانه وتعالى، كثرة هؤلاء السحرة وكون سوقهم رائجة، إن هؤلاء لا يكثرون حينما تصحح العقيدة، ولا ينشأون في بلد يؤمنون بأن هؤلاء السحرة لا يتعلمون السحر إلا مع الكفر بالله، كما قال تبارك وتعالى: ﴿...وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾<sup>(١)</sup>. ومن ثم فهناك أمور يجب الانتباه إليها:

الأمر الأول: أن الإتيان إلى السحرة والمشعوذين خطر عظيم على العقيدة يخشى على صاحبها من الزيف فيجب الحذر من هؤلاء.

الأمر الثاني: يجب إقامة حكم الله سبحانه وتعالى في هؤلاء السحرة، فبين حالهم وبين الحكم فيهم، والحكم الراجح فيهم عند جمهور العلماء أنهم يُقتلون سواء كان قتلهم ردّة أو حداً؛ وذلك حتى يتخلص المسلمون في شرورهم.

والأمر الثالث: أن يفضح هؤلاء السحرة وأن يبين كذبهم ودجلهم، فإن هؤلاء السحرة والكهان كثروا ولعبوا بعقول الناس، وبعواطفهم، فيجب أن نحرص كل الحرص على بيان دجلهم وكذبهم، ولقد كان أئمة الإسلام في السابق يبينون حكم الله فيهم وينفذونه. ففي عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - كان يأمر بقتل السحرة، بل إن إحدى زوجات النبي ﷺ قتلت

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

بعض السحرة<sup>(١)</sup> وفي عهد الخلفاء من بني العباس وغيرهم كانوا يقومون على هؤلاء الكهنة والمشعوذين بالقتل والتأديب، كل على حسبه، فقد سمع أحد الخلفاء بكاهن يدّعي علم المغيبات، فاستدعاه الخليفة، فما دخل عليه والناس من حوله قال الخليفة: هل أنت تعرف مقدار أعمار الناس؟، قال: نعم. إنني أعرف. فقال له الخليفة: كم بقي من عمري؟ فقال له: سنتان أو ثلاث. وقال له: كم بقي من عمرك أنت؟ قال: بقي من عمري ثلاثون سنة. وهنا كان السيف حاضراً فقال له اقطع رقبتك. فلما قطع رقبتك تبين كذبه في الحالين دعواه أن عمره بقي فيه ثلاثون سنة، فهذا الموقف جمع بين فضحه وبيان كذبه، وبين إقامة حكم الله سبحانه وتعالى في مثل هؤلاء المدّعين للمغيبات.

الأمر الرابع: إتيان الكهان بدون تصديقهم أمر لا يجوز، أما الذهاب إليهم مع تصديقهم فهو كفر؛ لأن النبيّ قال: «من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

الأمر الخامس: إن هؤلاء الكهنة ونحوهم مما يجب أن يُتنبه إلى خطرهم وأنهم يفسدون في الأرض فساداً عظيماً، فإن هؤلاء ينشرون السحر والكهانة، والشرك بالله؛ لأنه من المعلوم أن السحر لا يقوم إلا بعد الكفر بالله. نسأل الله السلامة والعافية، كما أن هؤلاء ينشرون أنواع الفساد في الصرف والعطف ونحو ذلك.

(١) كما جاء في الأثر الذي ورد أن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أمرت بقتل جارية سحرتها، فقتلت، وكذلك صح عن جندب بن جنادة، وهذا الأثر أخرجه: عبدالله بن الإمام أحمد في المسائل (١٥٤٣)، والبيهقي (٨/١٣٦)، من حديث عبيد الله بن عمر بن نافع عن ابن عمر، فذكره عنها. وقد أخرجه الطبراني أيضاً - كما في المجمع - (٦/٢٨٠-٢٨١)، وقال صاحبه: (رواه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهي ضعيفة، وبقيّة رجاله ثقات). ورواه: مالك في الموطأ (٢/٨٧٢) عن حمد بن عبدالرحمن بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والنسائي (١٣٠، ١٣١)، والترمذي (١٣٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٣/١٦، ١٧).

ثم نقول أيضاً: إن بعض الناس ظنّ أن النشرة جائزة بجميع صورها، وهذا من المفاهيم الخاطئة. والنشرة هي: حل السحر، ونحن نقول: إن النشرة قسمان: القسم الأول: حل السحر بسحر مثله، فهذا لا يجوز؛ لأن فيه تصديقاً لهؤلاء السحرة وتعزيزاً لمكانتهم والإتيان إليهم وهذا لا يجوز. القسم الثاني: علاج السحر بالرقى والأدعية الواردة في القرآن الكريم والأدعية الصحيحة، فنقول: إن هذا من الرقى الجائزة.

ومن المعلوم والمشاهد أن كثيراً من الناس إذا أصيب بمرض وقيل له: إن فيه سحراً، تجده يدور على السحرة في مشارق الأرض ومغاربها وكثيراً ما ينتهي أمره إلى الوبال، في الحالين، فلا حصل له الشفاء ولا سلم من الإثم، وهذا لا يجوز، والواجب أن نعالج بالقراءة الشرعية، وبالرقى المسنونة، المشتملة على الدعاء والالتجاء إلى الله وحده لا شريك له. ولقد رأيت أناساً أصيبوا بأنواع من السحر، ووقفهم الله - سبحانه وتعالى - للقراءة الشرعية - كما أشرت ووصفت - فقط، فسفاهم الله، وفيهم من مُنع من زوجته عن طريق السحر، ولجأ إلى الله، فسفاه الله - سبحانه وتعالى - وولد له الأولاد. فاتقوا الله وابتعدوا عن مثل هذه الشراكيات الظاهرة، واخشوا أليم عقابه، وتناصحوا فيما بينكم على تركها.

\* ثانياً: ومن أنواع الشراكيات المشهورة:

شدّ الرحل والسفر لزيارة قبر الرسول ﷺ، وهذا محرم لا يجوز؛ لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «لا تشدّ الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا»<sup>(١)</sup>. قد يقول قائل: إن رسول الله ﷺ نهى عن شدّ الرحال إلى المساجد، فلا تدخل فيها القبور، ونقول: إن نهى

(١) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٣٨/٢، ١٣٩٧).

الرسول ﷺ شامل لجميع الأشياء المعظمة من المساجد أو المشاهد أو القبور أو غيرها. ولهذا لما ذهب أحد الصحابة مسافراً في زيارة جبل الطور في سيناء ولقيه بعد رجوعه صحابي آخر قال: من أين جئت؟ قال: جئت من جبل الطور. مع أن جبل الطور ليس فيه قبر ولا مسجد. فقال له: لو رأيتك قبل أن تذهب لمنعتك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد... الحديث»<sup>(١)</sup>. فينبغي أن ننبه لهذا الخطأ الكبير الذي بدأ ووقع في بعض الناس. نسأل الله السلامة والعافية.

\* ثالثاً: التبرك بقبر النبي ﷺ أو التمسح به أو السؤال عنده، وكذا غيره من القبور والآثار:

وكل ذلك من البدع التي كثرت وشاعت. فينبغي أن نحذر منها، وأن نحذر منها غيرنا، أما دعاء الرسول ﷺ وسؤاله الحاجات من دون الله تبارك وتعالى، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

ومما يدخل في ذلك: التبرك بالكعبة وجدرانها وستورها وبابها، والتمسح بها، فهذا كله لا يجوز، والوارد تقبيل الحجر الأسود ومسحه، وكذا مسح الركن اليماني عند الاستطاعة، وقد ورد التمسح بالحجر الأسود وتقبيله ومسحه والركن اليماني.

وكذلك - مما ينبغي الحذر منه - التبرك بالآثار المتعددة في مكة والمدينة، مثل: التبرك بغار ثور، أو غار حراء، أو بعض الأماكن في مدينة رسول الله ﷺ. وكل ذلك من الأمور المبتدعة التي يجب نحذر منها وأن نُحذر المسلمين منها.

(١) الصحابيَان هما أبو هريرة وأبو بصرة الغفاري - رضي الله عنهما -، وقصتهما رواها الطيالسي - رقم ١٣٤٨، وأحمد في مسنده ٦/٦ وإسنادها صحيح كما قال الشيخ الألباني في أحكام الجنائز ص ٢٨٧ - ط المعارف ١٤١٢ هـ. وانظر قصتين أيضاً لكل من ابن عمر، وأبو سعيد الخدري - رضي الله عنهما - في فهمهما لحديث النهي عن شد الرحال. في المصدر السابق ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

\* رابعاً: ومن البدع المتعلقة بالقبور: قراءة الفاتحة على الميت عند زيارة القبور: وهذا لم يرد عن النبي ﷺ، وهو بدعة.

\* خامساً: ومن البدع التي بدأت تشيع: زيارة النساء للقبور: وزيارتهم للقبور لا تجوز؛ لأن النبي ﷺ: «لعن زائرات القبور» كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة<sup>(١)</sup>.

\* سادساً: ومن الأخطاء الشائعة الحلف والقسم بغير الله تعالى، ولذلك صور متعددة منها:

الحلف بالنبي أو بجاهه، وقول بعضهم، وحياة أبوك، وقول بعضهم: وحياتي أو وحياتك، وقول بعضهم: بشرفي، والحلف بالطلاق وهو مشهور حتى صار معظماً أشد من تعظيم الحلف بالله. فهذا كله لا يجوز وهي من الشرك الأصغر، وقد ترقى إلى الأكبر، فينبغي الانتباه إلى ذلك.

\* سابعاً: ومن ذلك الاستغاثة والاستجارة بغير الله تعالى:

وأعظم صور ذلك التعلق بالقبور والأولياء والاستغاثة بهم عند الشدائد من دون الله تعالى. وكذلك الاستعانة بالجن ودعائهم.

وهناك صور أخرى لذلك منها: قول بعضهم: أنا في وجه النبي - وقول بعضهم: دخلت على الله وعليك، وقول بعضهم: سبعة شلوك (أي سبعة من الجن حملوك وطاروا بك) يدعو عليه. وقول بعضهم: الله لي في السماء وأنت لي في الأرض. وغيرها من الألفاظ الشركية، المقتضية التعلق بغير الله تعالى والاستعانة بالمخلوقين.

(١) كما روى الترمذي (١٠٥٦)، وابن ماجه (١٥٦٧)، وأحمد (٣٣٧/٢ - ٣٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وإسناده حسن. وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رواه أبو داود (٣٢٣)، والنسائي (٩٥/٤، ٩٦)، وأحمد (٢٢٩/١، ٢٨٧)، وله شاهد آخر من حديث حسان بن ثابت رضي الله عنه، وانظر: صحيح الجامع (٥١٠٩).

ثامناً: ومن الأخطاء الشائعة الذبح لغير الله تعالى، وهو من الشرك الأكبر لأن الذبح لغير الله تعالى عبادة وصرفها لغير الله تعالى شرك: وأشهر صور ذلك:

- أ - الذبح للقبور والأولياء والتقرب إليهم بها، وسواء كان ذلك عن طريق وصايا الأموات بالذبح لهم، أو بالندور عند شفاء مريض أو كان ذلك تطوعاً من المتعلقين بهم، فهذا كله شرك ولا يجوز.
- ب - الذبح للجن تقرباً إليهم من قبل السحرة أو من يطيعهم من الجهال الذين يأتون إليهم طلباً للشفاء من هؤلاء السحرة المشعوذين، فهذا كله حرام وهو شرك لا يجوز.
- ج - الذبح عند بناء البيت ونثر دم الذبيحة على قواعد البناء عند تأسيسه، أو الذبح عند سكن البيت الجديد ونثر دمه على جدرانها من أجل حمايته من الجن. وهذا كله شرك ولا يجوز.

\* تاسعاً: ومن الأمور والبدع الشائعة المتعلقة بالشركيات ونحوها:

اعتقاد أن الرسول ﷺ نور، وهذا منتشر بين الصوفية وأتباعهم ومن تأثر بهم، ويعتقد هؤلاء أن النبي ﷺ نور إلهي تقلد في الأصلاب، ثم يحتجون على ذلك بقصة موضوعة مكذوبة وردت في سيرة ابن هشام خلاصتها: أن عبد الله والد رسول الله ﷺ كان في جبينه نور، ثم تقول القصة: أن بعضاً من البغايا في مكة أرادت لنفسها فأبى عليها، ثم أنه دخل على زوجته آمنة، فلما أتاها لقيته تلك المرأة البغي بعد أيام فدعاها لنفسها فقالت: لا أريدك. قال لها: ولم؟ قالت: لأنني كنت رأيت على جبينك نوراً، فأردت أن يكون هذا النور في وأن النور قد زال الآن!!!!

فيزعم هؤلاء أن الرسول ﷺ نور تقلب في الأصلاب، وأنه كان في جبين عبد الله والد رسول الله ﷺ، ثم انتقل هذا النور إلى بطن أمه آمنة، ثم خرج إلى الدنيا!!

ونقول: هذا كله غير صحيح، بل إن النبي ﷺ بشرٌ ولد كما يُولد الأطفال. وأما قول الصوفية في رسول الله ﷺ أنه نور، فهذا القول شبيه بقول النصارى في المسيح، حتى عبده، وقد أدى بهؤلاء الصوفية إلى عبادة رسول الله ﷺ ودعائه من دون الله والزمع بأنه يحضر بنفسه الموالد... وكل ذلك من الباطل.

فيا أيها الناس: احذروا هذه البدع التي نخشى أن تغزونا، ونقول: إن ما يتعلق برسول الله ﷺ من حقوق معروفة، والواجب طاعته ﷺ ومحبته وإتباعه بلا إفراط ولا تفريط، فقولوا: عبد الله ورسوله، كما قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»<sup>(١)</sup>. وهذا هو المنهج الوسط الجمع بين العبودية التي لا ترفعه فوق منزلته، والرسالة التي تحفظ له حقوقه الكثيرة وليس هذا موطن تفصيل هذه المسألة.

\* عاشراً: ومن الأمور الخطيرة والشائعة والتي يجب الانتباه إليها:

الاستهزاء بالدين، وبالملتزمين، وبشعائر الإسلام؛ كاللحية أو الصلاة أو غير ذلك من الشعائر. ومن المؤسف جداً أن هذا شاع وانتشر بين كثير من الناس، وهذا باب خطير جداً قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر إذ الاستهزاء بالله أو بالإسلام، أو بشريعة من الشرائع كفر بالله تبارك وتعالى، والله تعالى يقول عن أولئك الذين سخرُوا من رسول الله ﷺ وأصحابه: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآبِإِلَهِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَقْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) كما ورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجه: البخاري في الأنبياء (٣٤٤٥)، وفي المحاربيين (٦٨٣٠)، باب: رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت. (في الفتح).

(٢) سورة التوبة، ٦٥، ٦٦.

فيا أيها الناس: احذروا من هذا حذراً شديداً، فإن الاستهزاء بالدين كفر، ولو كان على سبيل المزاح أو إضحاك القوم.

أما بالنسبة للاستهزاء بالملتزمين بالدين، فإنه من مزلق خطير؛ لأنه يُخشى أن يكون لكراهيته لما التزم به من شعائر الإسلام.

ومن ثم نقول: إن من استهزأ بأحد الملتزمين لأجل ما تمثل به من شريعة، فإن هذا استهزاء بالشريعة. والاستهزاء بالشريعة كفر. أما إذا استهزأ بأشخاصهم، فهذا مزلق خطر يخشى على صاحبه.

## المجموعة الثالثة

### أخطاء تتعلق بالرقبي والتمايم ونحوها

\* أولاً: ما يتعلق بقراءة القرآن، فإن الأصل في القراءة على المريض وتعويذه بالآيات القرآنية والمعوذات الشرعية الجواز، لكن إذا أحاطت بالقراءة أمور أخرى مخالفة للشرع، تحولت من قراءة شرعية مشروعة إلى قراءة بدعية، فاختلاط الرجال بالنساء أو الاعتقاد بأن هذا القارئ نفسه يشفي وينفع، أو ما يقع من أمور أخرى مبتدعة أو محرمة، نقول: إن هذه الأمور قد تحول القراءة إلى قراءة منهي عنها، فينبغي الانتباه إلى ذلك.

\* ثانياً: التمايم من القرآن: ونقول: إن التميمة إذا كانت من خرز أو آلات معدنية أو غيرها، فهذه من التمايم المحرمة، والنبي ﷺ نهى عنها نهياً شديداً كما ورد في ذلك الأحاديث<sup>(١)</sup>.

أما إذا كانت التميمة من القرآن، كأن يأتي بعض الناس إلى آيات من القرآن الكريم أو أحاديث من أحاديث النبي ﷺ ويكتبها ويعلقها على صدر المريض لشفائه أو على صدر صحيح سليم لحفظه ودفن الأذى عنه، وقد تعلق على بيت وسيارة ونحو ذلك، فهذه اختلف في جوازها.

ونحن نقول: - إن الصحيح أن هذه الأمور لا تجوز؛ لعدة أمور:

أ - أن هذه بدعة لم تكن معروفة لدى أصحاب رسول الله ﷺ.

ب - أنها تؤدي إلى التمايم المحرمة؛ لأن من تساهل فيها تساهل في غيرها من التمايم التي اتفق العلماء على تحريمها.

(١) كما ورد في حديث: «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق وديعة فلا ودع الله له»، حديث حسن أخرجه: الإمام أحمد (٤/١٥٤)، وابن حبان (١٤١٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/٣٢٥)، وغيرها.

ج - إن هذا يؤدي إلى امتهان القرآن ودخوله في دورات المياه، وقد يصله البول أحياناً، وخاصة عند الأطفال، فينبغي أن نعلم حكم ذلك، وأن نبتعد عنه.  
\* ثالثاً: ومن الأخطاء الشائعة: قول الإنسان بعد حدوث أمر يكرهه: لو أنني فعلت كذا لكان كذا وكذا. فهذا الاعتراض محرم؛ لأنه اعتراض على القدر، والنبى ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل. فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»<sup>(١)</sup>.

فهذا التحسر عند فوات بعض الأمور خطأ شائع فيجب منعه لأنه اعتراض على قدر الله تبارك وتعالى.

وقد يسأل سائل ويقول: هل معنى ذلك أن استخدام [لو] في جميع الأمور ممنوع؟. نقول: الجواب فيه تفصيل:

أ - إذا قصد بـ (لو) مجرد الخبر مثل أن يقول: لو أتيتني لأكرمك، أو لو علمت بوجودك لزرتك، فنقول: هذا جائز لأنه من باب الإخبار.

ب - إذا قصد به التمني في أمر مشروع، كأن يقول: لو كان عندي قدرة لحججت أو لو كان عندي مال لتصدقت به، مثل الرجلين اللذين أخبر عنهما النبي ﷺ في حديثه المشهور: إنما الدنيا لأربعة نفر، فإنه ذكر رجلين: رجلاً أتاه الله مالاً فهو ينفق في سبيل الله، ورجلاً لم يؤته مالاً لكنه يقول: لو كان لي مثل مال فلان لفعلت مثل فعله، قال ﷺ: «فهما في الأجر سواء»<sup>(٢)</sup>.

فهذا في أمر مشروع فهو مشروع مندوب إليه، وأيضاً مثل فعل النبي ﷺ لما ساق الهدي في حجته وبقي قارناً - عليه الصلاة والسلام - ولما سأله أحد

(١) رواه مسلم - كتاب القدر - (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٢٦)، وأحمد (٢٣٠/٤)، وهو حديث صحيح من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه: انظر صحيح الجامع (٣٠٢٤).

الناس عندما أمر الناس بالتمتع وقالوا له: وأنت يا رسول الله؟! قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعلتها عمرة»<sup>(١)</sup> فهذا من التمني في أمر مشروع.

ج - أن يتحسر على ما مضى ووقع وقُدِّر، فهذا هو المنهي عنه، الذي سبق بيانه.

\* رابعاً: من الأخطاء الشائعة التي يجب الانتباه إليها: التشاؤم بشهر صفر، وهذا منتشر، حتى إن بعض الناس لا يتزوجون في هذا الشهر والنبي ﷺ قال في الحديث الصحيح: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»<sup>(٢)</sup>. وصفر، المقصود به عند كثير من الشراح: شهر صفر. وهذا هو الراجح، فلا يجوز التشاؤم بهذا الشهر، بل هذا الشهر مثل غيره من الشهور نتزوج فيه ونسافر فيه، ولا نشاءم منه.

\* خامساً: ومن الأخطاء الشائعة: التفاؤل من المصحف أو التشاؤم فيه. وذلك بأن يفتح المصحف فيقرأ أول آية من الصفحة فيه، فإذا قرأ آية فيها خير تفاؤل، وإذا قرأ آية فيها عذاب أو نحو ذلك تشائم. ونقول: إن هذا لا ينبغي، وقد نهى عنه كثير من العلماء.

\* سادساً: ومن الأخطاء الشائعة: التعلق بالأسباب من دون الله تبارك وتعالى، فكثير من الناس تعلق بالأسباب في حمايته أو في رزقه ونحو ذلك وغفل عنه ربه تعالى وهذا له أمثلة:

أ - التعلق بالأسباب في وقت الخوف الشديد، والظن بأن هذه الأسباب

(١) رواه البخاري (١٦٥١، ٧٢٢٩)، ومسلم (١٣٠/٢، ١٢١٦).

(٢) رواه البخاري (٥٧٥٧)، ومسلم (٢٢٢٠)، والرواية الثانية رواها مسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بزيادة: «ولا نوء» ومن حديث جابر رضي الله عنه (١٠٧/٢٢٢٠) بزيادة قول «ولا نوء».

تحميه . ومعلوم أن الأخذ بالأسباب أمر جائز، ولكن التعلق بها من دون الله تبارك وتعالى هو المنهي عنه.

ب - تعلق الموظف بالوظيفة وظنه أنها هي وسيلة الرزق الوحيدة، وهذا أيضاً تعلق غير صحيح، بل الوظيفة ما هي إلا وسيلة من الوسائل فقط، أما طرائق الرزق فكثيرة ومتنوعة .

ج - ظنّ بعض الناس أن تحصينه لبيته أو نحو ذلك يحميه من العدو، ونقول: إن هذا أيضاً من الأسباب فقط، فينبغي تعلق القلب - مع فعلها - بالله تعالى مسبب الأسباب الذي بيده ملكوت كل شيء.

أما التعلق بالأسباب وحدها دون الله فهذا من الأمور التي لا تجوز، وعلى هذا فالتعلق بالأسباب له حالات:

الحالة الأولى: أن ينظر إلى الأسباب الصحيحة التي أوجدها الله تبارك وتعالى في هذه الحياة، فإذا نظر إليها مع اعتماده في الأصل على الله تبارك وتعالى واعتقاده أن فاعل الأسباب والمسببات هو الله، وأن مشيئة الله تبارك وتعالى نافذة، فهذا لا شيء فيه، فإن الإنسان يفعل ما في وسعه من الأسباب، فيغلق الباب، ويحصن البيت، لكن مع اعتماده وتوكله على الله تبارك وتعالى.

الحالة الثانية: أن يتعلق قلبه بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، مثل ظنّ البعض أن أصحاب القبور قد يشفون المريض أو يقضون الحاجات أو نحو ذلك. فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

الحالة الثالثة: أن يعتمد على سبب شرعي صحيح، لكنه يغفل عن مسبب ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى، فهذا فيه نوع شرك لكنه لا يخرج من الملة. والواجب الحذر منه.

\* سابعاً: ومن الأخطاء الشائعة: ظنّ بعض الناس أنه لا حاجة إلى الدعاء، فيقول: ما دام الأمر مقداراً، فلا حاجة إلى الدعاء. فنقول: إن هذا خطأ

منتشر، فإن الدعاء من جملة الأسباب، والنبي ﷺ قال: «لا يرد القدر إلا الدعاء»<sup>(١)</sup>.

ومعناه: أن الدعاء من جملة الأسباب، فقد يرد الله عن العبد مصيبة بسبب الدعاء، وقد يجلب له خير من ولد أو رزق بسبب الدعاء، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح «ما من عبد يدعو بغير إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله إحدى ثلاث خصال: إما أن يستجيب دعاءه، وإما أن يرد عنه من الشر مثله، وإما أن يدخر له ذلك عند الله تبارك وتعالى» قالوا يا رسول الله! إذا نكث الدعاء؟ قال ﷺ: «الله أكثر»<sup>(٢)</sup>.

إذاً الدعاء عبادة، ونحن مأمورون بالدعاء، وهو من جملة الأسباب فإذا أتى إنسان وقال: إذا كان المكتوب سيأتي دعوت أو لم أدع، نقول: إن دعائك أيضاً مقدر ومكتوب.

فإذا كنت قد أمرت به، فادع الله سبحانه وتعالى، فإن الله تبارك وتعالى قد يكون قد قدر أن يزيل عنك تلك المصيبة أو يجلب لك ذلك الخير بسبب الدعاء، فينبغي للعبد أن يعلم ذلك، وأن يدعو الله، وأن يكثر من الدعاء، وأن يعلم أنه لا يخسر أبداً في الدعاء، والدعاء أيضاً عبادة وقربة إلى الله كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه، المقدمة رقم (٧٩)، وأحمد (٣٣٧/٥، ٣٨٠). وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٦٨) وأخرجه من حديث أبي سعيد، وأحمد (١٨/٣)، وصححه الحاكم (٢٩٣/١)، ووافقه الذهبي وهو كما قال، وفي الباب عن جابر رضي الله عنه عند الترمذي (٣٣٧٨).

(٣) سورة غافر: ٦٠.

\* ثامناً : ومن الأخطاء الشائعة أيضاً : الخوف الشديد من العين ، ونحن نقول : إن هذا منتشر حتى إن بعض الناس صار يأخذ من أثر كل من زاره ، وبعض الناس تحول عندهم إلى وسوسة بحيث إنه صار يختفي من أعين الناس أو يخفي أولاده من أعين الناس خوفاً من العين ، هذا من ضعف التوكل على الله سبحانه وتعالى ، بل إن بعض الناس إذا جاءه أحد وهو يأكل طعاماً رمى قطعة من الطعام في الأرض ظاناً أن ذلك من أجل العين ، وهذا كلها من الأخطاء الشائعة.

لكن بقي أن نبين أمرين فيما يتعلق بالعين :

أحدهما : أن «العين حق»<sup>(١)</sup> كما ثبت في الحديث الصحيح المتفق عليه ، لكن العين لا ترد القدر ولا تسببه ، كما قد يتوهم البعض ممن يغلو في الخوف منها ، وقد ثبت في إحدى روايات هذا الحديث قوله ﷺ : «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»<sup>(٢)</sup>.

الثاني : هناك رقية شرعية من العين ، منها القراءة ، كما قال ﷺ : «لا رقية إلا من عين أو حمة»<sup>(٣)</sup>. ومنها أيضاً : الأخذ من الآثار بالاستغسال من أعضائه ... ونحو ذلك أما التعدي في ذلك بحيث يصل إلى الأخذ من بوله أو نحو ذلك ، فنقول : إن هذا ليس له أصل . أما عن رمي قطعة من الأكل ونحوه ، فنقول : إن هذا باطل ، ولا دليل عليه ، بل هو إتلاف للطعام بلا دليل ، وهو وسوسة ينبغي أن يتعد العبد عنها.

(١) رواه البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧).

(٢) رواه مسلم كتاب السلام ورقمه (٢٨٨).

(٣) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

## المجموعة الرابعة

## أخطاء تتعلق بالألفاظ ونحوها

أولاً: شكوى الزمان، وسبّ الدهر. وهذا يكثر عند الشعراء، وعند غيرهم. حتى إن بعض الناس يقول: تسلط علينا الدهر، وبعضهم يقول: الزمان غدار... ونحو ذلك من العبارات المنهي عنها.

ولا يستثنى من ذلك إلا ما جاء على سبيل الإخبار، ومن ثم نقول: إن هذا الأمر يحتاج إلى تفصيل وبيان:

أ - فإذا جاء الأمر على طريقة الإخبار المحض مثل أن يقول الإنسان: هذا اليوم حار، أو يقول: اليوم بارد برودة شديدة، أو نحو ذلك. فنقول: إن هذا من باب الخبر وهو جائز مثل قول لوط - عليه الصلاة والسلام - : ﴿...هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (١).

ب - أن يسبّ الدهر أو الزمان على أن الدهر هو الفاعل لهذه المصائب أو أن الزمان هو الفاعل لها، فنقول: إن هذا قد يرتفع بصاحبه إلى نوع من الشرك الأكبر.

ج - أن يسبّ الزمن أو الدهر مع اعتقاده أن الفاعل هو الله تبارك وتعالى: فنقول: إن هذا منهي عنه، والنبي ﷺ قال - كما في الحديث القدسي - : «يقول الله تعالى: يؤذيني بني آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار» (٢). فينبغي أن نتعد عن هذه الألفاظ.

(١) سورة هود: ٧٧.

(٢) رواه البخاري (٤٨٢٦)، و (٦١٨١)، باب: لا تسبوا الدهر، والتوحيد (٧٤١١). ومسلم في الأدب (٢٢٤٦/٢)، باب النهي عن سبّ الدهر، وفي رواية ثانية عند مسلم (٢٢٤٦/٥): «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر».

ثانياً: المقالة المشهورة: إن المادة لا تفني ولا تستحدث وهذه نجدها عند طلاب المدارس في دروس الكيمياء والفيزياء ونحوها. ونحن نقول: إن هذا باطل، بل إن الموجودات كلها كانت عدماً، ثم أوجدها الله سبحانه وتعالى. فالقول بأنها لا تستحدث، غير صحيح. بل الماديات كلها كانت عدماً ثم أحدثها الله.

ثم نقول أيضاً: إنها قابلة للفناء والعدم؛ لأن كل ما قبل الحدوث فهو قابل للعدم، ومن هنا نقول: إن هذه المخلوقات ستفنى، ثم يحييها الله من جديد ويبعثها مرة أخرى، أما بقاء الجنة ونعيمها وأهلها ودوامهم أبد الأبد، وبقاء النار وعذابها وأهلها أبد الأبد، فإننا نقول: ليس دوامها لذاتها، وإنما دوامها بإدانة الله سبحانه وتعالى لها. أما ما سوى الله سبحانه وتعالى فهو قابل للحدوث وللعدم.

ثالثاً: من الأخطاء الشائعة في الألفاظ، أنك إذا نصحت أحداً من الناس بشيء من السنة لا سيما السمات الظاهري، مثل إطلاق اللحية أو تقصير الثوب ونحوها، فإنه يبادرك بقوله، هذا ليس ضرورياً؛ لأن «التقوى هنا». ونقول: إن هذه كلمة حق أريد بها باطل؛ لأن النبي ﷺ هو الذي قال هذه، لكن متى قالها؟ قالها ﷺ وهو يُعَلِّم أصحابه التمسك بأداب الإسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجسوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ولا يكذبه» ثم قال: «التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»<sup>(١)</sup>. أين أورد النبي ﷺ هذه الكلمة؟ أورها في أمور تتعلق

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب (٦٦٤)، وكتاب النكاح (٥١٤٣) ومسلم، كتاب البر (٢٥٦٤) واللفظ لمسلم.

بالمعاملة، ولو كان الأمر كما يقول هذا الإنسان المنصوح الذي لا يمثل النصيحة ولا يريد أن يعمل بالسنة. لو كان الأمر كما يزعم من أن «التقوى هاهنا»، يعني في قلبه، وأنها موجودة، لخضعت جوارحه ولتحولت التقوى إلى عمل كما تحولت تقوى المؤمنين الصالحين الصادقين إلى عمل. فانتبه يا أخي ولا تقل هذه الكلمة التي تريد بها عدم تطبيق الأمور الشرعية المطلوبة منك، فإنه يخشى عليك من إطلاق مثل هذه العبارات.

رابعاً: اشتهار بعض الأسماء التي ينبغي تغييرها وتبديلها؟ وسنذكر نماذج منها، مثل: اسم إيمان وفتنة وأبرار وملاك ونحوها. ونقول: إن هذه الأسماء التي فيها تزكية، ينبغي تغييرها، فإن النبي ﷺ ثبت عنه كما في الصحيحين وغيرهما أنه غير اسم برة فسماها مرة زينب<sup>(١)</sup> ومرة سماها جويرية<sup>(٢)</sup> فإيمان فيه تزكية أشد من برة فينبغي تغيير مثل هذا الاسم.

خامساً: ومن الأخطاء المشهورة: قول بعضهم حينما يجيب من يطرق عليه أو يتصل به بالهاتف ويرفع السماعه بقوله: خير يا طير. وهذه منتشرة عند كثير من الناس؛ لأن قول: خير يا طير من باب التطير، ومعلوم أن أهل الجاهلية، كان عندهم التطير بالطيور، وكان التطير بها على أنواع منها: إذا وقعت على بيته بومة تطير منها، وبعضهم إذا أراد أن يسافر وجاءت الطيور عن يمينه مضى، وإذا جاءت عن يساره لم يسافر. فنقول: إن مثل هذه الكلمة مبنية على مثل هذا فينبغي الابتعاد عنها.

سادساً: ومن الأخطاء أيضاً: الحلف بغير الله تبارك وتعالى، فينبغي أن نتجنبه؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وقال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو

(١) رواه البخاري في الأدب، باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه. (٦١٩٢) ومسلم في الأدب (٢١٤١)

(٢) رواه مسلم في الأدب (٢١٤٠).

أشرك»<sup>(١)</sup>. ومن الحلف بغير الله: الحلف بالذمة، والحلف بالنبي، والحلف بحياة الإنسان، والحلف بشرفه. ونقول: فهذه منكرات يجب الابتعاد عنها.

سابعاً: هناك أيضاً ألفاظ أخرى منتشرة، منها قول بعضهم في الدعاء لبعض: أدام الله أيامك. ونقول: هذا لا يجوز؛ لأنه لا يوجد أحد يدوم فإذا ما أردت الدعاء له بذلك، فقل أطل الله بقاءك على طاعته، لكن أن تقول: أدام الله أيامك فهو خطأ لأنه لا يوجد أحد يدوم إلا الله تعالى الحي القيوم.

ثامناً: من العبارات الشائعة أن بعض الناس لما يسأل عن حاله يقول: الله يسأل عن حالك؟ فهذه لا تجوز؛ لأنها توحي أن الله لا يعلم عن حاله فيسأل عنه، فينبغي الابتعاد عن هذا.

تاسعاً: ومن العبارات أيضاً: قول بعضهم: شاءت الأقدار، أو شاءت الظروف أن يحصل كذا وكذا، ونحن نقول: هذا لا يجوز؛ لأن الظروف أو الأقدار لا تشاء، وإنما المشيئة والأقدار بيد الله تبارك وتعالى.

عاشراً: ومن العبارات أيضاً قول بعضهم لضيفه: (وجه الله إلا تأكل) ونقول: هذا لا يجوز؛ لأن الاستشفاع بالله على المخلوق، ولا يجوز الاستشفاع بالله على المخلوق فإن الله سبحانه وتعالى أعظم من أن يستشفع به على مخلوق، فلا بد من الانتباه لهذا.

الحادي عشر: ومن الأخطاء أيضاً: ما نشاهده أحياناً في بعض البرامج المدرسية من أنواع التسلية والضحك في أمثلة، الدعاء مثل تندر بعضهم وقوله: إن بعض المدرسين يدعو الله على حسب تخصصه في مادته، فيأتي مدرس اللغة العربية ويقول: اللهم اجعلني فاعلاً للخير منتصباً له... إلى آخره. ويأتي مدرس الرياضيات ويقول: اجعلني مستقيماً ولا تجعلني في زاوية الضلال... إلى آخر

(١) رواه أحمد (٣٤/٢، ٨٦)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٠٤)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

العبارات ويأتي مدرس الجيولوجيا ويقول: اللهم اجعلني صخرة... إلى آخر العبارات. وينبغي أن نعلم: أن دعاء الله سبحانه وتعالى قرابة إلى الله وخضوع وتذلل وهو مقام خوف ورجاء، فالهزل فيه لا يناسب هذا المقام.

الثاني عشر: ومن البدع أيضاً: قول بعضهم لا يجوز السؤال بـ«أين الله؟». وينكر على السائل والمعلم والسؤال بهذا، مع العلم: إن رسول الله ﷺ سأل الجارية وقال لها: «أين الله؟»، قالت: في السماء<sup>(١)</sup>. وهؤلاء الذين ينكرون على السائل سؤاله بأين الله، إنما يفعلون ذلك بناءً على مذهبهم في عدم الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى فوق خلقه، حيث يقولون: إن الله في كل مكان. وهذه بدعة وضلال ابتدعتها أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الأشعرية والماتردية، وقد دلت عليه الأدلة الكثيرة جداً على أن الله تعالى - في السماء على العرش استوى بائن من خلقه تبارك وتعالى، ومن هنا فلا يجوز الإنكار على من سأل مثل هذا السؤال أو بين هذا البيان؛ لأنها من الأمور الفطرية التي فطر عليها الجميع، كيف وقد دلت عليها الأدلة الشرعية والعقلية؟

الثالث عشر: وهناك أخطاء - قولية - شائعة نشير إليها باختصار، فمنها:

١ - قول بعضهم لمن قام بنجدتهم: فلان جاء أسرع من فرج الله. نعوذ بالله من هذه المقالة الشنيعة.

٢ - قول بعضهم لمن ظلمه: الله يظلمك، فهذا لا يجوز لأن الله ليس بظلام للعبيد.

٣ - ومثله قول بعضهم: خان الله من يخون. فهذا لا يجوز.

٤ - قول بعضهم إذا سمع أو أخبر عن شخص أنه مات: ربنا افتكره.

٥ - قول بعضهم إذا أصيب بمصيبة: ماذا فعلت يا ربي؟ فهذا اعتراض على الله وعلى أقداره.

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد (٧٣٥).

٦ - قول بعضهم إذا دعيت إلى الأكل وهم جلوس عليه : يأكل معكم الرحمن .  
فهذا خطأ .

هذه خلاصات سريعة لأنواع من الأخطاء الشائعة في العقيدة . أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلني وإياكم من الهداة المهتدين ، وأن يبصرنا بالعقيدة الصحيحة ، وأن يدلّنا عليها دائماً ، وأن يبعد عنا كل عقيدة شائنة أو كل تصرف أو كل لفظ لا يرضي الله سبحانه وتعالى . اللهم إنا نسألك الهدى والتقوى ، اللهم إنا نسألك الإيمان الصحيح ، والعقيدة الصحيحة ، اللهم إنا نسألك الثبات على ذلك إلى أن نلقاك .

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

## الأسئلة

س ١ : ما هو الفرق بين الشرك والكفر؟

الجواب: من العلماء من لم يفرق بينهما، ومنهم من فرق بينهما بأن جعل بينهم عموماً وخصوصاً، فكل شرك فهو كفر، لكن ليس كل كفر شركاً؛ لأن الشرك معناه: اعتقاد شريك مع الله في ربوبيته أو ألوهيته. أما الكفر فقد يكون بالشرك وقد يكون بالجحود وغيره. لذا نقول: إن الشرك أخص، والكفر أعم.

س ٢ : من طرق حل السحر: معرفة مكان السحر. فكيف نعرف مكان السحر؟

الجواب: نقول: إذا أمكن معرفته بطريقة شرعية ليس فيها منكر، فإنه في هذه الحالة يسعى في إزالة هذا السحر إما بعلم يعلم ذلك فإن رسول الله ﷺ قال في الحديث الصحيح: «ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء»<sup>(١)</sup>. فيجب أن نؤمن بأن هذا السحر له شفاء، وكما أشرنا في أثناء الرسالة، فإن الأدعية الشرعية مع اليقين الصادق، مزيلة - بإذن الله تبارك وتعالى - لهذا السحر، والنبي ﷺ لما سحره اليهود أزال الله سحره بالمعوذتين، أما معرفة مكان السحر عن طريق السحرة والكهان فلا يجوز.

س ٣ : لدينا مجموعة من الرافضة المدرسين ونحن نتقابل معهم ونخاطبهم ونحن

نملك دعوتهم، فما رأيكم أن نكلمهم وأن نسلم عليهم؟ وما الرأي في

التعامل معهم؟

الجواب: نقول: إذا كان هؤلاء يقولون: نحن رافضة جعفرية ونعتقد اعتقاد

الجعفرية، فإن هؤلاء تنتهي بهم مقالاتهم إلى الكفر بالله، فيعاملون معاملة

الكفار، فلا تبدأ وهم بالسلام. أما بالنسبة لدعوتهم، فإن الكفار وغير الكفار

يُدعون إلى الله سبحانه وتعالى، ونقول: إذا أمكن دعوة هؤلاء، فإن من دعاهم

(١) رواه البخاري، كتاب الطب (٥٦٧٨)، ومسنَد الإمام أحمد (١/٣٧٧، ٤٤٣).

إلى الله تبارك وتعالى فهو مأجور وأجره عظيم إن شاء الله تعالى .  
س ٤ : ما رأيكم فيمن يصلي في منطقة أخرى ، كمن يصلي مع الشيخ الفلاني ؛  
لأن صوته حسن؟

الجواب : الذي يظهر لي والله أعلم ، أن هذا ليس فيه شيء ، ولكن يخشى فيه من الفتنة ، علماً بأن السفر لطلب العلم أو السفر للتجارة . من الأمور المعروفة بأنها جائزة ، بل مشروعة . وتعرفون قصة الرجل الذي سافر ليزور أخاه في الله فغفر الله سبحانه وتعالى له . فالأمور الشرعية يسافر لها الإنسان ، أما أن يسافر لمكان أو لمشهد أو لشخص لأجل تعظيمه هو ، فهذا هو الداخل في نهى النبي ﷺ حيث قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد »<sup>(١)</sup> .

س ٥ : هل يجوز شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ليس بقصد العبادة ولكن بقصد السياحة؟ والتمشي سواءً داخل المملكة أو خارجها؟

الجواب : إن الأصل في هذه الأشياء الجواز إذا لم يترتب عليها منكرات ، ولكنها ليست من صفات الناس الذين يحافظون على أوقاتهم . ولذا أقول : للذي يريد أن يسافر للسياحة ، لماذا لا تجعلها سفر دعوة و سياحة؟ فتكون مأجوراً على ذلك . أما أن يسافر الإنسان للسياحة لمجرد السياحة ، فإن المسلم عنده من المهام والواجبات الكثيرة ما يجب أن يقضي أوقاته فيها .

س ٦ : ما رأيكم في الذي يرفض الرقية الشرعية ويقول : إنه يريد أن يكون مع الذين يدخلون الجنة بلا حساب؟

الجواب : من كان عنده إيمان وتوكل على الله سبحانه وتعالى : فله ذلك . فإن النبي ﷺ ذكر من صفات هؤلاء «إنهم الذين لا يسترقون»<sup>(٢)</sup> . أي : لا يطلبون من أحد أن يرقئهم ، فمن استطاع ذلك وكان عنده قوة إيمان وصبر

(١) حديث صحيح : سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الأنبياء (٣٤١٠) ، وكتاب الطب (٥٧٥) . ومسلم ، كتاب الإيمان (٢٢٠) .

واحتساب ورضا بقضاء الله وقدره، فله أن يفعل، وهو من تمام التوكل، مع العلم بأن الرقية جائزة. أما إذا كان الإنسان ممن إذا أصابه مرض أو نحوه تحسر واعترض على قدر الله سبحانه وتعالى، فالأولى له أن يطلب الرقى الشرعية، والطب وهما جائزان مشروعان.

س٧: يقول: أريد تعلم العقيدة؟ فما هي الكتب التي تنصحون بها؟

الجواب: الكتب التي ننصح بها كثيرة، لكن نذكر منها نماذج، أولها: كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب مع شرحه فتح المجيد أو غيره من الشروح، وهذا الكتاب ينبغي أن يدرس في كل مسجد حتى نعلم أولادنا ونساءنا العقيدة، ومن المؤسف أننا كثيراً ما نقول: نحن عندنا عقيدة، وعقيدتنا سليمة، ثم نجد الشكوك الكثيرة والمخالفات العقديّة المتنوعة، فالواجب علينا أن نحرص على تعليم الناس هذه العقيدة وتفهمهم إياها حتى ولو قلنا: إن عقيدتنا سليمة فهي تحتاج إلى إصلاح وتعليم وتذكير. ومن الكتب أيضاً: كشف الشبهات. ومن الكتب أيضاً: أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ حكيمي، وهو كتاب جميل جداً أنصح بقراءته. وقد طبع على هيئة ٢٠٠ سؤال في العقيدة. وشرح العقيدة الطحاوية ... وغيرها من الكتب وقد ذكرتها بالتدرج حسب المستويات.

س٨: ما رأيك فيمن يقول: إن تعلم علم العقيدة غير مهم لأنه لا يوجد عندنا قبور؟

الجواب: نقول: سامحك الله يا من تقول هذا، هل من شروط الشريكات أن توجد القبور؟ إن دعاء غير الله سبحانه وتعالى يوجد ولا يوجد قبور ثم إن المخالفات العقديّة كثيرة جداً وما محاضرة اليوم إلا لبيان جانب منها، فلماذا لا نعلم الناس العقيدة الصحيحة، ونحصنهم من الشريكات والبدع؟ خاصة وأن كثيراً ممن يعيش في هذه البلاد وافدون من بلاد كثيرة، فيجب تعليم الناس جميعاً العقيدة وتدرّسهم إياها وتحصين الجميع بهذه العقيدة الصافية.

س ٩ : نسمع من البعض : أن الله في كل مكان تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . فماذا ترد عليهم ، وقد وضحنا لهم أن الله مستو على عرشه فوق السماوات وهو مصرّ على رأيه؟

الجواب : مثل هذا ينبغي مناقشته بهدوء وأن تعطيه بعض الكتب التي ناقشت هذه المسألة مثل ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الحموية ، فإنه مفيد جداً لمثل هذا الرجل . وقل له : يا أخي اقرأ هذا الكتاب ، اقرأه قراءة المتفهم المتبصّر ، تجد الحق إن شاء الله سبحانه وتعالى ، وذكره بالأدلة الأخرى الكثيرة ، وذكره بأحاديث رسول الله ﷺ ، وهي متعددة وذكره أيضاً بدلائل الفطرة والعقول على العلو . لعل الله سبحانه وتعالى أن يرجعه إلى الصواب .

س ١٠ : هل يجوز الغسل من الجنابة في دورات المياه من دون أن يذكر اسم الله؟  
الجواب : نقول : نعم يجوز الغسل داخل دورات المياه ، أما كيف يذكر الله فللعلماء فيه قولان : منهم من يقول : يذكر الله ولو داخل الدورة . ومن العلماء من يقول : لا يجوز ذكر الله داخل الدورة . فنقول لهذا : قبل أن تدخل الدورة للوضوء أو للغسل ، اذكر الله سبحانه وتعالى .

س ١١ : أنا شاب ملتزم والحمد لله ، والمشكلة أنني أحضر عمالاً كفاراً؟  
الجواب : يجب عليك التوبة إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن تتم لهؤلاء عقدهم ثم تُنهي عقدهم وتستبدل بهم مسلمين ، فإن الله سبحانه وتعالى سيبارك لك في تجارتك . أعلم أن ريباً تأخذه من خير وبطريق شرعي أفضل لك من ملايين تأخذها بطرق محرّمة . خاصة وأن النبي ﷺ نهى نهياً شديداً عن استقدام الكفار إلى جزيرة العرب ، وقال عليه الصلاة والسلام قبل موته وهو في مرض الموت : «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب»<sup>(١)</sup> . وقال : «لا يجتمع في جزيرة

(١) حديث صحيح : رواه البخاري (٣١٦٨) ، ومسلم (١٦٣٧) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

العرب دينان»<sup>(١)</sup>. ونحن نقول: لا يجوز استقدامهم بدون ضرورة، وهذا باب شر يتحمل وزره كل من فعله أو أقرّه، وكل من يستقدم العمال الكفار له نصيب من هذا الوزر فليتب إلى الله كل من فعل ذلك وليستغفر.

س١٢: كيف يحقق المسلم التوحيد حقاً؟ وما آثار علامات تحقيقه؟

الجواب: يحقق المسلم التوحيد بأنواع من عبادات الله سبحانه وتعالى، ومدارسة التوحيد، ومعرفة أسماء الله وصفاته، والمناهج الصحيحة، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتضرع إليه، والعبادة كلها تزيد التوحيد وتحققه. وأقول: إن من أعظم ما يحقق التوحيد، دراسة التوحيد على منهاج السلف الصالح. هذا من علامته ورأس تحقيقه، ثم يأتي بعد ذلك الأعمال الصالحة، والخلاصة أن تحقيقه يكون بالعلم الصحيح والعمل الخالص لله تعالى.

س١٣: كثير من المشعوذين يظهرون في مظهر ملتزم ويظهر لمن حوله أنه كذلك في هيئته ويسمعه قراءة بعض آيات القرآن كآية الكرسي، ونحوها. فلا يعرف الناس أنه مشعوذ أو لا. فهل هناك علامات وصفات يعرف بها المشعوذ يستطيع أن يلاحظها الرجل العادي أو العامي؟

الجواب: نعم هناك علامات: أول هذه العلامات: أن تعرف هل هو من أهل الصلاة أم لا.

ثاني هذه العلامات: أن تعرف هل هو من أهل العقيدة الصحيحة أم لا.

ثالث هذه العلامات: أن تنظر في تصرفاته، وهذه التصرفات منها ما هو تصرفات عقديّة، كأدعية غير شرعية أو استخدام وسائل السحرة والمشعوذين مثل طلب لباس المريض واسم أمه، أو يخبرك بأخبارك الخاصة. ونحو ذلك. أو تصرفات غير، مثل: لمس النساء، وعلامات أهل الباطل كثيرة.

(١) حديث صحيح، هو أحد الروايات للحديث السابق.

رابع هذه العلامات: كونه يتخذها تجارة ويشترط. فهذه بعض العلامات. والواجب على الإنسان أن يحرص مع الرقى الشرعية على التوبة من الذنوب والمعاصي على اليقين التام بالله بأنه هو الشافي وحده. والمسلم سواء كان هو المبتلى بالمرض أو أحد أقاربه وإخوانه الأفضل أن يرقى الإنسان نفسه بالمعوذات وآية الكرسي والفاتحة أو يرقى مريضه فلا يحتاج إلى استدعاء أحد لا يعرف هل هو على المنهج السليم أم لا. ومع التوكل على الله، وصدق اللجوء إليه سبحانه وتعالى، سيكون للرقية أثرها الطيب إن شاء الله تعالى.

س ١٤: ما رأيكم في قراءة حظك اليوم في الجريدة أو المجلة، مع عدم الاعتقاد بذلك؟

الجواب: أقول: التسلي بالقراءة فيها عبث وتضييع للأوقات فيما لا يفيد ولا يجدي. ولكن من يقرأ ويصدق أو ربما يدخل قلبه شيء، فلا يجوز وهو من كبائر الذنوب، بل من الشرك أن تدّعي علم الغيب أو أن تصدق أن هناك من يعلّمه غير الله. والواجب مقاطعة هذه الجرائد والمجلات التي تروج لمثل هذه الأمور التي تقدح في العقيدة.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى صحبه وسلّم أجمعين.

الرسالة الثامنة  
ظاهرة الهجوم  
على منهج السلف



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،  
 نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الهجوم على منهج السلف ومذهبهم ليس جديداً، بل هو قديم قدم نشوء  
 البدع والافتراق في هذه الأمة، حيث كانت كل طائفة ترى في مذهبها الحقّ  
 وتعادي من يخالفه، ولما كان السلف هم الوسط المخالفين لأهل الغلو  
 والجفاء والإفراط والتفريط، نالهم من كافة الطوائف المنحرفة ما نالهم،  
 وصبت عليهم كل فئة حادت عن الطريق المستقيم غضبها.

وكان ذلك - من فضل الله - سبباً في رسوخ الحق وعلوه ونشره، وفي رفعة  
 رجاله الحاملين للوائه وذبوع ذكرهم في الأمة وقبولهم عند الناس، مع ما لهم  
 عند ربهم من مزيد الأجر والحسنات وحسن الثواب.

والنبي ﷺ لما أخبر عن اتباع هذه الأمة من سبقها من الأمم وافتراقها كما  
 افتترقت؛ أمر باتباع ما كان عليه هو وأصحابه، وأمر باتباع سنة الخلفاء  
 الراشدين المهديين من بعده، وأمر بالعضّ عليها بالنواجذ، ونهى عن البدع  
 والمحدثات في الدين. وكل هذا لأجل خطورة مثل هذا الافتراق والبدع.

كما قال ﷺ: «فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بستتي  
 وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات  
 الأمور، فإن كلّ محدثة بدعة، وإنّ كل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup>.

ولما كانت كل طائفة تدعي أن مذهبها الحق، وأنه يقوم على دلائل الكتاب  
 والسنة أو على الأقل لا تعارضها؛ جاء الأمر باتباع سنته وما كان عليه ﷺ،

(١) أخرجه: أحمد (٣٧٣/٢٨)، رقم (١٧١٤٤)، والدارمي (١/٤٤-٤٥)، وأبو داود (٣/١٥-١٥)،  
 رقم (٤٦٠٧)، والترمذي (٥/٤٤)، رقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه (١/١٦)، رقم (٤٣).

بأُتباع أصحابه وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وفي هذا بيان لمسألة - قد يغفل عنها بعضهم - وبخاصة في الأزمنة المتأخرة، فيظن أنه ينبغي الرجوع إلى الكتاب والسنة دون الالتفات إلى ما وقع من افتراق في هذه الأمة ونشوء طوائف في كل زمن وعصر، وأن تجاوزها شرط لوحدة الأمة الإسلامية في دينها وعقيدها.

وهذا كلام طيب وحسن وهو أمنية كل مسلم، ولكن شرطه أن تتخلى كل فرقة وطائفة عن معتقداتها المنحرفة لترجع إلى ما جاء في الكتاب والسنة، دون تحريف أو تأويل أو إلحاد.

أما والواقع غير ذلك؛ فلا بد من تمييز منهج السلف عن مناهج غيرهم كما فعل الأئمة منذ عهد الصحابة - رضوان الله عليهم - وإلى يومنا، ولا بد من نشره والدفاع عنه والرد على المنحرفين وأهل البدع جميعاً، ونصحهم وأمرهم بالتوبة والرجوع إلى الله، وتحذير الأمة كلها من هذه البدع والضلالات، مع بيان العقيدة الصحيحة وشرحها وتوضيحها لهم، والردود والمناقشات بحسب أحوال هذه البدع وانتشارها وعموم خطرها.

#### والخلاصة:

١- أن النبي ﷺ أخبر عن تقليد هذه الأمة لغيرها وعن افتراقها، وقد وقع هذا فلا داعي لإنكار ما ورد في ذلك، وبخاصة ممن يريد جمعها بأي شكل وعلى أي منهج.

٢- أنه لا تعارض بين الشرع والقدر، كما قرر ذلك الأئمة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -، بل نؤمن بهما جميعاً، فنؤمن ونصدق ما جاءت به الأخبار من الافتراق في هذه الأمة، ونتبع الشرع في اجتنابها والإعراض عن بدعها وأُتباع ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته والقرون المفضلة.

أما من أراد أن يلغي الشرع بعد الافتراق أمراً قدرياً فنرضى بهذه الفرق ونقبلها، أو أراد أن يلغي القدر وينفي وجود هذا الافتراق لأن الله لا يحبه ولا يحبه رسوله ﷺ؛ فهذا من الخطأ البين الذي يجب أن يحذره الجميع، ولا سيما طلاب العلم.

٣- عقيدة السلف ومنهجهم باقيان إلى آخر الزمان كما أخبرنا رسول الله ﷺ في الحديث المشهور؛ أنه لا تزال طائفة من أمة باقية على الحق منصوره حتى يأتي أمر الله، تبارك وتعالى.

وهذا مع ما سبقت الإشارة إليه من الأمر باتباع أصحابه وسنة الخلفاء الراشدين؛ فيه الدلالة القاطعة على وجوب اتباع منهج السلف في كل وقت، ومنه وقتنا هذا في فتنه وعولمته ومتغيراته.

وقد عجبت لعبارة شيخ الإسلام ابن تيمية حين ذكر في أول العقيدة الواسطية ما يفيد هذا! حيث قال: «أما بعد؛ فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة»<sup>(١)</sup>، فقله: تنبيه للأمة في زمنه، وهو تنبيه لنا في هذه الأيام، مقتضاه أن الحق واحد باقٍ، لا يتغير ولا يتبدل.

٤- وعلى هذا، فما يجري في هذه الأيام من هجوم على منهج السلف هو جزء من سنة الله - تبارك وتعالى - في الصراع بين الحق والباطل، وهي سنة باقية ولا تتغير ولا تتبدل.

٥- والصراع قد يشتد في زمان دون زمان أو في مكان دون مكان، حسب قوة الباطل وحسب قيام أهل الحق بما أوجب الله عليهم، ولكن العاقبة للمتقين المتبعين لسنة نبيهم ﷺ - نسأل الله - تعالى - بمنه وكرمه أن يجعلنا منهم. وهذه الرسالة المختصرة جعلتها في ثلاثة أقسام:

(١) انظر: متن العقيدة الواسطية، ص ٢ .

- 
- القسم الأول: أسباب الهجوم على مذهب السلف.  
القسم الثاني: مظاهر الهجوم على منهج السلف.  
القسم الثالث: العلاج ووسائله.  
وأسأل الله أن ينفع بها.

## القسم الأول

### أسباب الهجوم على مذهب السلف

لقد عظمت الحملة في هذه الأيام على منهج السلف الصالح وعقيدتهم، واشتد أوارها إلى حدّ لم نعهده في زماننا المتأخر، وبخاصة في بلاد الحرمين (المملكة).

وأسباب ذلك معلومة لا تخفى، ولا بأس من أن نشير إليها باختصار من باب التذكير، ويمكن تقسيمها إلى أسباب عامة وأسباب خاصة:  
أولاً: الأسباب العامة:

- ١- سنة الله في الصراع بين الحق والباطل.
- ٢- أتباع الهوى.
- ٣- التباس الحق بالباطل لدى بعض الناس (فتن الشبهات).
- ٤- ضعف التقوى، وكثرة التفریط، وانتشار المنكرات (فتن الشهوات).
- ٥- الجهل، والخوض في مسائل الدين بلا علم.
- ٦- عدم القيام بالواجب من جانب بعض أهل العلم والدعوة.
- ٧- عداوة اليهود والنصارى والملحدّين والمنافقين والعلمانيين ورؤوس البدع للمسلمين عامة ولأهل السنة خاصة.
- ٨- العولمة ووسائل الإعلام والاتصال، التي أسهمت في نشر الباطل وفسوّه ودخوله إلى كافة بلاد المسلمين ومدنهم وقراهم وبيوتهم إلا ما عصم الله. (مع ملاحظة أن بعضها أسهم في نشر الخير والعقيدة الصحيحة والدفاع عنها).

ثانياً: الأسباب الخاصة:

١- تنامي ظاهرتي الإفراط والتفريط: فمن جهة، ظهور الغلو عند بعضهم وعدم ضبط مسائل الإيمان والكفر، وما ترتب على ذلك وغيره من وقوع التفجيرات التي أفرحت أعداء هذه العقيدة في داخل المملكة وخارجها. ومن جهة أخرى، ظهور التفريط عند البعض ممن تأثر بمذاهب المرجئة حتى أدخلوا بمسائل الإيمان وربما صحح بعضهم دين اليهود والنصارى والمشرّكين. ومن ذلك التفريط الخطير غلو العلمانيين في نشر مبادئهم الإلحادية، وحرّيمهم على ثوابت الدين وأصوله.

٢- الحرب العالمية الصليبية على الإسلام ركزت على عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، ولم تطل الحرب أهل البدع من الرافضة والصوفية ومن شاكلهم، وقد تركزت الحرب بشكل أخص على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وعلى هذه البلاد المنتسبة إليها، ولاسيما بعد أحداث نيويورك.

٣- ظهور العلمانيين والحدائين وأهل البدع - لأسباب معروفة - وعلو صوتهم في كثير من وسائل الإعلام، ومجاهرتهم بالكثير من أفكارهم دون رادع، مما شجعهم على المضيّ سريعاً في نشر أفكارهم ومذاهبهم.

٤- وجود عدد من المتكسبين والناكسين على أعقابهم - لأسباب كثيرة -، حيث حمل هؤلاء لواء الهجوم على العقيدة والشريعة وأصولهما وقواعد لعلم الشرعي المعروفة.

وقد استخدم العلمانيون والمفسدون بعض هؤلاء شرّاً استخدام، فروّجوا لهم في وسائل الإعلام، وكرروا وأعادوا وزادوا، وعملوا على تحويلهم إلى ظاهرة فكرية يحاربون بها دين الله عموماً وعقيدة السلف ومنهجهم خصوصاً.

٥ - ظهور المدرسة (العصرانية) - مدرسة أهل الأهواء - حيث تبنى بعض

أسس هذه المدرسة مَنْ قد ينتسب إلى العقيدة الصحيحة ممن تأثر بهذه المدرسة، فصار بعض هؤلاء يروجون لهذه المدرسة في بعض مقولاتها وأسسها.

وهذه المدرسة من أخطر المدارس على الإسلام، وقد أدرك هذا العلمانيون وأهل البدع المعروفون من الرافضة والصوفية ونحوهم، فوطدوا العلاقة مع هذه المدرسة وصاروا ينشرون فكرها، ويعلنون من شأن كل من تأثر بها أو تبنى بعض مقولاتها.

٦- تراجعُ بعض من كان ينتسب إلى عقيدة السلف من تبنيها، وفي المقابل صار يظهر الميل وأحياناً الانتساب إلى ما يخالفها؛ فهذا يظهر مذهب المعتزلة، وذاك يقول بمذهب الأشاعرة، وهذا يدعو إلى التصوف ويراه حقاً ... إلخ.



## القسم الثاني

### مظاهر الهجوم على منهج السلف:

من خلال ما سبق ذكره من الأسباب الخاصة والعامّة؛ تظهر جملة من مظاهر الهجوم على عقيدة السلف ومنهجهم - رحمهم الله - بشكل عام. ويمكن أن تذكر هنا جملة من هذه المظاهر لعلها تكفي في إعطاء التصور الواضح للمشكلة. وأما الإحاطة بذلك أو بجله؛ فمما يُعلم صعوبته. فمن هذه المظاهر:

أ- عالمياً: أخذ الهجوم على منهج السلف وعقيدتهم أو على الإسلام - لكن يقصد به من يعتمد هذا المنهج - شكلاً لم يعهد من قبل، بسبب وسائل الإعلام المتقدمة. وقد اتخذ هذا المحاور الآتية:

المحور الأول: الهجوم الصليبي والغربي على الإسلام، واتهام أتباعه بالتطرف، والأصولية، والإرهاب، ... ونحوها.

وتتبع مظاهر ذلك مما لا يمكن حصره، ولكن يكفي فيه أن الإسلام صار متهماً في عقيدته وفي شريعته، وفي أعلامه، وفي مظاهره (من سمت إسلامي، وحجاب، ولحية، ... ونحوها)، وفي نشاطاته الإسلامية، وفي جمعياته الخيرية، ولم يسلم من هذا إلا أهل البدع المرضي عنهم من جانب الصليبيين.

المحور الثاني: وسائل الإعلام - ولاسيما بعض المحطات الفضائية - التي تتبع إما أهل البدع، وأما أن أصحابها أذئاب للغرب الكافر من العلمانيين والمنافقين والمفسدين في الأرض، فقد شنت هذه الوسائل حروباً متتالية وبأساليب متنوعة على عقيدة السلف ومصادرها ورجالها وأئمتها.

ونماذج ذلك ظاهرة للعيان في تلك المحطات التي تبث بالعربية لتنتشر الفكر المنحرف والبدعي، وتحارب بشكل صريح الإسلام وعقيدة السلف.

المحور الثالث: إعادة التجمعات والروابط الجاهلية على مستوى الأمة، حيث إنه بعد الفشل الذريع للأفكار العلمانية من يسارية وقومية ونحوها في المرحلة السابقة - ولا تزال والله الحمد -؛ أخذت بعض القوى من أجل حرب الإسلام وعقيدته الصحيحة تعيد تنظيم صفوفها أو ابتداء منظومات فكرية جديدة.

١- فهناك مراكز بحوث ومؤسسات فكرية في لندن وبيروت وعمّان وغيرها، يقوم عليها أناس مشبهون، حيث عرف عنهم تبني قواعد وأسساً مخالفة للعقيدة والمنهج الصحيح.

٢- مراكز البحوث والدراسات العلمانية التي كانت موجودة سابقاً، فأعدت ترتيب أمورها مدعومة مادياً بشكل قوي من قوى صليبية وعلمانية وغيرها.

ب- ومن المظاهر: الشدة والقسوة في الهجوم على عقيدة السلف ومنهجهم: حيث بلغت حدّاً لم يُعهد من قبل، وجرأة لم يرَ مثيل لها فيما سبق. ومن أمثلة ذلك:

- اتهام عقيدة السلف بأنها تكفيرية إرهابية .. هكذا.
- اتهام الأئمة المعروفين والمعتبرين بذلك.
- الدعوة الصريحة إلى إلغاء بعض أصولها، كالولاء والبراء، ونواقض الإسلام.
- الدعوة الصريحة إلى إحياء الآثار الجاهلية وغيرها، والدعوة إلى إعادة بناء الأضرحة على القبور.
- سب العقيدة واتهامها بأنها تفرقنا وتمزقنا، والدعوة إلى وطنية جاهلية مفرغة من العقيدة.

- الدعوة الصريحة إلى العلمانية والليبرالية الغربية وتبنيها.
- تحدي الأمة في المسائل المتعلقة بالمرأة، ودعوته (قولاً وفعلاً) إلى التمرد

على دينها وشريعتها .

- التبجح بالفكر الحدائى والافتخار به ، والتسابق إلى الإعلان عن رواده ودعائه وتنافسهم في ذلك .

- مدح الحضارة الغربية وثقافتها وفكرها ونظمها بشكل لا أظن أنه وقع قبل ذلك .

.. وهكذا ، والأمثلة لا تكاد تنتهي .

ج- ظهور أهل البدع وعلوّ صوتهم وتحديدهم للأمة:

١- فالرافضة لا يخفى أمرهم على أحد، لا من ناحية أهدافهم أو خططهم، ولا من ناحية أعمالهم وأفعالهم .

والكلام بشأنهم يطول، ولعل فيما كتب عنهم من ملفات ما يكفي لبيان حالهم وخطرهم .

٢ - والصوفية بدؤوا يظهرّون المخفيّ عندهم، وصاروا يعملون بكل ما أوتوا من وسائل لاستباق كل عائق حتى ينشروا تصوفهم وخرافاتهم بل وشركياتهم الصريحة .

ويمكن أن نذكر هنا ما يلي من نشاطهم:

(أ) الدعوة إلى التصوف صارت علناً لا يتدسس بها أصحابها .

(ب) نشر مقالاتهم وحججهم وشبههم في بعض وسائل الإعلام .

(ج) إقامة الموالد والمناسبات الصوفية علناً .

(د) السعي إلى إحياء الآثار في مكة والمدينة والدعوة إلى تعظيمها والتبرك بها .

(هـ) العداء السافر من كثير منهم لأهل السنة أصحاب العقيدة السلفية ورميها بما سبق أن رُميت به من التهم .

٣- والأشاعرة أخذوا يدعون إلى مذهبهم أواسط شباب أهل السنة، ويحمل

لواء ذلك أشاعرة كانوا يخفون مذهبهم ثم أظهروه، وأناس (تمشعروا) بعد أن كانوا سلفيين.

والملاحظ أن هذا الصنف من أهل البدع عادوا إلى ما عُرف عن شيوخهم من التصاقهم بالصوفية، ودعوتهم إلى الأصول الكلامية، والعداء لأهل السلف ولكتبهم قديماً وحديثاً، مع المهادنة لبقية أهل البدع، كما أن حرصهم على نشر كتب الأشاعرة نشط كثيراً.

٤- مدرسة الاعتزال والتجهم تعود هنا وهناك، وتُنشر كتبها وأراؤها التي يتبناها للأسف جمهرة من العقلانيين والعلمانيين وغيرهم.

د- ظهور أصحاب الفكر المنحرف من الحدائيين والعلمانيين على مختلف مدارسهم المعروفة: من ماركسية وقومية وبعثية وحدائية وليبرالية، وغيرها.

وقد عملوا على إظهار رموزهم - دون خجل - على أنهم رواد الفكر والثقافة والتوجيه في المجتمع، كما عملوا على استقطاب عدد كبير من المتأثرين بهم من الشباب والصحفيين وتجييشهم بأساليب مختلفة حتى يسايروا الخط الذي يسرون عليه. ومما يؤسف له أن يقع هؤلاء فريسة لهذه الأفكار المنحرفة عن وعي وعن غير وعي.

وهذا تشخيص لما يجري، وإلا فهم يتحملون مسؤولية ما يكتبون. وهؤلاء - كالرافضة والصوفية - يحتاجون إلى من يتتبع أفكارهم ونشاطهم، وثمة جهود في هذا ولكنها قليلة؛ إذا ما قورنت بعظم خطرهم على الأمة وعلى العقيدة والشريعة.

ونحن هنا نشير إلى أبرز مظاهر نشر فكرهم وحرابهم على الدين عقيدة وشريعة وخلقاً. كما يلي:

١- أغلب هؤلاء العلمانيين كانوا أصحاب تنظيمات سرية كانت معروفة في

السابق في البلاد العربية.

وأبرز هذه التنظيمات: الشيوعيون، والبعثيون، وحركة القوميين العرب، والناصريون، والقوميون القدامى، والحدويون. والحداثيون هم خليط من هؤلاء، وإن كانوا في الغالب ينتمون إلى التيارين: الشيوعي، والليبرالي الغربي.

وأغلب هؤلاء غلب عليهم الفكر الثوري واليساري.

وهناك التيار الغربي العلماني الليبرالي، ويقود هذا مجموعة من الدارسين في الغرب الذين تشربوا فكره وأصبحوا من أدواته.

والملاحظ أن هؤلاء يعيدون ترتيب صفوفهم وشيئاً من تنظيماتهم السابقة، ويتحالف بعضهم مع بعض، وينتقل الواحد منهم في لحظة من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ما دامت المصلحة الشخصية تقتضي ذلك.

٢- بدؤوا يجاهرون بأفكارهم ويفاخرون بتاريخهم السابق من شيوعي وبعثي وغيره.

ونحن نخشى أن يأتي اليوم الذي يقف فيه الواحد من هؤلاء أمام وسيلة إعلامية رسمية ليشرح بكل فخر قصة انتسابه للفكر الشيوعي ودخوله في تنظيمه، وقصة انتسابه لتنظيم البعث أو الناصرية وغيرها كما فعل بعثيو العراق وسورية، وشيوعيو عدن وغيرهم، حين صارت لهم سلطة ودولة.

٣- حولوا مراكز نفوذهم إلى منابر لنشر أفكارهم المنحرفة ومحاربة من يخالفهم، وشنوا من خلالها حرباً لا هوادة فيها على العقيدة ومنهج السلف وشرعية الإسلام.

٤- شنوا حملة شعواء على الشريعة وإقامة الحدود، وعلى القضاء والقضاة، وهيئة الإفتاء، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكم سخروا من كثير من القضايا، آخرها موضوع هلال رمضان!

٥- عملوا على تعطيل الأحكام الشرعية التي أصدرت على أصحابهم من الزنادقة وأشباههم؛ لأنهم يريدون إضعاف قاعدة الحسبة على هؤلاء؛ وهو الإحالة للقضاء؛ ولأنهم يضعون خط دفاع عنهم؛ لأنه لو نفذت الأحكام فالدور عليهم.

٦- وفي الشبكات العنكبوتية لهم مواقعهم الصريحة في العلمنة والإلحاد وحرب الدين والاستهزاء الصراح به.

وصاروا ينشرون فيها ما لا يستطيعون نشره في صحفهم ووسائل إعلامهم المعروفة.

٧- أما أخطر مجالات عملهم التغريبي والإفسادي للعقيدة وللأمة؛ فهو المثلث العلماني الخطير، وهو:

أ - التعليم: ومحاولة إفراغه من محتواه الإسلامي إلى تعليم علماني. وما الهجوم على المناهج الشرعية ونقد عملية الحفظ بإطلاق، والدعوة إلى الاختلاط، وابتعاث الشباب إلى بلاد الغرب، وطلب إلغاء سياسة التعليم، والدعوة إلى إلغاء التخصصات الشرعية من الجامعات، والدعوة إلى حذف مقررات الإسلام واللغة العربية من التخصصات العلمية، إلا جزء من هذه الحرب.

ب - الإعلام: وقد قفز هؤلاء بوسائل الإعلام قفزات إفسادية سريعة تشتمل على نشر الأغاني والتبرج والاختلاط في البرامج وعلى نشر الفكر المنحرف، والهجوم بأشكال متفاوتة على الدين، وهذا في الإعلام الرسمي. أما الصحف والإعلام الخارجي؛ فحدث ولا حرج عن عبث هؤلاء بدين الأمة وعقيدتها وشريعتها وأخلاقها.

ج - المرأة: وقد رموا بثقلهم حتى تتحول إلى قضية يومية في كافة وسائل

الإعلام، وأصبح إفساد المرأة وتبرجها واختلاطها بالرجال وتمردها على دينها وعلى ولي أمرها؛ مطالبٌ تتكرر عند هؤلاء كل ساعة وفي أية مناسبة.

٨- ومن أخطر ما يفعله العلمانيون وأصحاب هذه التيارات محاولات شق الصف الإسلامي من خلال:

\* الاستهزاء بالمشايخ والقضاة وهيئة كبار العلماء والإفتاء، ورميهم بالجمود والتحجر والسخرية منهم.

\* إعلاء شأن كل من ينتسب إلى العلم إذا كان صاحب شواذ في أقواله وفتاويه، ونقل كلامه الذي يناسبهم، ومدحه والثناء عليه، وإذا كان هذا يقال في الصحف علناً: فماذا هم قائلون للشيخ إذا انفردوا به؟

\* تبتي المدارس الإسلامية المنحرفة، فهم يعظمون الرافضة ويلينون للصوفية، ويعلمون من شأن المدارس العقلانية العصرانية، ويرفعون شأن كل من ينتسب إليها.

\* الهجوم على المشايخ والدعاة الصادقين، والحط من شأنهم في كل مناسبة، والتمكين من الردود عليهم.

ه- ومن مظاهر هذه الحرب على العقيدة:

١- تشجيع الناكسين على أعقابهم حتى صاروا كتاباً في صحف متعددة وضيوف منتديات إذاعية وتلفزيونية، يستضاف هؤلاء على أنهم من كبار الكتاب والمفكرين. وقد ركز هؤلاء الناكسون على أعقابهم على أمور:

\* إظهار تجاربهم الشخصية السابقة - حين كانوا مستقيمين - بمظهر ساقط وسافل.

\* الكذب على أهل الخير، واختلاق الحكايات التي لم تقع، وكل ذلك من باب التشويه لأهل الدين.

\* إبراز نكوصهم على أنه مراجعات فكرية عقلانية، وتصوير ذلك على أنه عودة

إلى المنهج الصحيح، مع أنه منهج منحرف ساقط.

\* شن الهجوم على العقيدة وحمّلتها في كل مناسبة، وصارت مقالاتهم متخصصة في هذه الجوانب، ولا تكاد تقرأ مقالة لواحد من هؤلاء أو تسمع له مقابلة أو مشاركة في ندوة؛ إلا ولّبها وموضوعها الرئيس الهجوم على الثوابت، والاستهزاء بالدين وبأهله، والرفع من شأن كل صاحب بدعة وضلالة وفكر منحرف.

\* التعاون والتفاعل من العلمانيين في هذه المجالات، فكل منهم يمدح الآخر ويرفع من شأنه. تشابهت قلوبهم!

٢- ومن المظاهر المؤلمة في المدة الأخيرة؛ وجود بعض ممن ينتسب إلى العلم أو من بعض الشباب الذين نشؤوا على العقيدة الصحيحة، الذين مالوا أو تبنا بعض مناهج أهل البدع.

مثل مَنْ مَالَ إلى الصوفية وصار من دعاة هذا المذهب، وهو يشعر أو لا يشعر.

ومثل مَنْ مَالَ إلى المدرسة العصرانية، وصار يقدم أفكاراً توافق أصولهم.  
ومثل مَنْ مَالَ إلى مذهب الأشاعرة، وصار يدعو إلى مذهبهم ويغض من مذهب أهل السنة.

ويؤسفنا أن أهل البدع فرحوا بهذه الفئة وطاروا بها وياقوالها في كل نادٍ وصاروا يحتجون بهؤلاء على صحة مذاهبيهم وبطلان مذهب أهل السنة وعقيدتهم.  
ويا ليت هؤلاء - إن كانوا يفقهون ويريدون حقاً أن يدافعوا عن دينهم وعقيدتهم - يدركون مقدار جنايتهم على أمتهم وعلى عقيدة السلف والصف الإسلامي الذي فتحوا فيه ثغرات وثغرات، والله المستعان.

## القسم الثالث

## العلاج ووسائله

لا شك أن هذا الدين منصور، وأنه كما جاء في الأحاديث لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمة بالحق، لا يضرها من خذلها ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله، تعالى.

وكما سبق في المقدمة؛ فإن هذا الذي يجري - وقد تكلمنا عن أسبابه ومظاهره - لا يخرج عن سنة الله - تعالى - في الصراع بين الحق والباطل، والعاقبة للمتقين.

ولأن المؤمنين لا بدّ أن يأخذوا بالأسباب وقد أمروا بذلك؛ فإن هذا الهجوم على عقيدة السلف الصالح ومنهجهم يحتاج إلى الأخذ بكافة الأسباب لمدافعة هذا الباطل وتثبيت الحق والدعوة إليه.

وتعداد وسائل العلاج وطرائقه مما يطول ولا يخفى على البصير، ومن نظر في الأسباب والمظاهر استنتج جملة كبيرة من وسائل العلاج التي قد يتجاوز تعدادها - عند التفصيل - المئات.

ومن باب المشاركة في هذا الباب الواسع المتنوع نذكر جملة منها على وجه الاختصار، وقد يكون عند المشايخ الفضلاء ما هو أهم وأجدى نفعاً.

فمن وسائل العلاج:

١- ثبات المؤمنين السائرين على منهاج السلف على عقيدتهم ومنهاج سلفهم الصالح، وهذا الثبات على الدين هو أحد الواجبات، بل غاية المؤمن في هذه الحياة أن يشته الله على الحق حتى يلقي ربه - تعالى - غير مغير ولا مبدل. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾

ذَلِكُمْ وَصَنَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وأثر هذه الوسيلة العظيمة يظهر من وجوه، أهمها:

أ- الاستقامة وما لها من عواقب وآثار في حياة المسلم: في الدنيا، وعند الموت، وفي الآخرة.

ب- أن الذي يثبت على منهجه هو الجدير بتقديم منهجه هذا للناس ودعوتهم إليه، أما الشاك المتردد فلا يمكن أن يقنع الآخرين بمنهجه.

ج- القدوة هو الذي يجعل الآخرين يقتدون به، ومعلوم أن هذه الصفة العظيمة تنهار حين ينهار صاحبها أو يتغير.

د- السلامة من كل آثار الانتكاسة والتقلب التي تصيب الإنسان في قلبه وعلمه وعمله ودعوته ... إلخ.

٢- الصبر والمصابرة على الثبات على هذا المنهج مهما تحزبت الأحزاب ضده وخذ منهجه. وللمسلم هنا أن يتذكر ثبات المؤمنين لما تحزبت الأحزاب يوم الخندق على المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

[الأحزاب: ٢٢-٢٣]

ومعلوم أن من أظهر سمات السلف في كل وقت أن منهجهم واحد لا يتغير، وأنهم يدعون إليه، ولا يغيرون ولا يتغيرون.

٣- التأسيس العلمي المبني على منهج علمي متكامل، ومعلوم أن أعظم ما يواجهه الباطل والبدعة والانحراف الدليل الصحيح من الكتاب والسنة.

ومن ثم فلا بد من إحياء مدارس العلم بين يدي العلماء، التي لا تعكرها نظم المدارس والجامعات النظامية التي أخلت بكثير من شروط طلب العلم النافع،

مع ما فيها من فوائد لا تنكر.

ولذا؛ فلا بد من الإكثار من دروس العلم التي تعنى بالعلم النافع عموماً ويعلم الكتاب والسنة والعقيدة خصوصاً، بحيث تشمل كافة الفئات من العامة إلى طلاب العلم المتمكنين.

وينبغي أن يكون هناك تواصلٌ وحثٌّ بين طلاب العلم والمشايخ في كل مكان على ذلك. وحبذا لو تحول هذا إلى مشروعات دروس في كل مدينة بحيث تكون أكثر ترتيباً، بدلاً من واقع الدروس الحالية التي كثيراً ما يتبها الطلبة.

٤- وجود مشروعات دعوية تركز على العقيدة وعلى المنهاج الصحيح في الاستدلال، ويستخدم لذلك كافة الوسائل، ومنها:

- الدروس العلمية، كما سبق.

- المحاضرات العامة.

- الندوات والدورات.

- الندوات الفكرية التي تقام في الديوانيات والبيوت (المسماة بالثلوثية أو الأحادية).

- الجولات الدعوية المنتشرة في كل مكان والتي تركز على العقيدة.

٥ - لا بدّ من مشروعات علمية - وقفية وغير وقفية - لنشر كتب السلف وتوزيعها في كل مكان داخل المملكة وخارجها، وفي المناسبات المختلفة من حج وعمرة وغيرها.

فمثلاً: يقترح طباعة عشرات الألوف من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وتوزيعها في أوسع نطاق، وهكذا.

٦ - اختيار كتب أو كتيبات منهجية مركزة تعيد الثقة بالمنهج (منهج السلف)، تخاطب أكبر شريحة، ويطلع منها مئات الألوف لتصل إلى كل بيت،

وترتيب مسابقات عليها .

٧ - انتشار مراكز بحوث للردود والمناقشات:

أ - مناقشات آنية للبرامج الحوارية في وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون .

ب - مناقشات لما ينشر في الصحف .

ج - نشر الكتب والبحوث المركزة للرد على أهل البدع والمخالفين وبيان تناقضهم وضعف حججهم .

٨ - الأقسام العلمية الشرعية في الجامعات تتحمل مسؤولية كبيرة في هذا الميدان، بأن تركز في بحوثها على مسائل العقيدة والمذاهب المعاصرة ضد أعدائها المعاصرين .

٩ - تدعو المجلات الإسلامية إلى التصدي لهذا الهجوم على عقيدة السلف ومنهجهم، وما كان منها له جهود طيبة فيرجى المزيد والتركيز .

١٠ - السعي لبث عدة محطات فضائية موثوقة وقوية ومؤصلة لتقوم بالدور المطلوب في هذه الأمور والمسائل العقديّة والشرعية (وجود محطة واحدة لا يكفي) .

١١ - مواقع الشبكة المعلوماتية ينبغي دراستها بشكل جيد؛ كدعم المواقع المميزة، وإيجاد مواقع أخرى مميزة تحمل المنهج، ويكون لكل موقع مجموعة من الفضلاء في منطقة من المناطق .

١٢ - الموضوعات المشكّلة، كالتعليم أو الإعلام أو المرأة ونحوها، والتي هي محل الغزو الفكري من الجانب العلماني المنحرف، ينبغي فتح ملفات عنها حتى يكشف زيف هؤلاء .

١٣ - الاحتساب على هؤلاء بشتى الوسائل المناسبة، وهذا باب غير الردود، وقد تبين أن الاحتساب له دور كبير وملمس في أمور كثيرة، فينبغي أن يكون

موضوع المنهج والعقيدة على رأس هذه الأمور.

١٤- النصح لهؤلاء المنحرفين، ونعني به تكثيف النصح في كل مدينة ومنطقة يوجد بها هؤلاء، وذلك من أجل إقامة الحجّة على هؤلاء لعلهم يرجعون ويتوبون، ومن أجل إبقاء هذه الأمور حيّة حتى يعلم هؤلاء أن الأمر ليس هيناً.

١٥- فضح مخططات هؤلاء: مثل:

- كشف علاقة العلمانيين بأعداء الدين من الصليبيين وغيرهم.
- كشف ولاء الرافضة وعلاقتهم بمراجعهم الدينية والسياسية خارج المملكة.
- كشف حقيقة الصوفية والتقاؤهم بصوفية العالم وفضح تاريخهم المخذل في الأمة.
- .. وهكذا.

١٦- التصدي - عن طريق الاحتساب - لمحاولات هؤلاء كسر حواجز العقيدة، مثل البناء على القبور ونحوها.

١٧- ينبغي مداومة الرد على هؤلاء المنحرفين وأهل البدع بالوسائل الممكنة حتى يعلموا أن الأمة ترفضهم وترفض باطلهم، وحتى لا يستريحوا لباطلهم وما يدعون من نجاح، مما يدعوهم إلى نشر باطل آخر.

١٨- إظهار تناقض هؤلاء في كل وقت:

فمثلاً: تناقض العلمانيين في ادعاء الوطنية وهم يوالون الأعداء من الصليبيين وغيرهم.

ومثلاً: يهاجم بعض هؤلاء السلف مدعياً أنهم لا يحكّمون العقل ثم هو يمجّد الرافضة بخرافاتهم التي لا تعقل.

ومثلاً: هناك من يمجّد الغرب بعلميته وعقلانيته المزعومة ثم هو يمجّد النصاري بخرافاتهم، أو يمجّد الصوفية بخرافاتهم.

- ١٩- نشر العقيدة الصحيحة في أنحاء المعمورة واجب كبير، وهو في النهاية مدّ معنوي مهم، والعقيدة الصحيحة واحدة وصوت أصحابها واحد.
- ٢٠- التركيز على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومؤازرة محمد بن سعود له - رحمهما الله - وأن هذه البلاد تميزت بهذه العقيدة السلفية الصحيحة، وأن لا فكاك لها عنها.
- ٢١- العمل على وضع كتاب يضم تراجم الأئمة السائرين على منهج السلف عبر العصور، وكتابة أقوالهم في ذلك، حتى يتبين للجميع وللأعداء خاصة؛ أن هذه العقيدة لا يختص بها ابن تيمية أو محمد بن عبد الوهاب، بل عقيدة أولئك الأئمة جميعاً.
- ٢٢- هناك مسائل تتعلق في منهج السلف في الأحكام الشرعية، والتي خاض فيها أهل البدع ودعاة التأويل ومدعو التنوير والعصرانية، وهي تحتاج إلى بيان وردّ ومناقشة لهؤلاء الخائضين فيها بغير حق.
- ومن هذه المسائل:
- أ - التجديد في مسألة التعامل مع آيات القرآن الكريم وما أدخله هؤلاء من التأويل الباطل.
- ب- التجديد في مصطلح الحديث، وطريقة أخذ السنة النبوية والاحتجاج بها.
- ج- التجديد في أصول الفقه وقواعده المعروفة، ومحاولة هؤلاء العبث بها وبما أصله الأئمة في هذا الباب.
- د- مسألة التيسير في الشريعة والخلط فيها.
- هـ- مسألة المصالح والمقاصد في الشريعة والخلط فيها.
- و- مسألة الوسطية ومدلولها ومفهومها الصحيح، وخلط هؤلاء فيها.

ز- مسألة الفتوى والترجيح عند اختلاف العلماء، وتخليط هؤلاء وزعمهم أن الحق يتعدد.

ح- مسألة تتبّع الرخص التي لم يدل عليها دليل، وتتبع شواذ العلماء وفتاواهم المرجوحة، وتأصيل هذا الباب.

٢٣- أخيراً يقترح إنشاء مركز علمي (مستقل) يتولى شؤون هذه المسائل التي سبقت الإشارة إليها في عدة فقرات، ويتولى التخطيط والتنفيذ.

هذا ما تيسر جمعه في هذه العجالة، ونسأل الله لنا ولإخواننا الثبات والهداية. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



الرسالة التاسعة  
عبر ودروس  
من زيارة بلاد الروس



## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَّوْا وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كثيرًا ونسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وبعد: فإن هذه الرسالة كانت نتيجة زيارة قمت بها إلى روسيا وعاصمتها موسكو، ثم بعد ذلك انتقلت إلى تاتارستان، وعاصمتها مدينة قازان حيث أقيمت دورة من الدورات الشرعية في هذه المدينة، وذلك بتاريخ ٢/٥ إلى ٢/١٩ من ١٤١٤ للهجرة. تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وأحب في البداية وفي مقدمة هذه الرسالة أن أبين أهداف كتابة هذه الرسالة، وهي كثيرة، أهمها ما يلي:

أولاً: إعطاء نبذة مختصرة وصورة مبسطة عن أوضاع المسلمين هناك وأوضاع غيرهم.

ثانياً: بيان أهم الايجابيات والسلبيات عند المسلمين هناك حتى ينظر أهل الخير والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى في كيفية التعامل مع أوضاعهم.

ثالثاً: إن هناك مؤسسات خيرية دعوية رسمية وغير رسمية، لها جهود طيبة، وهي عازمة في المزيد، ومثل هذه الرسائل تعطي خلاصة تجارب لمن زار تلك المناطق، فينتفع بها من يريد أن يزورها.

وأحب أن أذكر في هذه المقدمة أن الاتحاد السوفيتي كان جمهوريات مترامية الأطراف، فهي ليست دولة محدودة، وإنما هي دولة واسعة جداً، طولها وعرضها بآلاف الكيلومترات. ولهذا فحينما نتحدث عن جانب منها، فإنما نتحدث عما رأيناه من الايجابيات والسلبيات، ولا يعني هذا أننا نعطي صورة متكاملة عن جميع الجمهوريات الإسلامية!!!.

وقبل أن أدخل في سرد وبيان ما رأيت وما أريد أن أقوله، أتقدم بالشكر والامتنان لكل من أشار وأعان لإلقاء ما رأيت هناك في محاضرة أو رسالة. وأخص بالذكر إخواننا ومشايخنا الذين شاركونا في هذه الدورة من جامعة الإمام ومن غيرها، وأخص الأخوان فهد الحمودي، وعبدالرحمن الصيفي الطالبين في كلية أصول الدين بالرياض - في ذلك الوقت -، واللذين شاركنا في هذه الدورة، وكانت لهم جهود طيبة - أثابهم الله ورزقنا وإياهم الإخلاص وجميع المسلمين. وبعد هذه المقدمة أنتقل إلى ما نحن بصدده.

فأقول: إن رسالتنا هذه سنقسمها إلى عدة أقسام، يمكن طرحها من خلال القضايا التالية:

- القسم الأول: ملامح سريعة عن تاريخ روسيا.
- القسم الثاني: وقفة مع انهيار الاتحاد السوفيتي.
- القسم الثالث: ملاحظات ومشاهدات.
- القسم الرابع: المظاهر الإيجابية هناك.
- القسم الخامس: العبر والدروس العامة.
- القسم السادس: ما الذي يحتاجه المسلمون هناك؟
- وأسال الله التوفيق والسداد والإخلاص في الأقوال والأعمال.

عبدالرحمن الصالح المحمود  
الرياض - كلية أصول الدين

## القسم الأول

### ملامح سريعة عن تاريخ روسيا

كانت روسيا دولة قيصرية نصرانية، وكانت تحيط بها جمهوريات إسلامية عديدة مستقلة، وبعض هذه الجمهوريات الإسلامية كانت تابعة للدولة العثمانية. وفي سنة ١٣٣٦ هجرية - ١٩١٧ ميلادية، قامت الثورة الشيوعية في روسيا على يد الشيوعي المشهور (لينين). ونحن نعلم أن الفكر الشيوعي إنّما نشأ كفكر في أوروبا، (فـ(ماركس) و(أنجلز) وغيرهم من الشيوعيين إنّما نشأوا وعاشوا هناك في بلاد الرأسمالية، وكانت أفكارهم الشيوعية ومخططاتهم تقول إن الصراع الحتمي لا بد أن يؤدي في النهاية إلى الحكم وإلى الشيوعية.

وكان من أفكارهم: أن أعظم دولة تتبنى الآن الرأسمالية هي التي - ولا بد - ستقلب إلى دولة شيوعية. ولكن خابت أفكارهم، وذهبت أدراج الرياح، وبقيت تلك الدول في أوروبا وأمريكا رأسمالية، ولكن الشيوعية إنما نبتت بالقوة في دولة نائية بعيدة، في روسيا القيصرية التي كانت تحكمها النصرانية، ومن هناك قامت هذه الشيوعية بالحديد والنار.

وبدأت تزحف شيئاً فشيئاً على بلاد الإسلام وتخطف أرضاً تلو أرض، وجمهورية تلو أخرى، وجرى للمسلمين في تلك الجمهوريات الإسلامية أحوال رهيبية ومحن شديدة على أيدي هؤلاء الشيوعيين الملاحدة. لا أظن أنه مر على المسلمين في تاريخهم الحديث من المحن ما يعادل ما جرى للمسلمين هناك. وقام الشيوعيون بعدة أمور خطيرة في البلاد التي وقعت تحت قبضتهم. من هذه الأمور ما يلي:

أولاً: إلغاء الدين تماماً ومحو آثاره، فالفكر الشيوعي يقوم على إنكار وجود الله، لا إله، والحياة مادة. والفكر الشيوعي يقوم على الإلحاد، وعلى تبني الفكر الشيوعي من الناحية الاقتصادية.

ثانياً: قتل المسلمون الذين أبوا إلا أن يبقوا على دينهم، وقُتِلَ من المسلمين في تلك الجمهوريات الملايين. ولقد حدّثنا إخواننا هناك عن قبور جماعية لمئات الألوف من الذين قتلهم الشيوعيون. وليس قتل المسلمين أمراً غريباً، فإننا نشاهد في هذه الأيام ما يُفَعَّل بالمسلمين في بقايا أقطار الأرض - مثل البوسنة وكوسوفا وغيرها - والله سبحانه وتعالى أخبر أن المشركين لا يرقبون في المسلمين إلاّ ولا ذمة، ولكن العاقل من يتعظ.

ثالثاً: حرص الشيوعيون على تنشئة جيل جديد من الصغار يتربى منذ نشأته على الأفكار الشيوعية. وهذه قضية خطيرة يركز عليها أعداء الإسلام في كل مكان، ومن هنا تأتي أهمية تنشئة الصغار، وأهمية مناهج المدارس في المراحل الأولى .  
رابعاً: هدم المساجد كلها، وكانت تلك المساجد في الجمهوريات الإسلامية تُعد بالآلاف، ولم يبقوا منها إلا مسجداً واحداً في كل مدينة مشهورة، وذلك لأغراض دعائية. ولم يبقوا من الإدارات الدينية إلا إدارات محددة كان - ولا يزال إلى الآن - أكثر من نفعها بالنسبة للمسلمين.

خامساً: إحكام الهيمنة الفكرية والتعليمية والإعلامية، وجعل اللغة الروسية هي اللغة الرسمية، وهي لغة المدارس ولغة الإعلام، وتعلمون أن الجمهوريات الإسلامية، كل جمهورية منها لها لغتها الخاصة، ومن هنا تبرز أهمية اللغة، وكيف أن الأعداء يفرضون تعلم لغتهم ويسعون في نشرها؛ لما لذلك من أهمية لهم. فهؤلاء الشيوعيون جعلوا اللغة الروسية هي لغة الإعلام، والمدارس، والمخاطبات الرسمية، ولم يبق بالنسبة للغات المحلية مهمّة إلا أن تكون لغة التخاطب فقط.

سادساً: إلغاء الدين من المدارس ومنع الدروس في المساجد وغيرها .  
سابعاً: فرض الشيوعية كمبدأ إلحادي ومبدأ اقتصادي، أي: إلغاء الملكية الفردية وتحويل المزارع والمصانع وغير ذلك إلى ملكية الدولة.

ثامناً: التغير الجغرافي السكاني لتلك الجمهوريات الإسلامية، حيث أمر الشيوعيون إخوانهم الروس من النصارى وغيرهم بأن يزحفوا إلى تلك الجمهوريات، وفعلاً زحف أولئك النصارى وأولئك الشيوعيون إلى تلك الجمهوريات الإسلامية، وزاحموا المسلمين فيها، بل إنهم زاحمهم في المدن الكبرى، كما أنهم زاحمهم في الأماكن والشواطئ المهمة التي تعتبر أماكن ذات قيمة اقتصادية واستراتيجية، ولهذا يعيش في تلك الجمهوريات الإسلامية حتى الآن أعداد كبيرة جداً من الشيوعيين والنصارى.

تاسعاً: مسخ المسلمين مسخاً كاملاً؛ وذلك بقطع جميع الروابط الإسلامية عنهم، وأما العواصم الإسلامية الكبرى، فقد مسخت معالمها الإسلامية مسخاً كاملاً.

عاشراً: لم تكتف الشيوعية باحتلال الجمهوريات الإسلامية المجاورة لروسيا بل تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى بقية بلاد المسلمين والعالم العربي، التي لا تخضع لحكمها، فبدأت من خلال صراع معروف، أي من خلال صراع الشيوعية مع الغرب على مناطق النفوذ. فبدأت الشيوعية تزحف وتغزو بعض البلاد العربية الإسلامية، وقد تمثل هذا فيما يلي:

أولاً: إقامة حكومات شيوعية خالصة في بعض بلاد المسلمين، وقد قامت بعض هذه الحكومات، وامتدت زمناً طويلاً حتى قصمها الله تعالى وفرّقها.

ثانياً: تنشيط الأحزاب الشيوعية في أغلب البلاد العربية والإسلامية، ولا تكاد تخلو دولة من دول العالم العربي إلا ويوجد فيها حزب شيوعي، أو أفراداً يتبنون الفكر الشيوعي، والدولة الروسية في ذلك الوقت كانت تدعم هذه الأحزاب دعماً قوياً.

ثالثاً: استقبال البعثات الدراسية من جميع أنحاء العالم، وبالأخص من بلاد العرب والمسلمين، حيث يستقبلونهم للدراسة هناك ويربونهم على الفكر

الشيوعي، والملاحظ أنهم حينما يستقبلون طلاباً من بلد ما من البلاد، فإنهم يوزعون طلاب تلك الدولة على مختلف التخصصات، فيقولون مثلاً إذا اجتمع عندهم عدد من دولة ما - مقسمين لمهاماتهم-، أن يكون تخصصك في الاقتصاد، وأنت في الإدارة، وهذا يكون عسكرياً، وهذا يكون تخصصه علمياً ... وهكذا. وذلك حتى إذا قام انقلاب شيوعي في تلك الدولة يكون هناك طاقم للحكم معدّ ومجهز سلفاً.

رابعا: أحاطت روسيا والاتحاد السوفيتي الدول التي تحت حكمها بستار حديدي يمنع من وصول الأخبار والمعلومات الحقيقية عنها، ولقد كان لا يسمح بالنسبة للدبلوماسيين في العاصمة موسكو إلا أن يتجولوا من خلال عدد محدود من الكيلو مترات لا يتجاوزها فيها. ولا يجوز لهم أن يتعدوها - فضلاً على أن يتجولوا في بقية الجمهوريات والبلاد الواسعة - وهذا كله هو الذي يجعلنا نجعل صورة الاتحاد السوفيتي جهلاً كاملاً أو شبه كامل قبل أن يتحطم ذلك الكيان الذي كان يُرى كياناً كبيراً.

## القسم الثاني

## وقفة مع انهيار الاتحاد السوفيتي

لقد كان الاتحاد السوفيتي يرعب الغرب رعباً شديداً، حتى أن المخططين العسكريين وغيرهم في أمريكا مثلاً، لم يكونوا يأبهوا بقوة فرنسا، ولا بقوة بريطانيا، ولا بقوة الصين، وإنما كانوا يحسبون حسابات كثيرة لقوى الاتحاد السوفيتي، لكن هذا الكيان المرعب الكبير ما كان ليذوم وهو على هذا الوضع الفكري العملي؛ إذ بدأت تظهر أمارات التصدع الشديد على ذلك الكيان المبهرج الضخم، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: تصدع الكيان من الداخل، وكان هذا التصدع من داخل الفرد ومن داخل مؤسسات الدولة، فإنها أخذت في السنوات الأخيرة يعترئها كثيراً من الضعف والتصدع.

ثانياً: نظراً للحكم الشيوعي، فقد تصدعت وضعفت الصناعات والتكنولوجيا الروسية، وتفوق الغرب عليها في هذا المجال. ومن أبرز أمثلة ذلك: التسرب النووي من مفاعل (تشر نوبل) الذي سمعنا به منذ سنوات حيث تسرب من هذا المفاعل النووي الإشاعات النووية، ولم يستطع الاتحاد السوفيتي أن يتحكم فيها إلا بعد زمن، ولقد انتقلت آثار ذلك إلى بلاد أوروبا، والقصة مشهورة.

ثالثاً: فشل الأجهزة الدقيقة عند الاتحاد السوفيتي، مما أثر على قدرتها العسكرية والاستخبارية أمام الغرب.

رابعاً: حادث الزلزال الذي وقع في روسيا منذ سنوات وفشل معدات الإنقاذ الروسية في معالجة آثاره، حتى أنها اضطرت إلى الاستعانة بالغرب في هذا المجال، ثم بعد ذلك فشل الذريع الذي منيت به روسيا، حينما تدخلت في أفغانستان لكي تناصر الحكم الشيوعي الذي قام آنذاك، وكان فشل روسيا في

أفغانستان - سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، ولقد عجبْتُ ونحن هناك عندما سمعت أنه تفشى بين الجنود والضباط مرض خاص يسمونه مرض تلك الحرب الأفغانية يعاني منه الجنود الذين شاركوا في تلك الحرب. وقلت: سبحان الله! غزوا بلاد المسلمين وحاربوا المسلمين تلك الحرب الشعواء، ولكن - سبحانه وتعالى - قصمهم وفرّقهم بالرغم من أنها كانت دولة كبيرة مهيبة الجانب.

خامساً: انهيار الاتحاد السوفيتي اقتصادياً، فأصبح وضعه بالنسبة للغرب شبيهاً بوضع دول العالم الثالث.

سادساً: ومن عوامل انهيار الاتحاد السوفيتي، بروز الصحوة الإسلامية، بل بروز الصحوة الدينية حتى بالنسبة للنصارى. فهذه الصحوة الدينية جعلت الحكم الشيوعي والفكر الشيوعي فكراً غير مقبول!!!.

سابعاً: إن إرادة الله - سبحانه وتعالى - غالبية، والله تعالى يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾.

فإرادة الله - سبحانه وتعالى - غالبية، والله - سبحانه وتعالى أراد وقدّر أن تكون هذه الدولة ذات الكيان الكبير تتحول إلى ما نشاهده الآن ونسمع به. ومع انهيار هذا الكيان الكبير وتفككه واستقلال كثير من جمهورياته، وكونه يعيش الآن معيشة التخبط في جميع أموره وشؤونه، ومع أنه يعيش عالية على الغرب في كثير من أموره الاقتصادية وغيرها، إلا أن الشيوعية هناك لا تزال باقية، والشيوعيون لا يزالون موجودين بقوة، ولديهم حزب كبير، ومن أبرز أمثلة ذلك: أن الشيوعيين لا يزالون يساعدون الحكومات الشيوعية التي قامت في البلاد الإسلامية المستقلة.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك: ما يجري عند الطاجيك في طاجيكستان حيث إن الحكم الشيوعي قام هناك وصار الشيوعيون يحاربون المسلمون، فقامت القوات الروسية الشيوعية بمساعدة أولئك ومطاردة المسلمين، وقد قابلنا في جمهورية تارستان طلاباً، فروا من جحيم الحكم الشيوعي هناك ومن جحيم نار الروس، وقابلنا أناساً منهم فرّوا بدينهم، وكان أهلهم لا يعلمون عنهم شيئاً، وقابلنا شاعراً مشهوراً معروفاً في بلاد الطاجيك ليس معه من أهله إلا ولده. قال: إنني فررت من هناك؛ وهم يبحثون عن أهلي وبناتي وهم لا يدرون عني شيئاً وقد أذيع في الإذاعة الرسمية هناك أنني قُتلت، ومع ذلك كان معنا يشارك في هذه الدورة. أسأل الله - جل وعلا - أن ينصره وأن ينصر المسلمين في كل مكان، وأن يعيده إلى بلده، وقد عادت إلى الإسلام.

ثامناً: مساعدة الشيوعية للأرمن النصارى ضد المسلمين في أذربيجان وغيرها.

تاسعاً: رفضهم رفضاً قاطعاً لاستقلال جمهورية تارستان الإسلامية، فإن هذه الجمهورية متاخمة لروسيا، وأرادت أن تستقل، فرفض الشيوعيون ذلك رفضاً كاملاً، ولانزال هذه الجمهورية الإسلامية داخلية تحت حكم الشيوعية وتحت حكم روسيا، وإن كان لها نوع من الاستقلال البسيط. وإنما رفضوا استقلال هذه الجمهورية، لأن مناطقها متاخمة لروسيا تماماً، وتكاد تكون أراضيها متداخلة مع روسيا التي تقع فيها العاصمة موسكو.

\* ولهذه الشواهد وغيرها نقول: إن الشيوعية والشيوعيين لا يزالون باقين، ولا يزالون حرباً على الإسلام.



### القسم الثالث ملاحظات وشواهد

أولاً: مما يلفت الانتباه في الاتحاد السوفيتي السابق، جمال تلك البلاد الطبيعي والخضرة التي شملت جميع الأراضي، وإذا قلنا إن هذه البلاد تمتد آلاف الكيلو مترات، فإن الإنسان يطير عدد من الساعات فيرى تحته الأراضي الخصبة، والأنهار الطويلة، والغابات والمزارع... إلى آخره. ويتعجب الإنسان عجباً شديداً كيف أن هذه البلاد بهذه الخضرة وهذه الأنهار التي لا توجد في أي بلد في العالم؛ حيث يصل عرضها أحياناً إلى عدد من الكيلو مترات، أنهار عذبة ومزارع وبساتين، ومع ذلك كانت - ولاتزال إلى الآن - تعيش عالية على الغرب، وتأخذ منهم كثيراً من أنواع الغذاء - وعلى رأسها القمح - فيا عجباً! كيف هذا؟

ثانياً: في مدينة موسكو وفي غيرها من الجمهوريات الروسية، توجد العمارات العالية ذات الشقق الصغيرة المكدسة التي يعيش فيها الشعب بلا تملك، كل أسرة تعيش في شقة صغيرة، فالإنسان يتجول ويدور في موسكو أو في غيرها من عواصم الجمهوريات، فأول ما يلفت الانتباه، هذه العمارات الشاهقة التي تجدها في كل مكان وهي التي يعيش فيها الشعب.

أما المنازل الصغيرة الخاصة، فقد كانت نادرة جداً، ولكنها بدأت الآن تظهر.

وبالمقابل زرنا بستاناً ضخماً في أحد ضواحي موسكو، هذا البستان موجود على أحد الأنهار المهمة وفيه عدد من القصور، قصر للغذاء وما يتعلق به، وقصر للمحاضرات والمؤتمرات، وقصر للسكن، وقصر لكذا... لما سألنا عن صاحب هذا القصر؟ قيل لنا: إنه يملكه أحد أولاد زعماء الاتحاد السوفيتي السابق.

فقلنا: سبحان الله، شعب يعيش في شقق كعلب الكبريت، ويحرم على أفراد الشعب تملك شيء، وهذا يعيش في بستان كامل ضخم، فهذه هي الشيوعية، وهذه هي دعاوى الاشتراكية، وهذه دعاوى حقوق العمال.

ثالثاً: يلاحظ في الوضع الاجتماعي في تلك البلاد ما يلي:

١ - التفكك الأسري: وهذه الخاصية لا تختص بها الشيوعية، بل يشاركهم الغرب فيها، فإن الإنسان يعيش هناك مع زوجته ولا يبقى معه أحياناً إلا طفله الصغير. أما أولاده إذا كبروا فكل يمشي في سبيله.

٢ - الفساد والانحلال الأخلاقي: وقد برزت ظاهرتان عجيبتان في جميع روسيا، أحدهما: انتشار الخمر، وهذا أمر عجيب جداً، فإن روسيا هي أكبر دولة تستهلك الخمر في العالم. ومن زار أوروبا وزار روسيا يجد الفارق بينهم هو كثرة شرب الروس للخمر عن الأوربيين، وإن كان الأوربيون يشربون أيضاً، لكن ليسوا في الإكثار كالروس!! تقابل الإنسان في روسيا في الظهر والعصر وفي الصباح والمساء، فتجد رائحة الخمر تفوح منه والناس في الشارع يدورون سكارى، إنهم شعب يريد أن يغيب عن الحياة، والخمر أرخص من المياه العذبة، وتباع أكشاك صغيرة ولا تغلق هذه الأكشاك طوال الأربع وعشرين ساعة يبيعون فيها المرطبات وعلى رأسها الخمر، بل أنك تجد عدد الذين يشربون الخمر كثيراً جداً، بينما تجد المدخنين قلة نظراً لأن أسعار الدخان غالية، فهو شعب غائب.

٣ - تفسخ النساء: فهو تفسخ لا يوجد حتى في أوروبا. العري وكثرة الزنا موجودة هناك بشكل غريب.

٤ - الفساد الإداري والاقتصادي:

أ - فالرشوة منتشرة ولا يكاد يصل إنسان إلى معاملته إلا برشوة، ثم بعد ذلك ضعف الأجهزة والاتصالات وغيرها، تجد الإنسان لا يستطيع أن يتصل بأي

بلد من العالم إلا بصعوبة، ثم إنهم لا يستخدمون الوسائل الحديثة مثل الكمبيوتر وغيره، وتجد الأماكن الاقتصادية والمحلات التجارية والأماكن الحكومية وغيرها لا تستخدم الوسائل الحديثة في التكنولوجيا وغيرها، فأين الشيوعية التي كانت ترعب العالم!!!؟

ب - انتشار سرقة السيارات: فإن السيارة تسرق في كل لحظة، والسيارة إذا سرقت لم يستطيع أحد أن يصل إليها أبداً.

ج - ارتفاع الأسعار وانخفاض قيمة العملة. فالدولار الواحد كان يساوي ثلاثة إلى عشرة روبلات، ولكن الروبل انخفض كثيراً حتى أصبح الدولار يباع بألف ومئتي روبل روسي ولا يزال بانحدار، وهذا من آثار تطبيق الشيوعية الطيب!

هـ - من المشاهد والظواهر هناك: ظاهرة نشاط المنصرين. فمما يُلاحظ أن هذه الدولة في الأصل كانت نصرانية، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي جعل أولئك النصارى يعودون وبكل قوة إلى الديانة النصرانية والدعوة إليها.

ومن الأمور الملاحظة وجود الكنائس وكثرتها في كل مكان، بل في القرى الإسلامية لا تكاد تخلو قرية من وجود كنيسة.

وساحة الكرملين التي عاشت سبعين عاماً عاصمة الإلحاد يوجد فيها مجمع كنسي يعتبر من أكبر المجمعات الكنسية في العالم بعد روما، يوجد فيه خمس أو ست كنائس ضخمة جداً منارتها تبلغ أكثر من مائة متر عالية وفيها نشاط تنصيري، وإن كانوا قد جعلوا منطقة الكرملين كلها للسياحة لكن الذي يمر على هذه الكنائس يجد أن المنصرين هناك يجمعون التبرعات ويدعون إلى النصرانية في نفس الكرملين.

وقامت الشيوعية وامتدت سبعين عاماً وهدمت مساجد المسلمين، لكنها أبقّت هذه الكنائس على حالها وهي مجمع ضخم!!!

٦ - ومن الأمور والظواهر العجيبة: محاولة النصارى الدخول والسكن بين المسلمين: ولقد أدّى هذا إلى انتشار هؤلاء النصارى في بلاد المسلمين، بل إنهم أحياناً يعادل عددهم عدد المسلمين في بعض المدن، فإذا ذهبت إلى جمهورية إسلامية تجد الكنائس تعمر فيها إلى الآن، بل إننا مررنا بمجمع قروي رأينا فيه كنيسة ضخمة جداً، هذه الكنيسة يقيم فيها راهب طول العام، يدعو إلى النصرانية وقد أبقاه الشيوعيون.

أما الكنائس التي تبنى من جديد ويُجدد بناؤها فهي كبيرة جداً.

وكان لانتقال الروس إلى بلاد الجمهوريات الإسلامية أثر كبير في تزويد الشخصية الإسلامية هناك، حتى أنك لا تفرق في الخلق ولا السلوك ولا في قضية ترك الصلاة، ولا في شرب الخمر، ولا تفسخ النساء بين المسلم وغير المسلم.

تقابل هذا الإنسان وتجده على حالة وتساءل عنه هل هو مسلم أم نصراني؟ فيقول لك: هذا تترى أو طاجيكي إذا هو مسلم، أما في حقيقة حاله ومظهره وسلوكه فلا تستطيع أن تفرق بين مسلم وغيره. وهذا كله من آثار المسخ والإلحاد والغزو الفكري الذي مارسه أولئك الشيوعيون، والمنصرون من ورائهم.

ومع هذا فإنهم يخافون جداً من الإسلام، كما يخافون أن المسلم يرجع إلى إسلامه في يوم ما.

وبهذه المناسبة أذكر أن أحد زعماء الغرب قال: إننا يجب أن نؤيد الزعيم الحالي (يلتسين) لأنه نصراني، ولا ينبغي ولا يجوز لنا أن نؤيد رئيس البرلمان مع أنه شيوعي، لأن أصوله إسلامية. فهم يخافون أن يرجع إلى أصوله الإسلامية، وقد نشط المنصرون داخل الإتحاد السوفيتي وخارجه نشاطاً كبيراً،

وذلك بعد سقوطه، ومن أمثلة ذلك :

أ - بناء الكنائس الجديدة الضخمة: وهذا أمرٌ له خطورته، لا سيما وأن هذه الكنائس كثيراً ما تبنى قرب المساجد حتى تزاخمها.

ب - إقامة المؤتمرات التنصيرية هناك: وعند قدومنا هناك كان يوجد مؤتمر عالمي تنصيري، ولقد كان الإنسان يرى المنصرين أعداداً كبيرة قد جاءوا من بلاد شرق آسيا، ومن أفريقيا، وأوروبا وأمريكا ومن كل مكان، جاءوا لهذا المؤتمر التنصيري في بلاد روسيا مع العلم أن هذا التنصير في بلاد المسلمين وغيرها.

ج - مزاحمة أي مشروع إسلامي: وقد حدثنا أحد الدعاة من تلك البلاد أنه أفتتح مكتبة صغيرة لبيع الكتاب الإسلامي بسعر مخفض فقام النصارى بفتح مركز بجواره لتوزيع الكتب التنصيرية والهدايا بالمجان.

د - المنصرون من أوروبا: توضع لهم تسهيلات كبيرة ويأتون باسم الشركات وغيرها، والإدارات الرسمية تعنيهم، ومن ثم تجد هؤلاء المنصرين منتشرين في كل مكان، وهذا أمر غريب جداً.

بل حدثنا أناس من هناك ممن قد لا يقيمون الصلاة لكن أصولهم إسلامية، قالوا لنا: إن خطر التنصير قام علينا، هؤلاء المسلمون - وإن كانوا لا يصلون - إلا أنهم يرفضون التنصير ويحسّون بالخطر، ويقولون: لا نريد أن نتنصر، ولا نريد لأولادنا أن يتنصروا، نريد أن نكون من المسلمين، وهذا من العجائب!!!.

٧ - ومن الظاهر هناك: نشاط الرافضة والمذاهب الهدامة: وهذه حقيقة مؤسفة حقاً فإن أهل البدع من الرافضة وغيرهم يقومون بنشاط قوي هناك ويركزون تركيزاً قوياً على المسلمين وعلى الجمهوريات الإسلامية.

٨ - نشاط الطرق الصوفية هناك: وما فيها من شرك وبدع حيث توجد أحياناً بعض القبور التي تُزار ويُذبح لها وتُدعى من دون الله - تبارك وتعالى - وهذه

الطرق الصوفية موجودة في تلك البلاد الإسلامية وخطرها عظيم؛ لأنها قد تستبدل بالحكم الشيوعي أو غيره شركاً آخر بالله سبحانه وتعالى. ولم يقتصر الأمر على هؤلاء فقط، بل هناك أيضاً من الملاحدة البهائيين والقاديانيين وغيرهم ممن دخل إلى تلك البلاد، وحدثنا المسلمون هناك أن دعاة البهائية وغيرهم لهم أتباع.

فأين المسلمون. أين أهل السنة والجماعة؟

## القسم الرابع

### المظاهر الإيجابية هناك

وبعد هذه الملامح أحب أن أتخفكم ببعض المظاهر الإيجابية الموجودة عند المسلمين هناك، وهذه المظاهر سأحدث عنها في جمهورية واحدة هي التي زرناها، وهي جمهورية تارستان، والتي عاصمتها قازان، وقبل أن أذكر هذه المظاهر الإيجابية أحب أن أقدم بمقدمة.

فأقول: إن هذه الجمهورية لا تكاد تختلف عن الجمهوريات الإسلامية الأخرى؛ وذلك بالنسبة لما ذكرناه سابقاً من محاولات المسخ والتغيير وأوضاع المسلمين هناك، وعندما نتكلم عنها إنمّا نعطي نموذجاً فقط لجمهورية إسلامية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق، وسوف أتحدث عن هذه الجمهورية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: عدد سكان هذه الجمهورية هو ثلاثة ملايين ونصف تقريباً، ونسبة المسلمين فيها تصل إلى ستين بالمائة تقريباً. والبقية من النصارى الروس، ويوجد قلة من غيرهم، وسكانها من التتار وهم معروفون بأنهم جزء من الأمة التركية المعروفة، ويرجعون إلى أصولها.

ثانياً: هذه الجمهورية غنية بثرواتها الزراعية والنفطية وكثرة الأنهار فيها، ويوجد بها نهر يخترقها وهو من أعظم الأنهار في العالم يسمى نهر الفالوجا، وهو نهر ضخم وعذب يعتبر من أجمل ما في تلك البلاد. وفيها أنهار كثيرة جداً تعد بالآلاف.

ثالثاً: هي منطقة دخلها الإسلام قديماً، بل إن لها نشاطاً إسلامياً متميزاً في العصور الحديثة، قبل الحكم الشيوعي لما كانت روسيا القيصرية هي التي تحكم البلاد، حيث صدر قانون يسمى في ذلك الوقت قانون حرية التدين،

وكان صدوره سنة ١٣٢٣ هجرية الموافق ١٩٠٥ ميلادية أي: قبل الحكم الشيوعي باثني عشر عاماً تقريباً.

ولما صدر هذا القانون، دخل في الإسلام الألوف من الناس في هذه المنطقة - أي منطقة تارستان -، بل إن هناك أسراً دخلت في الإسلام بكاملها. وتحولت مدينة قازان العاصمة إلى عاصمة إسلامية كبرى. فأنشئت فيها جامعة إسلامية كان يدرس فيها في وقت من الأوقات أكثر من سبعة آلاف طالب.

وكانت فيها مطبعة عربية مشهورة طبعت عدداً كبيراً من أمهات الكتب الإسلامية، ولا تزال طبعات مدينة قازان من أندر الطبعات في العالم. ورأينا في المكتبات هناك كتباً كثيرة جداً في العقيدة والفقہ ... وغيرها. مطبوعة في المطبعة القازانية.

وأنشئ في قازان مركز ضخّم للدعوة الإسلامية، وكان لعلماء قازان جهود كبيرة في نشر الإسلام، ولكن كل هذه المظاهر الإيجابية التي مرت علينا، والتي جعلت من مدينة قازان عاصمة عريقة من عواصم المسلمين في بلاد المشرق.

كل هذه الأمور قضى عليها قضاءً مبرماً حينما قام الحكم الشيوعي في سنة ١٩١٧ ميلادية، وعاشت هذه البلد سبعين عاماً عملت فيه الشيوعية مسخاً وإفساداً، وإلغاءً لهويته الإسلامية.

وأصبح من أبرز ما يشاهده الإنسان من آثار الحكم الشيوعي: الجهل بالإسلام، جهلاً مطبقاً، حتى إن بعض المسلمين هناك يجهلون أن هذا النصراني كافر أم لا؟ ولقد سُئلنا أكثر من مرة: هل النصراني لا يدخل الجنة؟ انظروا كيف يبلغ الجهل بالإسلام هذا المبلغ.

رابعاً: أوضاع المساجد الباقية هناك، حيث الاستهانة بترك الصلاة: فإذا نظرت داخل المساجد وقت الصلاة، لا تجد مصليين وقت الصلاة. مع أن المسلمين بالهوية بالآلاف، ومع ذلك لا تجد من المصليين إلا عدداً قليلاً، فيصلّي في صلاة الظهر عدد محدود، خمسة أو ستة أفراد أو عشرة أفراد. وفي صلاة الجمعة في المدينة التي يبلغ عدد سكانها أكثر من مائة ألف، لا يكاد يصلّي في المسجد أكثر من ألفين وربما أقل من ذلك.

ثم إذا جاء يوم العيد صلى أضعاف هذا العدد فقط، أما ما عدا ذلك من الصلوات مثل الصلوات الخمس، فلا يكادون يعرفون الصلوات، مثل الصلوات الخمس.

أضف إلى هذا: انتشار شرب الخمر بين المسلمين، والتفسخ عند النساء المسلمات ... كل هذا من آثار الشيوعية فكراً وتطبيقاً.

أما العلماء، فهم معدومون هناك حتى أنك إذا قابلت من يشار إليه منهم، وجدته يقول لك: ليس عندي من العلم شيء، ولا يعلم إلا مبادئ بسيطة، ويحفظ قليلاً من القرآن.

ومع هذه السلبيات التي ذكرتها قبل قليل، ومع هذا المسخ الكامل الذي تعرض له المسلمون في هذه الجمهورية، إلا أن هناك ظواهر إيجابية أذكرها كما يلي:  
أولاً: هناك إقبال شديد على الإسلام وحب للتعرف على عقيدته وأحكامه خاصة ممن يحملون الهوية الإسلامية.

ثانياً: حرص المسلمين هناك - وخاصة أئمة المساجد والموجهين منهم - على طلب العلم الشرعي بدءاً بقراءة القرآن، ثم تعلم العقيدة الصحيحة والأحكام الشرعية، ومن مظاهر هذا الحرص: أننا قابلنا عدداً من الطلاب لا يحفظون إلا الفاتحة ومع ذلك حرصوا حرصاً شديداً أثناء الدورة على حفظ

القرآن، فبعضهم حفظ ثلاث سور أو أربع سور خلال الدورة فقط، وذلك من أواخر القرآن .

ثالثاً: من خلال التجول في القرى وفي غيرها كثيراً ما يشتكي أهلها من ظلم الشيوعية ويحدثوننا عن قصص دامية مؤلمة ومؤثرة وقعت لهم ولآبائهم في السابق، وكانوا يتقبلوننا بمحبة وفرح شديدين وكانوا يقولون لنا أحياناً: كيف تريدون أن نمحو سبعين عاماً من الجهل المطبق والحكم الشيوعي الغاشم بنصف ساعة أو بساعة تجلسونها معاً.

رابعاً: من المشاهد المؤثرة أنه في مدينة اسمها أكتوبرسكي، وهذه المدينة تقع في تترستان رأى الإخوة في إحدى المدارس الإسلامية هناك سكناً للطلاب، وسكناً للمدرسين، ورأوا بجوار سكن المدرسين غرفاً نظيفة مجهزة لم تسكن، ولما سألوا مدير المدرسة والمسؤولين عنها لماذا هذه المساكن لم تسكن؟

قال: إننا أخلينا هذه للمدرسين الذين سيأتون من بلاد العرب ليعلمونا اللغة العربية والدين الإسلامي .

فقيل لهم: وما أدركوا بذلك؟ قالوا: إن إخواننا المسلمين هناك إذا علموا بحالنا واستطاعوا أن يصلوا إلينا فإنهم لن يقصروا وسيأتوننا، وسيكونون معنا ويعلموننا .

وهذا الشعور الذي يشعر به المسلمون هناك نوجهه لكل مسلم ونوجهه للدعاة ولطلبة العلم المكديسين في بلاد المسلمين . بينما المسلمون هناك يحتاجون إلى الواحد، وأعداؤنا من أهل البدع ينشطون هناك نشاطاً عجيبياً!!! .

خامساً: من المظاهر الايجابية: الاهتمام بالعلم الشرعي، حيث نجد إقبال الطلاب على هذه الدورات، فهذه الدورة التي أقيمت في قازان اشترك فيها

ما يقرب من مائة وخمسين طالباً، هؤلاء الطلاب جاءوا من هذه المدينة ومن غيرها، وبعضهم جاء من مسافة تبعد أكثر من ألف كيلو متر ليدرس في هذه الدورة التي استمرت قرابة أسبوعين فقط.

وهذا يدلُّ على حرصهم على طلب العلم، ولقد كانوا حريصين على الكتاب الإسلامي، وحريصين على تعلم العقيدة، وحريصين على تلقي وكتابة كل ما يسمعون. وهذا - والحمد لله - يبشر بالخير، ويدل على أن هؤلاء المسلمين مقبلون على دينهم.

أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يشبتهم، وأن يبصرهم بدينهم، وأن يشبتنا وإياهم على الخير والهدى.

سادساً: ومن المظاهر الايجابية: بناء المساجد، فهناك جهودٌ كبيرة جداً لبناء المساجد، وهذه المساجد غالباً ما يبنيتها أصحاب تلك البلاد، فهي مشاريع نابعة من ذوات أنفسهم، والحمد لله أنك لا تكاد تجد قرية إلا وفيها مسجد قد بني الآن أو مسجد تحت البناء، ولا تكاد تجد قرية إسلامية إلا وأهلها حريصون على بناء المساجد، ويلاحظ أن أشد ما يواجهونه الآن بالنسبة لهذه المساجد هو نقص الدعم المادي اللازم لإكمالها، وذلك نظراً لانخفاض قيمة العملة وغلاء الأسعار.

سابعاً: مررنا بعدد من المساجد بدأ المسلمون بنائها وما استطاعوا إكمالها، مررنا بمسجد في إحدى القرى وقالوا لنا انظروا إلى هذا المسجد نحن نحتاج إلى مليون من الروبلات - أي إلى ألف دولار - إن ساعدتمونا أكملنا بناء هذا المسجد.

ومررنا على مدينة تسمى بوقرسلان، وهذه المدينة للمعلومية ليست داخلية في تارستان إنما هي مدينة تابعة لروسيا نفسها، لأننا كنا على أطراف تارستان من جهة روسيا، فسافرنا إلى هذا المدينة التي تبعد عن تارستان أكثر من مائة كيلو،

وهي تابعة لمدينة موسكو، مررنا بهذه المدينة فوجدنا رجلاً من التجار المسلمين بذل جميع ماله لبناء مسجد، وكان المسجد ضخماً، وقد ألحق به مدرسة لتعليم الإسلام لأولاد المسلمين هناك، ولكن هذا الرجل لم يستطع إتمام المسجد ولا المدرسة ولم يستطع أيضاً مسلمو هذه الناحية إكمالهما.

أنفق هذا التاجر فيه أمواله. وقال لنا المسلمون هنا إنه مر بهم عدد من المسلمين الزائرين ووعدهم بالمساعدة. فهذا مسجد يشكو إلى الله سبحانه وتعالى ويجأ إليه غفلة المسلمين عنه في مقابل الكنائس التي تُبنى هناك ويدفع لها النصارى الملايين. ويوقفون لها الأوقاف ويجرون عليها الدخول<sup>(١)</sup>.

ثامناً: من المظاهر الإيجابية أيضاً: بناء المدارس: وهذه ظاهرة ممتازة جداً، إلا أنها قليلة، وفي الغالب تكون هذه المدارس تابعة للمساجد، تجدها بجانب ملاصقة له، أو على بعد أمتار منه، ويكون في المدرسة سكن وصلات للطعام يقوم عليها إمام المسجد وأهل الخير، مع العلم أنهم لا يتلقون أي مساعدة من الجهات الرسمية هناك، وإنما يتلقون المساعدة من بعض المحسنين.

وأحياناً يقوم الداعية منهم بعمل التجارة حتى يعف نفسه وأولاده عن السؤال.

وأحياناً تكون المدارس مستقلة وبعيدة عن المساجد، وهذه المدارس أيضاً قليلة جداً وتحتاج إلى تموين ضخم.

وقد زار بعض إخواننا في الدورة مدرسة في إحدى المدن هناك، وكانت هذه المدرسة فيها من التهيئة للطلاب مما يلزمهم الشيء الكثير، بل إننا ونحن في

(١) بعد كتابة هذا الكلام بزمن قامت إحدى المؤسسات الخيرية في هذه البلاد بإتمام بناء المسجد والمدرسة، وهما قائمان عامران بالمصلين والدارسين - فجزاهم الله خير الجزاء وأجزل لهم المثوبة.

الدورة تُدرّس الطلاب كذا إذا رأينا الطالب الممتاز نسأل من أين قدم، من أي الجمهوريات، ومن أي البلاد، فنجد أن أغلب الطلاب الممتازين جاءوا من تلك المدارس، وهذا يبين أهمية بناء المدارس في هذه البلاد وفي غيرها. فبناء المسجد أمر طيب ومهم جداً، ومثله بناء المدارس، والحاجة إلى كل منها ماسة جداً.

تاسعاً: ومن المظاهر الإيجابية: دور المسلمات الداعيات حيث إننا سمعنا عن امرأة مسلمة داعية صنعت ما لم يصنعه الرجال، ففي مدينة قازان سمعنا عن هذه المرأة الداعية، ولما سمعنا تفاصيل أخبارها وأحوالها احتقرنا أنفسنا.

ظلت هذه المرأة خمسة عشر عاماً تدعو إلى الله سرّاً، ولقد كانت تتنقل كل يوم إلى البيوت بصفة خاصة وسرية، وتلتقي هناك بالنساء المسلمات تعلمهنّ القرآن الكريم، خمسة عشر عام من زمن الحكم الشيوعي تخرج للدعوة وتخرج أحياناً على قدميها، وضعت لنفسها جدولاً منظماً؛ اليوم في بيت فلانة، واليوم الآخر في بيت فلانة، واليوم الثالث والرابع ... وهكذا طوال هذه المدة!!!.

ثم إنها ربت أسرتها وأولادها فرأينا من أسرتها عجباً، رأينا لها أبناء كلهم من كبار الدعاة في تارستان أحدهم من كبار الدعاة في تارستان.

ثم إننا رأينا أزواجاً لبناتها الأربع من كبار الدعاة إلى الله مع ابنها. فأحد أزواج بناتها مقيم في إحدى الجمهوريات خارج تارستان، وهو من الدعاة إلى الله.

ومفتي تارستان سابقاً هو زوج لأحد بناتها.

وزوج ابنتها الثالثة يقيم في إحدى المدن وهو إمام لمسجد وهو من كبار الدعاة.

وزوج ابنتها الرابعة مقيم في إحدى المدن، وهو من الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى.

وهي لاتزال إلى الآن تلقي دروسها لكنها تلقيها علناً، بعد أن كانت تلقيها سرّاً.

فتعجبنا وقلنا: سبحان الله! كيف تصنع هذه المرأة؟ وكيف يمكن أن تصنع المرأة المسلمة في كل مكان وفي كل زمان؟!!!

عاشراً: ومن المظاهر الإيجابية: أن بعض المسلمين هناك أبقوا على الإسلام في المدارس والغرف السرية تحت الأرض، فإن المسلمين لما حُكِموا بالحكم الشيوعي، صار الواحد منهم يعلم أولاده سرّاً، ووضعوا مدارس خفية تحت الأرض ينزلون إليها في الأقبية يعلمون أولادهم فيها الإسلام، وهذه المدارس كانت موجودة في أيام الحكم الشيوعي وكان لها أثراً طيباً والحمد لله.

حادي عشر: ومن المظاهر الإيجابية: في السنوات الأخيرة عدد من الطلاب من هناك وهم الآن يدرسون اللغة العربية والعلوم الشرعية في الجامعة الإسلامية، وفي جامعة الإمام، وقد أتى عدد لا بأس به منهم، ولا يزالون يأتون على قلة، وهذه بادرة طيبة نطلب من المسلمين ومن القائمين على هذه الجامعات أن يفتحوا المجال أكثر وأكثر لهؤلاء الطلاب المسلمين، فإنهم أحوج ما يكونون إلى الحضور إلى هنا؛ ليتعلموا العقيدة الإسلامية السليمة، وليتعلموا العلوم الشرعية الإسلامية الأصلية، وحتى لا يتخطفهم أهل البدع من كل مكان.

ثاني عشر: زرنا الأكاديمية العلمية في مدينة قازان، أي ما فوق الجامعة، والتقينا بهؤلاء المسئولين عنها، وهناك دار حديث متشعب عن أحوال المسلمين في تارستان وعن أملهم في المستقبل. وطرحنا عليهم فكرة أن ينشئوا أقساماً للدراسات الشرعية، ولدراسة العقيدة الإسلامية، ورحبوا بذلك، ولكن قالوا: إن أمامنا عقبة، وهذه العقبة تتمثل في أمرين، هما:

الأول: قالوا: ليس عندنا علماء وأساتذة في التخصصات الشرعية الإسلامية.

الثاني: في لغتنا التتارية، لا توجد الكتب التي يمكن من خلالها أن نتعلم وأن نعلم. وهذا الإشكال نظرحه على جامعات المسلمين، نقول: هم يريدون خيراً ويريدون فتح مجالات للبحث العلمي المتعمق بالإسلام، ولكن يحول دون ذلك أنه ليس هناك علماء متخصصون. فهل يقوم المسلمون بهذه المهمة؟



## القسم الخامس العبر والدروس العامة

بعد أن ذكرنا المظاهر الإيجابية أقف في ختام تلك الرسالة مع بعض العبر والدروس الخاصة، فأقول:

أولاً: إن من أعظم هذه الدروس وأكبرها لمن علم أحوال الاتحاد السوفيتي سابقاً أو زاره، أن يعلم ويوقن أن دين الله غالب ولا يُغلب أبداً، وأن الله - سبحانه وتعالى - ناصر دينه.

لقد قامت الشيوعية بما يشبه الأساطير في حرب الإسلام هناك، ومع ذلك عاد الإسلام، وسيعود قوياً - إن شاء الله - . فهل يعني ذلك أعداء الإسلام؟ وهل يعني ذلك أولئك الذين يحاربون الإسلام؟

إن هناك درساً مهماً جداً يجب أن نقف عنده وهو: أن الإسلام مهما حُورب في أي مكان، أو حاول أعداؤه أن يقضوا عليه، فإن الله سبحانه وتعالى لا يبد أن ينصر دينه وأن يعيد للإسلام قوته ومجده، هذه سنة الله سبحانه وتعالى. فهل يعني ذلك أعداء الإسلام في الغرب والشرق؟

وهل يعني ذلك أذئابهم من المسلمين الذين يحارب أكثرهم الإسلام ويحارب أكثرهم الصحوّة الإسلامية؟ هل يعوا هذه الحقيقة؟ ليعلموا أنهم مهما عملوا وسعوا في إسكات صوت الإسلام والدعوة والوقوف في طريقه، فلن يبلغوا، ولن يصلوا إلى الحد الذي بلغه الشيوعيون في ذلك. ومع هذا فقد انهارت الشيوعية وولّت وبقى الإسلام. إنه درس يجب على الجميع أن يعيه.

ثانياً: الأحزاب الشيوعية العربية: فإن لبعض المسلمين انتماءاتهم الحزبية لتلك الدول الشيوعية، فهل يراجع أولئك حساباتهم؟؟ وأقول: إن هذا الكلام لا يوجه إلى الذين يتعلقون بالشيوعية فقط، فإنني أعلم أن تعلقهم الآن إنما هو

تعلق بخيط العنكبوت، ولكنني أقول بالمقابل: هل يعي هذا الدرس أولئك الذين يتعلقون بالغرب الآن، وأولئك الذين يظنون أن هذا الغرب هو المهيمن وهو القوة العظمى، وسيظل هكذا على الدوام؟

ونسأل: أليس من الممكن - والله على كل شيء قدير - أن يجري على هؤلاء المتغطرسين في الغرب ما جرى على أولئك الشيوعيين في الشرق وقد كانوا قبل ذلك متغطرسين!!! إن هذا غير مستبعد، بل هو ممكن، والمؤشرات التي يراها المتأمل والفاحص لأحوال الغرب تدل على قرب وقوع هذا.

ثالثاً: إن من يتأمل أحوال المسلمين هناك، يرى أن فجر الإسلام الصادق قادم، وأن إرهابات نصر الإسلام والمسلمين بدأت تتوالى في الظهور، ولا شك أن المتأمل لواقع المسلمين اليوم يجد الإسلام يحارب في غالب بقاع الأرض وكل مكان وتكون النتيجة أن الغلبة له في كل مكان، فبمقدار ما يحارب هو ينتصر.

ومن هنا يجب على كل مسلم أن يعي دوره في هذه الحياة، وعليه أن يعي دوره في هذه المرحلة من الصراع بين الحق والباطل، إن المؤمن لا ييأس أبداً، ومهما حُورب المسلمون ومهما تكالب عليهم أعداؤهم من كل جانب، فإن المؤمن الصادق لا ييأس بل يثبت عند الشدائد، كما فعل أصحاب النبي ﷺ وقد أحاط بهم الأحزاب من كل جانب، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].

إننا نجد حرباً على الإسلام في كثير من بلاد المسلمين، بل وفي غيرها. والواجب علينا أن نعلم أن حربهم لنا وحرصهم الشديد على إغوائنا وإضلالنا هو دليل على أننا نسير على الحق وهو دليل على أن ما نحمله من عقيدة وما نتبناه من منهج هو حق، فعلينا أن نصبر وأن نثبت على دين الله تعالى، وأن نحذر من النكوص والتراجع.

## القسم السادس

## ما الذي يحتاجه المسلمون هناك؟

هذا سؤال طويل وعريض، والمتأمل لأحوال المسلمين هناك، يجد أنهم بحاجة إلى أمور كثيرة، أشير إليها بإجمال، فأقول - وبالله التوفيق -:

١ - هم بحاجة إلى مساعدة في بناء المساجد، وهذا معروف لدى الجميع، وينبغي أن نعلم أن المساجد هناك معلم مهم من معالم الإسلام، أمام القوى النصرانية والإلحادية، وحينما نعين المسلمين هناك ونساعدهم في بناء المساجد فنحن نرفع راية الإسلام عالية، ونبرز للمسلمين كياناً يدلّ على قوة الإسلام، وتواجد المسلمين وغيرتهم على دينهم.

٢ - إرسال الدعاة والثقات إلى هناك، ويكون إرسال الدعاة على وجهين:

الوجه الأول: إرسال الدعاة المتجولين الذين يذهبون إلى هناك على فترات لينظروا في أحوال المسلمين ويوجهونهم من خلال الخطب أو الدروس أو غيرها.

الوجه الثاني: توظيف الدعاة والمدرسين الذين يقيمون هناك بين السكان؛ ليعلموا المسلمين عقيدتهم الصحيحة ويربّوهم عليها. وهناك تجارب قام بها بعض الدعاة في هذه البلاد، وهي تصلح لتلك البلاد النائية ولغيرها، مثل ما قام به الداعية إلى الله الشيخ عبدالله القرعاوي - رحمه الله - فإنه لما سمع قبل سنين عديدة عن الجهل في المنطقة الجنوبية، شمر عن ساعد الجد وذهب إلى هناك، ولم يكن يومها عالماً كبيراً، ولكنه كان طالب علم وكان داعية صاحب غيرة على الدين والعقيدة، فذهب إلى هناك مع بعد الشقة وصعوبتها في ذلك الوقت، وبدأ الدعوة وأنشأ المدارس لتحفيظ القرآن، حتى إن مدارسه قبيل أن تُضم إلى وزارة المعارف في مطلع الثمانينات الهجرية قد بلغ عدد الطلاب فيها قرابة السبعين ألف طالب، ولا تزال آثار دعوته المباركة موجودة إلى الآن.

فالمسلمون في الجمهوريات الإسلامية هناك وفي غيرها من بلاد المسلمين تحتاج إلى هذا النوع من الدعاة الذين يقيمون هناك فترات طويلة ويتوفر فيهم علو الهمة والنشاط والإخلاص حتى تثمر دعوتهم وتنتج فيزيل بهم الجهل ويفتح بهم الآذان الصم والأعين العمي والقلوب الغلف.

٣- ينبغي إعطاء الفرصة لأكبر عدد ممكن من الطلاب ليأتوا من هناك للدراسة في الجامعات الإسلامية الموثوقة.

وقد أشرنا إلى هذا قبل قليل، ومن المهم فتح المجال لهؤلاء قبل أن تتخطفهم مدارس وجامعات أهل البدع، فإن أهل البدع يحرصون على استقدام هؤلاء الطلاب إلى بلادهم للدراسة، فيأتي الفرد من تلك البلاد خالي الوفاض، فيدرس في مدارس هؤلاء المبتدعين ليتحول ويرجع إلى بلاده داعية من دعاة البدعة، فالمسلمون أصحاب العقيدة السليمة السلفية التي تنتهج منهج أهل السنة والجماعة أولى بهم من غيرهم.

نعم، قد بُذلت جهودٌ مباركة في هذا الباب، سواء في قبول الطلاب هنا للدراسة، أو في عمل دورات هناك. ولكن الواقع يحتاج إلى المزيد والمزيد من هذا الجهد؛ ليدرسوا ويتعلموا ويرجعوا دعاة إلى الله سبحانه وتعالى.

٤- مما يحتاجه المسلمون هناك: طباعة الكتب - خاصة كتب العقيدة والكتب التي تشرح الإسلام - أولاً باللغة العربية، ثم بعد ذلك يتم ترجمتها إلى لغاتهم المحلية، وقد تعجبون إذا قلت لكم ونحن في تارستان: لم نجد في اللغة التتارية إلا كتيبات قليلة، ما رأيت إلا كتاباً أو كتابين باللغة التتارية مع المسلمين الذين يتحدثون تلك اللغة، وهم أكثر من أربعة ملايين!!! أين جهود المسلمين؟ لماذا لا ننبتى مجموعة من الدعاة هناك، وقد لقينا أناساً منهم يتقنون العربية ويتقنون التتارية، نبتناهم بحيث تتم الترجمة لهم عن طريق الأشرطة المسجلة، أو عن طريق الرسائل والكتب التي تترجم. إن النصارى هناك

نشطون جداً وينشرون عقيدتهم ويترجمون الكتب ويقومون بجهود متنوعة وتدعمهم قوى ودول. فهل يعي المسلمون وتجار المسلمين والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى هذا الواجب ويقومون بهذا الدور؟ نرجو ذلك.

٥- وهذا من أهمها، وقد سبقت الإشارة إليه: لا بد من إنشاء المدارس الثابتة هناك، فإنه قد تبين من خلال التجربة أن تربية الأطفال مهمة جداً، لقد نشأت الشيوعية جيلاً من المسلمين على الإلحاد، فيجب أن نقابل ذلك بإنشاء المدارس لتربي هؤلاء الصغار على الإسلام مرة أخرى، وهذا لا يمكن أن يقام به من خلال مدارسهم هناك لأنها لاتزال مدارس علمانية بعيدة عن الدين. إن المسجد مهم جداً؛ لأنه عنوان الإسلام هناك وفيه تقام الصلاة التي هي عمود الدين.

والمدرسة ضرورية أيضاً؛ لأنها ذات أثر عميق وكبير، وتأثيرها على المدى البعيد.

فلا بد أن نحرص جميعاً وأن نحرص الجمعيات الخيرية وغيرها على إنشاء المدارس هناك، وتوفير الدعاة والمدرسين الثقات الذين يقومون بتربية النشء في هذه البلاد على الإسلام. حتى لو وجدت مدرسة واحدة في كل بلد، فستكون بمثابة جامعة؛ لأنها تؤثر تأثيراً كبيراً على مستوى البلد من أوله إلى آخره؛ لأنها تبدأ بتربية الصغار على فهم العقيدة الصحيحة، وفي المستقبل القريب - إنشاء الله - سوف تتحول هذه البلاد، ويتحول هؤلاء الشباب إلى أناس يحملون راية التوحيد ويصبحون دعاة إلى الله سبحانه وتعالى لبني جنسهم ولغيرهم.

٦- بالنسبة لتجار المسلمين، يجب أن يستغلوا الحريات وحاجة المسلمين هناك، حيث إن هناك فرصاً كبيرة جداً لإنشاء المشاريع الناجحة اقتصادياً وبعد ذلك إسلامياً، ومن المؤسف حقاً أن الغرب سبقنا بوسائله التنصيرية إلى هناك، والشركات الغربية تأتي إلى هناك وتعمل عملها اقتصادياً فتستفيد ثم تعمل عملها

تنصيرياً، فهل يعني ذلك تجار المسلمين؟ نرجو ذلك، ونرجو أن تكون أمورهم مهياً لذلك.

٧- ومن المهم الاهتمام بالمشاريع الإسلامية هناك خاصة مع رخص الأسعار، وذلك بإنشاء المجلات الإسلامية، مع العلم أننا لم نجد هناك مجلة إسلامية، فكيف لو قام المتخصصون الإعلاميون مع التجار بإنشاء مجلة أو جريدة تتحدث عن الإسلام بلغتهم، لا شك أنه سيكون لها تأثير عظيم في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ومثلها الإذاعة... وغيرها.

٨- شراء الأراضي وتحويلها إلى أوقاف إسلامية، ومثلها المحلات التجارية، وغيرها. فإن هناك وسائل متعددة لمن أراد أن يقوم بالدور المطلوب منه لخدمة المسلمين هناك.

٩- وأخيراً أقول: لا بد لكل مسلم مطلع أن يشرح أحوال المسلمين لمن يلتقي به من إخوانه في الله وأن يبصرهم بأحوال المسلمين في كل مكان سواء كان في الجمهوريات الإسلامية فيما كان يسمى بالإتحاد السوفيتي سابقاً، أو في غيرها من بلاد المسلمين، لأن هذا واجب علينا جميعاً. والمؤمن للمؤمن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن نطق بالحق، وقال به، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يوفقني وإياكم إلى الخير والهدى وأن يثبتني وإياكم، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينصر المسلمين في الجمهوريات الإسلامية فيما كان يسمى بالإتحاد السوفيتي، وفي غيرها من بلاد المسلمين، اللهم انصر المسلمين والمجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم فك أسرهم، وارحم ضعيفهم، واجبر كسرهم، اللهم وفق المسلمين جميعاً لرفع راية الإسلام.

### الأسئلة

س ١: كيف الوصول إلى هذه البلاد للدعوة إلى الله؟ وما هي الشروط المطلوبة في ذلك؟

الجواب: ما أظنّ أن هناك شروطاً مطلوبة سوى أن يأخذ الإنسان فيزة دخول إلى هناك، والفرصة - والحمد لله - مهياً، لكن من المهم بالنسبة لمن يذهب إلى هناك أن يتعرف على بعض من ذهب قبله أو على بعض المسلمين هناك ممن يتعلم العربية حتى تنهياً أموره؛ لأنه إذا ذهب إلى هناك يحتاج إلى من يدلّه إلى الأماكن ويمر به على المسلمين ويعطيه الصورة الواضحة كما أنه يحتاج إلى اليقظة والبعد عن مواضع الفتن وهي كثيرة، والله المستعان.

س ٢: هل تنصح طلبة العلم بالذهاب إلى روسيا؟ وهل عملية التخاطب هناك مع المسلمين متيسرة؟ وما هي المسائل التي كثيراً ما يواجهها الداعية هناك؟

الجواب: نعم. أنصح طلبة العلم أن يحرصوا على الذهاب إلى هناك؛ وذلك من خلال منهج مدروس بحيث لا تكون الزيارة لفرجة وموعظة في مسجد ويرجع، بل لابد من منهج مدروس من خلال الجمعيات الخيرية هناك، وهي كثيرة وتضم مجموعة من الدعاة. وقد وضعت دروساً وقامت بدور طيب جداً.

فالدعاة عليهم أن يذهبوا من خلال منهج مدروس، وينظر في إجابة السؤال السابق فهي متممة لهذا السؤال.

والداعية هناك، لا يواجه مشكلات علمية عويصة؛ والأسئلة ليست صعبة، لأن المسلمين يجهلون الإسلام والكثير منهم بحاجة إلى معرفة مبادئ الإسلام، فالأمر يحتاج إلى صدق وإخلاص، كما يحتاج إلى دعمهم مادياً؛ لأن أحوال المسلمين هناك من خلال الحكم الشيوعي صعبة جداً، فاحرص إذا ذهبت إلى

هناك، أن تذهب من خلال منهج تتبناه أنت، لكن ليس شرطاً لكل داعية أن يذهب ويذهب معه المال.

ومن المهم أن تقوم الجمعيات الخيرية والتجار المسلمون بدور مهم وجاد في هذا الموضوع.

أما الداعية إلى الله سبحانه وتعالى، فإنه إذا ذهب إلى هناك يقوم بدوره وليست أمامه - والحمد لله - أي مشكلة سوى مشكلة التخاطب، وهذه المشكلة عليه أن يعالجها بان يرتب أمره مع بعض المسلمين هناك ممن يعرف العربية، وهذا - والحمد لله - متيسر، وإن لم يكن متيسر دائماً.

هذا ما أردت بيانه والإشارة إليه، من خلال تجربة قصيرة، لكن موضوعها كبير جداً، وأسأل الله تعالى أن يعيننا على أخذ العبر والدروس من أحوال المسلمين في كل مكان، وأن يوفقنا - وجميع المسلمين - إلى الدعوة إلى هذا الدين ونشر العقيدة السلفية الصافية، وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## الفهرس

٣	المقدمة
٥	الرسالة الأولى: منهج السلف في العقيدة
٧	المقدمة
١١	تمهيد
١٣	المبحث الأول: التعريف بالسلف وأهل السنة والجماعة وأهل الحديث
١٣	أولاً: تعريف السلف
١٥	ثانياً: أهل السنة
١٨	ثالثاً: الجماعة
٢٠	اختلاف العلماء في المقصود بالجماعة
٢٥	رابعاً: أهل الحديث
٢٩	المبحث الثاني: من المقصود بالسلف ونشأة التسمية بأهل السنة والجماعة
٢٩	أولاً: المقصود بالسلف
٣٤	ثانياً: نشأة التسمية بأهل السنة والجماعة
٤٣	المبحث الثالث: منهج السلف في العقيدة
٤٥	أولاً: منهج السلف في العقيدة
٤٥	١- اقتصارهم في مصدر التلقي على الكتاب والسنة الصحيحة
٤٩	٢- عدم الخوض في علم الكلام والفلسفة
٥٥	٣- حجية السنة في العقيدة ومن ذلك خبر الآحاد
٦١	- تميز الصحابة في فهم العقيدة بميزات
٦٨	ثانياً: ما تميز به السلف عن غيرهم
٧٧	الخاتمة

- ٧٩ الرسالة الثانية: مصدر تلقي العقيدة عند السلف الصالح
- ٨١ المقدمة
- ٨٣ المبحث الأول: مقدمات مهمة لا بد منها
- ٨٣ أولاً: تقسيم الدين إلى أصول وفروع
- ٨٤ ثانياً: التقسيم الصحيح هو خبر وطلب
- ٨٩ المبحث الثاني: منهج السلف في مصدر التلقي
- ٨٩ أولاً: الكتاب والسنة مصدر التلقي
- ٩٠ - اتجاهات الناس نحو الكتاب والسنة
- ٩١ - الاعتماد على الكتاب والسنة له معالم أساسية
- ٩٢ - نصوص الكتاب والسنة قسمان
- ٩٣ ثانياً: الاعتماد على فهم الصحابة
- ٩٥ ثالثاً: الإجماع
- ٩٦ رابعاً: موقع دلائل العقول
- ٩٨ خامساً: الفطرة
- ١٠١ المبحث الثالث: منهج السلف في الاستدلال
- ١٠٤ - شروط من يتصدى للافتاء
- ١٠٥ - أنواع الافتاء
- ١٠٧ الرسالة الثالثة: عبادة القلب
- ١٠٩ المقدمة
- ١١٠ هل العقل محله الدماغ أو القلب
- ١١٢ أمور لا بد من بيانها
- ١١٢ ١- الإنسان كائن متميز عن غيره

- ١١٢ - ٢- الروح التي في الإنسان تتعدى ما يفهمه البعض
- ١١٣ - ٣- الإنسان له أحوال عديدة بداخل نفسه
- ١١٤ - ٤- قوة الرجال لا ترتبط الذكاء فقط
- ١١٤ - العقل له تعلق بالقلب والدماغ جميعاً
- ١١٦ - أمثلة حيرة وشقاء أصحاب العقول
- ١١٩ الفرق بين عبادة العقول وعبادة القلوب
- ١٢١ - عبودية القلب يعرف حقيقتها من عرف عدد من الأمور
- ١٢٣ - مراتب العبودية
- ١٢٤ - الأسس التي تقوم عليها عبودية القلب
- ١٢٨ - الأمور التي تعين على تحقيق عبادة القلب لله
- ١٣٢ - الاعتراض على الله ثلاثة أنواع
- ١٣٧ - الأسئلة
- ١٣٧ س ١ هناك بعض العبادات تجهل فيها الحكمة
- ١٣٧ س ٢ ما هو موقع النفس في الجسم وكيف يمكن محاسبتها
- ١٣٩ س ٣ لو إنسان مسلم نقل له قلب كافر وزرع في جسده فهل يؤثر فيه
- ١٣٩ س ٤ هل التدخين يؤثر في عبادة القلب
- ١٤٠ س ٥ أين مكان الشهوة في جسم الإنسان
- ١٤٠ س ٦ أحياناً أحس بوسوسة في أعمالي وأحياناً أشعر بالكبر والغرور
- ١٤١ س ٧ لدي بعض القدرات في الدعوة إلى الله غير أن قلبي رقيق
- ١٤٣ الرسالة الرابعة: وقفات مع معاني بعض أسماء الله الحسنی
- ١٤٥ المقدمة
- ١٤٧ العلم بأسماء الله وصفاته ترجع إلى أمور

- ١٥٥ اسمه تعالى السميع
- ١٥٦ السمع ينقسم إلى قسمين
- ١٥٦ القسم الأول: أحداث من السيرة
- ١٦٠ القسم الثاني: أثر الإيمان بأسماء الله
- ١٦٣ الرسالة الخامسة: تعظيم حرّمات الله
- ١٦٥ المقدمة
- ١٦٥ حرّمات الله لا تقتصر على الحج والعمرة
- ١٦٦ التلازم بين تعظيم حرّمات الله وتعظيم شعائره
- ١٦٧ أسس وشروط تعظيم الحرّمات
- ١٦٨ تعظيم الحرّمات في عصرنا
- ١٦٩ أولاً: مسؤوليتنا الخاصة
- ١٧٣ ثانياً: مسؤوليتنا تجاه انتهاك حرّمات الله خارج بلاد المسلمين
- ١٧٥ الرسالة السادسة: منزلة النبي ﷺ عند رب العالمين
- ١٧٧ المقدمة
- ١٧٨ أولاً: آيته العظمى القرآن الكريم
- ١٧٨ ثانياً: النبوة والرسالة وختمها به صلى الله عليه وسلم
- ١٧٩ ثالثاً: عموم رسالته إلى العالمين جميعاً
- ١٧٩ رابعاً: رفع الله ذكره في العالمين
- ١٨٠ خامساً: قرن الله طاعته بطاعة رسوله
- ١٨٣ سادساً: ثناؤه تعالى على رسوله في القرآن
- ١٨٥ سابعاً: إكرام الله تعالى لنبيه في أمته

- ١٨٩ الرسالة السابعة: أخطاء عقديّة
- ١٩١ المقدمة
- ١٩٥ المجموعة الأولى: أخطاء في قضايا عامة
- ١٩٥ أولاً: خطأ في مفهوم مدلول لا إله إلا الله
- ١٩٦ ثانياً: خلط في مفهوم الولاء والبراء
- ١٩٦ صور شائعة لموالاتة الكفار
- ١٩٧ ثالثاً: خطأ في مفهوم العبادة
- ١٩٨ رابعاً: خطأ في مفهوم الوسط في الدين
- ٢٠٠ خامساً: الخلط في فهم مصطلح أهل السنة والجماعة
- ٢٠٠ سادساً: مسألة وجوب طاعة الله ورسوله
- ٢٠٢ سابعاً: التشبيه بالكفار
- ٢٠٣ ثامناً: توهم العلم الحديث يعارض نصوص القرآن والسنة
- ٢٠٥ المجموعة الثانية: أخطاء تتعلق بأنواع من الشركيات ونحوها
- ٢٠٥ أولاً: كثرة السحرة والكهنة والمشعوذين
- ٢٠٧ ثانياً: شد الرحل والسفر لزيارة قبر الرسول
- ٢٠٨ ثالثاً: التبرك بقبر النبي أو التمسح
- ٢٠٩ رابعاً: قراءة الفاتحة على الميت
- ٢٠٩ خامساً: زيارة القبور للنساء
- ٢٠٩ سادساً: الحلف والقسم بغير الله تعالى
- ٢٠٩ سابعاً: الاستغاثة والاستجارة بغير الله تعالى
- ٢١٠ ثامناً: الذبح لغير الله تعالى
- ٢١٠ تاسعاً: اعتقاد أن الرسول ﷺ نور

- ٢١١ عاشراً: الاستهزاء بالدين والملتزمين
- ٢١٣ المجموعة الثالثة: أخطاء تتعلق بالرقى والتمايم ونحوها
- ٢١٣ أولاً: ما يتعلق بقراءة القرآن
- ٢١٣ ثانياً: التمايم من القرآن
- ٢١٤ ثالثاً: قول لو أني فعلت كذا
- ٢١٥ رابعاً: التشاؤم بشهر صفر
- ٢١٥ خامساً: التفاؤل من المصحف
- ٢١٥ سادساً: التعلق بالأسباب دون الله
- ٢١٦ سابعاً: ظن بعض الناس أنه لا حاجة إلى الدعاء
- ٢١٨ ثامناً: الخوف الشديد من العين
- ٢١٩ المجموعة الرابعة: أخطاء تتعلق بالألفاظ ونحوها
- ٢١٩ أولاً: شكوى الزمان
- ٢٢٠ ثانياً: إن المادة لا تفنى
- ٢٢٠ ثالثاً: قول التقوى في القلب
- ٢٢١ رابعاً: اشتهاى بعض الأسماء التي ينبغي تغييرها وتبديلها
- ٢٢١ خامساً: قول بعضهم خير يا طير
- ٢٢١ سادساً: الحلف بغير الله
- ٢٢٢ سابعاً: قول بعضهم أدام الله أيامك
- ٢٢٢ ثامناً: قول بعضهم الله يسأل عن حالك
- ٢٢٢ تاسعاً: شاءت الأقدار
- ٢٢٢ عاشراً: وجه إلا تأكل
- ٢٢٢ الحادي عشر: دعاء الله على حسب التخصص

- ٢٢٣ الثاني عشر: قول بعضهم لا يجوز السؤال بأين الله
- ٢٢٥ الأسئلة
- ٢٢٥ س ١: ما هو الفرق بين الشرك والكفر؟
- ٢٢٥ س ٢: كيف نعرف مكان السحر؟
- ٢٢٥ س ٣: التعامل مع المدرسين الرافضة في المدرسة
- ٢٢٦ س ٤: الصلاة مع الشيخ الفلاني في منطقة أخرى
- ٢٢٦ س ٥: هل يجوز شدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة بقصد السياحة؟
- ٢٢٦ س ٦: ما رأيكم في الذي يرفض الرقية الشرعية
- ٢٢٧ س ٧: الكتب التي تنصحون بتعلمها في العقيدة؟
- ٢٢٧ س ٨: ما رأيك فيمن يقول: إن تعلم علم العقيدة غير مهم؟
- ٢٢٨ س ٩: عبارة البعض يقول أن الله في كل مكان؟
- ٢٢٨ س ١٠: هل يجوز الغسل من الجنابة في دورات المياه؟
- ٢٢٨ س ١١: أنا استقدم عمالة كفارة؟
- ٢٢٩ س ١٢: كيف يحقق المسلم التوحيد حقاً؟
- ٢٢٩ س ١٣: علامات المشعوذ ما هي؟
- ٢٣٠ س ١٤: ما رأيكم في قراءة حظك اليوم في الجريدة أو المجلة
- ٢٣١ الرسالة الثامنة: ظاهرة الهجوم على منهج السلف
- ٢٣٣ المقدمة
- ٢٣٧ القسم الأول: أسباب الهجوم على مذهب السلف
- ٢٣٧ أولاً: الأسباب العامة
- ٢٣٨ ثانياً: الأسباب الخاصة
- ٢٤١ القسم الثاني: مظاهر الهجوم على منهج السلف

- ٢٤١ أ- عالمياً
- ٢٤٢ ب- اتهام عقيدة السلف بأنها تكفيرية
- ٢٤٣ ج- ظهور أهل البدع وعلو صوتهم
- ٢٤٤ د- ظهور أصحاب الفكر المنحرف
- ٢٤٦ أخطر مجالات عملهم التغريبي والإفسادي للعقيدة وللأمة
- ٢٤٦ أ- التعليم، ب- الإعلام، ج- المرأة
- ٢٤٧ هـ- تشجيع الناكسين على أعقابهم
- ٢٤٩ القسم الثالث: العلاج ووسائله
- ٢٤٩ ١- ثبات المؤمنين على منهج السلف
- ٢٥٠ ٢- الصبر والمصابرة على المنهج
- ٢٥٠ ٣- التأصيل العلمي
- ٢٥١ ٤- وجود مشروعات دعوية
- ٢٥١ ٦- اختيار كتب منهجية مركزة تعيد الثقة بالمنهج الصحيح
- ٢٥٢ ٧- انتشار مراكز بحوث للردود والمناقشات
- ٢٥٢ ٨- الأقسام العلمية الشرعية في الجامعات
- ٢٥٢ ٩- المجالات الإسلامية
- ٢٥٢ ١٠- السعي لبث عدة محطات فضائية موثوقة
- ٢٥٢ ١١- دراسة مواقع الشبكة المعلوماتية
- ٢٥٢ ١٢- دراسة مشكلة التعليم والإعلام
- ٢٥٢ ١٣- الاحتساب على هؤلاء بشتى الوسائل المناسبة
- ٢٥٣ ١٤- النصح لهؤلاء المنحرفين
- ٢٥٣ ١٥- فضح مخططات هؤلاء المنحرفين

- ٢٥٣ -١٦- التصدي عن طريق الاحتساب
- ٢٥٣ -١٧- مداومة الرد على المنحرفين وأهل البدع
- ٢٥٣ -١٨- إظهار تناقض هؤلاء في كل وقت
- ٢٥٤ -١٩- نشر العقيدة الصحيحة
- ٢٥٤ -٢٠- التركيز على دعوة السلف
- ٢٥٤ -٢١- العمل على وضع كتاب يضم تراجم الأئمة السائرين على منهج السلف
- ٢٥٤ -٢٢- الرد على مسائل التجديد والتنوير
- ٢٥٥ -٢٣- إنشاء مركز علمي (مستقل) يتولى شؤون هذه المسائل
- ٢٥٧ الرسالة التاسعة: عبر ودروس من زيارة بلاد الروس
- ٢٥٩ المقدمة
- ٢٦١ القسم الأول: ملامح سريعة عن تاريخ روسيا
- ٢٦١ -أفعال الشيوعيون في روسيا
- ٢٦١ أولاً: إلغاء الدين ومحو آثاره
- ٢٦٢ ثانياً: قتل المسلمون الذين أبوا إلا أن يبقوا على دينهم
- ٢٦٢ ثالثاً: تربية جيل جديد على الشيوعية
- ٢٦٢ رابعاً: هدم المساجد
- ٢٦٢ خامساً: إحكام الهيمنة الفكرية والتعليمية والإعلامية
- ٢٦٢ سادساً: إلغاء الدين من المدارس
- ٢٦٢ سابعاً: فرض الشيوعية كمبدأ إلحادي
- ٢٦٣ ثامناً: التغير الجغرافي السكاني
- ٢٦٣ تاسعاً: مسخ المسلمين
- ٢٦٣ عاشراً: غزو بلاد المسلمين المجاورة

- ٢٦٥ القسم الثاني : وقفة مع انهيار الاتحاد السوفيتي
- ٢٦٥ أولاً : تصدع الكيان من الداخل
- ٢٦٥ ثانياً : ضعف الصناعة والتكنولوجيا
- ٢٦٥ ثالثاً : فشل الأجهزة الدقيقة
- ٢٦٥ رابعاً : حادث الزلزال الذي وقع في روسيا
- ٢٦٦ خامساً : الانهيار الاقتصادي
- ٢٦٦ سادساً : بذور الصحوة الإسلامية
- ٢٦٦ سابعاً : إرادة الله سبحانه وتعالى
- ٢٦٧ ثامناً : مساعدة الشيوعية للأرمن النصارى
- ٢٦٧ تاسعاً : رفض استقلال جمهورية تارستان
- ٢٦٩ القسم الثالث : ملاحظات وشواهد
- ٢٦٩ أولاً : جمال تلك البلاد
- ٢٦٩ ثانياً : العمارات العالية
- ٢٧٠ ثالثاً : الوضع الاجتماعي
- ٢٧٠ ١- التفكك الأسري
- ٢٧٠ ٢- الفساد الأخلاقي
- ٢٧٠ ٣- تفسخ النساء
- ٢٧٠ ٤- الفساد الإداري والاقتصادي
- ٢٧١ ٥- ظاهرة انتشار المنصرين
- ٢٧٢ ٦- دخول النصارى لسكن المسلمين
- ٢٧٣ أ - بناء الكنائس الجديدة الضخمة
- ٢٧٣ ب - اقامة المؤتمرات التنصيرية

- ٢٧٣ ج - مزاحمة أي مشروع إسلامي
- ٢٧٣ د - المنصرون من أوروبا
- ٢٧٣ ٧ - نشاط الرافضة والمذاهب الهدّامة
- ٢٧٣ ٨ - نشاط الطرق الصوفية
- ٢٧٥ القسم الرابع: المظاهر الإيجابية هناك
- ٢٧٥ أولاً: عدد سكان المسلمين
- ٢٧٥ ثانياً: هذه الجمهورية غنية بثرواتها
- ٢٧٥ ثالثاً: من المناطق التي دخلها الإسلام قديماً
- ٢٧٧ رابعاً: أوضاع المساجد هناك
- ٢٧٨ خامساً: الاهتمام بالعلم الشرعي
- ٢٧٩ سادساً: بناء المساجد
- ٢٧٩ سابعاً: بناء مساجد ولم تكتمل
- ٢٨٠ ثامناً: بناء المدارس
- ٢٨١ تاسعاً: دور المسلمات الداعيات
- ٢٨٢ عاشراً: بقاء المسلمين على الإسلام
- ٢٨٢ الحادي عشر: عدد منهم يطلب اللغة العربية والعلوم الشرعية
- ٢٨٢ الثاني عشر: الاكاديمية العلمية
- ٢٨٥ القسم الخامس: العبر والدروس العامة
- ٢٨٥ أولاً: دين الله غالب
- ٢٨٥ ثانياً: الأحزاب الشيوعية العربية
- ٢٨٦ ثالثاً: فجر الإسلام قادم

- ٢٨٧ القسم السادس : ما يحتاجه المسلمون
- ٢٨٧ ١- بناء المساجد
- ٢٨٧ ٢- ارسال الدعاء
- ٢٨٧ ٣- اعطائهم الفرصة للدراسة في الجامعات الإسلامية
- ٢٨٧ ٤- طباعة الكتب بلغتهم
- ٢٨٨ ٥- انشاء المدارس
- ٢٨٨ ٦- انشاء تجار المسلمين المشاريع الناجحة
- ٢٩٠ ٧- انشاء المجلات الإسلامية
- ٢٩٠ ٨- شراء الأراضي وتحويلها إلى أوقاف إسلامية
- ٢٩١ الأسئلة
- ٢٩١ س١ كيف الوصول إلى هذه البلاد للدعوة إلى الله؟
- ٢٩١ س٢: هل تنصح طلبه العلم بالذهاب إلى روسيا؟
- ٢٩٣ فهرس الموضوعات